

الدكتور عبد الفتاح محمد السمان  
باحث في علم الاقتصاد النبوي

# كان ثرياً منفقاً.. لا فقيراً زاهداً

## أموال النبي ﷺ كسباً وإنفاقاً وتوريثاً





# تعامل النبي ﷺ مع أمواله كسباً

## (مصادر أموال النبي ﷺ)

دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي

إعداد الطالب:

عبد الفتاح محمد السّمان

إشراف

الدكتور: محمد شريف الصّواف

العام الجامعي

٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى \*  
\* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى \* وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى \*  
\* أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى \* وَوَجَدَكَ  
عَائِلًا فَأَغْنَى \* فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ \*  
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .﴾

[سورة الضحى]

## إهداء

إلى الغنيّ عن العالمين، الرازق لجميع الأنبياء والمرسلين، المتفضل على خلقه أجمعين، الكريم الذي امتنّ على نبيّه بأن وجده عائلاً فأغناه وأغنى به المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

إلى مَنْ حُبّه عزّ، وأتباعه فخر، النبيّ الثريّ الزاهد لا الفقير الفاقد، الذي امتنّ على أصحابه بأن صيّرهم بنهجه من الفقر إلى الغنى، فأصبحوا ملوك الأرض وساداتها.

الذي قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِِي، وَعَالََةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟»<sup>(١)</sup>.

قال عتبة بنُ غزوان: (لَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا... فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ)<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي — وَاللَّهِ — لَأُنْظَرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي — وَاللَّهِ — مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا، وَتَمْلِكُوا الْعَرَبَ، وَتَذَلَّ لَكُمْ الْعِجَمُ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مَلُوكًا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، رقم (٤٣٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفاق، رقم (٢٩٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب الصلاة على الشهيد، رقم (٣٥٩٦).

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته [٢٠٠/١، ٢٠١]، وأخرجه بنحوه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة (ص)، رقم (٣٢٣٢).

● إلى الجبين الطاهر المكمل بقطرات العرق جهاداً لأجل اللقمة الحلال، الذي لطالما  
تمنى أن يراني في أعلى مراتب العلم... والذي الحبيب.

● إلى مَنْ سهرت لأجلي، ومنحتني حبّها وحنانها... أُمي الحنون.

● إلى مَنْ شاركوني حلو الحياة ومرّها... أختي وإخوتي جميعاً، ورأدهم أخي رائد لما له  
من سبق الفضل في مسيرتي.

● إلى قناة **اقرأ** الفضائية التي قدمتي للناس من خلال برنامجي الأحيّة والمال<sup>(١)</sup>.

● إلى العلماء الذين تعلّمت منهم أو اقتبست منهم فكرة أو إشارة — عرّفوا ذلك أو لم  
يعرفوا — !

● إلى نفسي التي لطالما دعيتي لترك ما أصبو إليه من البحث لمصاعبه، وأكرمني ربي  
بمخالفتها... أقول لها: لا تعود لي مثلها!!!

\* \* \*

---

(١) قمتُ بإعداد وتقديم هذا البرنامج، وموضوعه: الجانب المالي لحياة النبي ﷺ وبعض أصحابه وتابعيه  
عليهم رضوان الله.

## شكر وعرفان

امتثالاً لقوله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>، واعترافاً بالجميل، أتقدم  
بجزيل الشُّكر وعظيم الامتنان إلى:

● أخي الدكتور مُحَمَّد شريف الصَّوَّاف — حفظه الله — الذي أكرمني الله  
بإشرافه على هذه الرسالة، بل وتشجيعه على كتابتها، فبَذَلَ جهده ووقته في  
توجيهي، وغمرني بلطفه وتشجيعه وإرشاداته السَّديدة المفيدة، فالله أسأل أن يَمُدَّهُ  
بإمداده، ويطيل بعمره ويزيد من فضله، ويكلِّأه برعايته، ويَجْزِيه عَنِّي خَيْرَ ما جَزَى علماء  
الإسلام العاملين.

● معهد الدَّعوة الجامعي، الذي أتاح لي فرصة المشاركة في البحث العلمي  
— مشكوراً مأجوراً من الله عزَّ وجلَّ — ، وأشكُرُ جَمِيع القائمين عليه من أساتذة  
ومديرين.

● كلُّ أخ ساعد وسأهم في إتمام هذه الرِّسالة، وأخصُّ الذي أُجِلَّ وأقَدَّر:  
الدُّكتور أَحْمَد الشَّحادة، والأستاذ أَحْمَد رباح، وكلُّ من قدَّموا إليَّ ملاحظات قلَّت أو  
كثُرَتْ، أو أهدوني مَشُورَةً أو اعتراضاً أو حتَّى مُخالفة.

\* \* \*

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيُّ في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم (١٩٥٤)، وقال:  
(حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وأخرجه بِمعناه أَبُو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم  
(٤٨١١).

## مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾  
[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].  
أَمَّا بَعْدُ:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup>.  
وهذه مقدمة لبحث عنوانه: **تعامل النبي ﷺ مع أمواله كسباً، حاوية على أهمية البحث العلميّة وغايته، وأسباب اختيار هذا البحث، وبعض صعوبات البحث، والدّراسات السابقة المنهجية العلميّة المتّبعة في هذا البحث.**

---

(١) خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها معظم خطبه، أخرجها مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨)، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، رقم (٢١١٨)، والترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، رقم (١١٠٥).

أولاً — أهمية البحث العلميّة وغايته:

إن العبارة الأهم التي ينافح البحث عنها — من خلال التوثيق العلمي — هي أنّ النبي ﷺ كان ثرياً زاهداً لا فقيراً فاقداً.

ولعلّ أجلّ غاية للبحث هي الرد على من يطلب من الدنيا برمتها أن تتخذ من الإسلام منهجاً لسعادة الدنيا قبل الآخرة، من دون أن يقدم مشروع سعادة الدنيا بمفرداته القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]؛ إذ إن بعضهم تُبِحُ حنجرته، وتذرف دموعه، ويحف قلمه، ليثبت أن المسلم الحق من يحرم نفسه نعيم الدنيا! متفاخراً بأن قدوة هذا الدين عاش ومات مُحَرِّماً نعيم الدنيا على نفسه وأهله! فكان من أفقر الناس، وأشدّهم تقشفاً، لا بل حتّى هو أحوجهم لليهودي<sup>(١)</sup>!

لتوضيح ذلك والرد على من تكلف ذلك بغير علم ولا هدى سَطَّرت كلمات هذا البحث.

وهكذا فالأمر يعني للباحث قضية دفاع عن كرامة نبي الأمة في المقام الأول.

ثمّ إن الذي يتهم النبي ﷺ بالفقر — وقد بيّنا ثراءه — فهو يتهم الله الغني الرزاق الذي امتنّ على النبي ﷺ بالثراء، بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾، وهنا أجد أن غضب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في وجه من زعم أن الله فقير يؤخذ منه الغضب من يتهم النبي ﷺ بالفقر، فأنا أغضب لما غضب منه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، وهذا بيان الحادثة:

عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: (دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراس اليهود، فوجد ناساً من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص بن

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة — رضي الله عنها — قالت: (توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير). أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، رقم (٢٧٥٩).



عازوراء، وكان من علمائهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: (اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، فأمن وصدّق، وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب)، فقال فنحاص: يا أبا بكر، تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني، فإن كان ما تقول حقاً، فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء، ولو كان غنياً ما استقرضنا أموالنا، فغضب أبو بكر رضي الله عنه، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر إلى ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما الذي حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فغضبتُ لله وضربتُ وجهه، فجدد ذلك فنحاص، فأنزل الله عز وجل رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾ (الآية) <sup>(١)</sup>. [آل عمران: ١٨١].

إن اتهم النبي ﷺ بالفقر أو الإشارة إليه استخفافاً يستوجب العقوبة، فقد قال القاضي عياض <sup>(٢)</sup> في الشفا <sup>(٣)</sup>: (أفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيدرة، وزعمه أن زهده لم يكن قصداً، ولو قدر على الطيبات لأكلها، إلى أشباه لهذا).

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره [٤٤٢/٧]، وابن أبي حاتم في تفسيره [٢٣١/١٦]، والطحاوي في مشكل الآثار [٣٧٩/٤].

(٢) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصي الأندلسي، ثم السبيي المالكي (٤٧٦/٤٤٤هـ—)، الإمام العلامة الحافظ الأوحدي، شيخ الإسلام، استبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان. [سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/٣)].

(٣) الشفا للقاضي عياض: [٤٠٦/١]

ولعل هذا البحث جديد من حيث موضوعه وقصده لا من حيث نصوصه — فيما بلغني من العلم والبحث والله أعلم — ؛ إذ لم أقف على من أفرد مؤلفاً يبرز جانب الشراء في حياة النبي ﷺ فيمن سبق، وغاية البحث أن يصحح الفكرة السائدة عن النبي ﷺ بأنه كان مُتعمداً للفقركارهاً للغنى، كما في ضعيف أحاديث الإحياء<sup>(١)</sup> وغيره؛ لأنها مخالفة لنصوص القرآن الكريم والسيرة النبوية.

## ثانياً — أسباب اختيار البحث:

وقد كان لاختيار هذا البحث أسباب ستة:

(١) فقدان التأصيل الشرعي المنهجي الذي تُحاكم له الأفكار والممارسات في مجال أموال النبي ﷺ، حيث لم أقف على مَنْ نَعَتَ النبي ﷺ بالفقير حتّى من المشركين، ولم يجرؤ أحد على اتهامه بالعوز والفاقة ناهيك عن غيرهم! لذا نرى أن كثيراً من المسوّغات التي يقدمها بعض الإسلاميين هي نتيجة فكرة مسبقة لا تتعدى عموميات تدلّ على عدم الرجوع المؤصّل إلى المقاصد الكلية.

ومن ضعف التأصيل، وغياب منهج المقاصد استناد الفتوى بعدم جواز المقاطعة الاقتصادية لأعدائنا على أنّ النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي — يعني لم يكن يقاطع اليهود — !

وربّما سيصل هذا الاستنباط إلى جواز وضع أسلحتنا عند اليهود للسبب نفسه<sup>(٢)</sup>!!!

---

(١) ينظر: تخريج أحاديث الإحياء، لأبي الفضل زين الدين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، وينظر: أحاديث الإحياء التي لا أصل لها للإمام السبكي، تاج الدين، دار الهجرة.

(٢) موقع فتوى اللجنة الدائمة العلمية والإفتاء رقم (٢١٧٧٦) وتاريخ (١٤٢١/١٢/٢٥ هـ).

السؤال: يتردد الآن دعوات لمقاطعة المنتجات الأمريكية، فهل نستجيب لهذه الدعوات؟

الجواب: يجوز شراء البضائع المباحة أيّاً كان مصدرها، ما لم يأمر ولي الأمر بمقاطعة شيء منها لمصلحة الإسلام والمسلمين، والنبي ﷺ اشترى من اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله.

٢) تناقضٌ مستمرٌّ مؤرقٌ في إشادة الخطباء بالفقر كميزة للصالح، وكثرة الحديث عن فقر النبي ﷺ وجوعه! ثمَّ يطالب في الوقت نفسه أن يصبح المسلم غنياً منفقاً! ومنها ما قاله الكلاباذي في بحر الفوائد<sup>(١)</sup>: (الفقر نعمة من الله تعالى على العبد، وهو حلية الأنبياء، وزِيُّ الأصفياء، وشعار الصالحين، وزينة المؤمنين، فقد روي في الحديث: «إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين»<sup>(٢)</sup>). ا.هـ.

أقول: هذا الكلام وأمثاله مردود بنص القرآن؛ لأن الفقر وعدُّ الشيطان وليس وعدَّ الرحمن، قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقد قال السبكي في هذا الحديث: (لم أره إلا في الإسرائيليات أن الله أوحى إلى موسى ابن عمران كذلك، ذكره محمد بن خفيف في كتاب شرف الفقراء، ورواه أبو موسى المدني في كتاب تضييع العمر والأيام)<sup>(٣)</sup>!

وقال الحافظ العراقي عنه: (حديث: «إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنبٌ عَجَلَتْ عقوبته»، أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول<sup>(٤)</sup> عن أبي الدرداء، ولم

---

وينظر رد الشيخ عبد الله الجبرين في موقعه، ومما قاله: (على المسلمين أن يقاطعوا الكفار بترك التعامل معهم، وبترك شراء منتجاتهم، بنية إضعاف قوتهم، وفي ذلك إضعاف لاقتصادهم).  
(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للإمام محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م)، [٦٥/٢].

(٢) عزاه في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكرى حياني وصفوة السَّقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) [٧٥٨/٦] للديلمي عن أبي الدرداء.

(٣) ينظر أحاديث الإحياء التي لا أصل لها للسبكي [٥٤/١].

(٤) مكحول: هو مكحول الشامي، أبو عبد الله الفقيه الدمشقي المحدث، توفي سنة ثمانٍ عشرة ومائة. [تهذيب (٢٩١/٣٢).

يسمع منه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى...» الحديث، فذكره بزيادة في أوله، ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأبحار غير مرفوع بإسناد ضعيف<sup>(١)</sup>.

وللرد على من قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان فقيراً جائعاً أقول: كان ﷺ في آخر حياته قد كثر منه اللحم — أي: بَدُنْ وَثَقُلْ — ، فقد أخرج مسلم من حديث عائشة — رضي الله عنها — أَنَّهَا قَالَتْ: (لَمَّا بَدَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَقُلَ كَانَ أَكْثَرُ صَلَاتِهِ جَالِساً)<sup>(٢)</sup>.

٣) التناقض بين صريح قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، وبين إصرار بعض الكتاب والباحثين والواعظين على فهم الآية أَنَّهَا: وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَفْقَرَ!!

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يأخذ الأجر على تبليغ دعوته من أحد: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢] ومعنى الأجر هنا هو الأجر المادي، إذ كيف يقارَن بين أجر الخالق والمخلوق، وهذا يؤكد وجود داعم مادي من الله تعالى لرسوله ﷺ.

حَتَّى إِنَّ (توماس كارليل) في كتابه النفيس: الأبطال، يعزو — بسبب ما نكرره — عظمة النَّبِيِّ ﷺ لثوبه المرقَّع!!! قائلاً: (فهو قائم في ثوبه المرقَّع كما أوجده الله وكما أراد...، إن ما ناله محمد في ثوبه المرقَّع بيده...، فكَذَلِكَ تكون العظمة وهكذا تكون الأبطال)<sup>(٣)</sup>.

فهل كان نبينا المصطفى ﷺ حقاً كذلك!؟

---

(١) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي [٤٠٩/٨]، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان (ط: ١) (١٩٩٤م) [٢٧٥/٩].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة قائماً وقاعداً، رقم (٧٣٢).

(٣) كتاب الأبطال لتوماس كارليل، دار مكتبة مصر، ص (٧٩) ترجمة مصطفى السباعي.

(٤) الإحصائيات الحزنة التي تُبرز جلياً أن المسلمين هم أكثر الشعوب فقراً.

قال رأفت الحامد العدني في مقال له<sup>(١)</sup>: (يعيش ٣٧% من سكان العالم الإسلامي تحت خط الفقر (٢،٢٥ دولار يومياً)، وما من أحد منهم شَعَرَ بفضل ما هو فيه إن هو صبر على ما ابتلاه الله به من قلة ذات اليد، وكان كما كان سلفه الأول ﷺ من الزهد والفقر وترك زهرة الدنيا رغبة بما عند الله من الفضل والمرتبة العالية في دار الخلد ؟!!).

وكان الإسلام هو دين الفقر، قال الدكتور عبد الحليم عمر عن واقع مشكلة الفقر في عالمنا الإسلامي في ندوة الزكاة والوقف الإسلامي التي عقدت في الأزهر:

(للأسف فإن الصورة تزداد سوءاً في العالم الإسلامي؛ حيث يبلغ عدد سكانه مليار وستمئة مليون نسمة، يقطنون (٥٨) دولة، منها (٢٩) دولة يبلغ سكانها (٨٥١) مليون نسمة، دخلهم منخفض لا يزيد على (٧٦٠) دولاراً للفرد سنوياً، في الوقت نفسه هناك (١٧) دولة سكانها (٢٩٧) مليون نسمة ذات دخل متوسط يتراوح بين (٧٦١) و(٣٠٣٠) دولاراً للفرد سنوياً، وكلاهما يندرجان في عداد الفقراء بالمقاييس العالمية)<sup>(٢)</sup>.

وتتواصل هذه النظرة للمسلمين من خلال الغرب الذي يبرز ذلك حتى في معنى كلمة فقير في معاجم اللغة الإنكليزية<sup>(٣)</sup>!

(١) هذه هي نسخة Google لعنوان:

- <http://www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t٨٢٠٢٣.html>

(٢) ينظر: جريدة الخليج الإماراتية عدد ٢٢/٧/٢٠٠٥م.

:Longman Dictionary

(٣)

<http://www.ldoceonline.com/dictionary/fakir>

[kir [countable·fa

a travelling Hindu or **Muslim holy man**

:Webster Dictionary

w.com/dictionary/fakir — <http://m>

fa·kir Function: noun

Etymology: Arabic faqīr, literally, poor man

٥) خطورة ما يقدّم إعلامياً من الاختصار المُخلّ المشوّه لسيرة النبي ﷺ، وتصويره للناس على أنه رجل عاش ومات عالّةً على الناس، وكأنّ الله أرسله داعياً للفقير منتظراً للموت!

فهل هذه سيرة أكرم الخلق ومعلّم الناس العيش الكريم؟!<sup>(١)</sup>.

---

### a: a Muslim mendicant: dervish

worke — b: an itinerant Hindu ascetic or wonder

:Cambridge Dictionary

<http://dictionary.cambridge.org/define.asp?key=&dict=CALD&tgroups—religious—of—opic=followers>

fakir noun also faqir.

a member of an **Islamic religious group**, or a Hindu holy man

:Oxford Dictionary

<http://www.askoxford.com/results/?view=searchresults&freesearch=fakir&branch=&textsearchtype=exact/faykeer,fkeer/fakir>

noun **a Muslim** (or, loosely, a Hindu) religious ascetic •

كلمة فقير في معاجم الإنكليزية وبلغظها العربي: (المسلم، المسلم المتدين، الدراويش، المسلم المتسول، الهندوسي، واحد من جماعة المسلمين).

(١) كما ورد في جواب لسؤال — على الإنترنت — بعنوان: موارد إنفاق الرسول ﷺ على الجيوش وعلى

خدمه وأصحابه، أجاب به د. فوزي محمد ساعتي، أستاذ التاريخ بجامعة أم القرى، بتاريخ: [الاثنين:

١٥/محرم (١٤٣٠هـ)، الموافق: ١٢/يناير (٢٠٠٩م)] <http://islamtoday.net/fatawa>

فتاوى وأحكام، حيث قال:

(...كفل رسول الله ﷺ جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب،... وقاد قافلة تجارية لخديجة بنت خويلد بن أسد

— وكانت يومئذ من أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً — والتي أصبحت زوجته

بعد ذلك، فهي التي واسته بنفسها وبمالها ورزق منها بناته وأولاده، وأهدته خادماً هو زيد بن حارثة

ﷺ.

٦) أهيمية إدراك الواقع وتغيّرات العصر، فبينما يعترف العالم بأهمية الاقتصاد الإسلامي وقدرته على قيادة السوق وبناء الحياة، نجد من يتحدث عن رسالة الإسلام بترك الدنيا والزهد بها متناسياً غايات وجودنا من...

أ — الاستخلاف: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠].

ب — الاستعمار: وذلك في قوله تعالى: ﴿...هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ [هود: ٦١].

ج — التسخير: وذلك في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

---

فلما هاجر إلى المدينة تكفل الصديق ﷺ بتكاليف الهجرة، فاشترى الراحلتين واستأجر الدليل... وأخذ ماله كله معه، وفي المدينة المنورة استضافه أبو أيوب الأنصاري ﷺ في سفل الدار لمدة سبعة أشهر. وكان الأنصار يتناوبون إرسال الطعام إلى رسول الله ﷺ ما عدا سعد بن عبادة ﷺ الذي كان يرسل يومياً جفنته إلى رسول الله ﷺ مملوءة بالطعام، وبعد بناء المسجد النبوي وبناء حجرتين له انتقل إليه رسول الله ﷺ،... وكان رسول الله ﷺ يعصب على بطنه الحجر من الجوع). وللأسف، فإن هذه الإجابة هي النموذج الأكثر شيوعاً، ويكفي أن تصف النبي ﷺ بالثري لتسمع مالا يسرك، بل وستفاجأ ممن يُصر على أن النبي ﷺ كان يستدين رغيف خبزه لأهله!!

د — التعرف: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

هـ — الاختلاف: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [إلا مِنْ رَحِمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...]. [هود: ١١٨ — ١١٩].

و — التمتع بالزينة والطيبات: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...﴾ [النحل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ز — هداية الخلق إلى الخالق: وذلك في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٧) من الناحية الشخصية: حُرْقَةُ دَفْعَتِ الْبَاحِثِ لَوَعْتِهَا لِتَصْحِيحِ الْأَفْكَارِ الَّتِي شَوَّهَتْ صُورَةَ النَّبِيِّ ﷺ الثَّيْرِ الْكَرِيمِ، بَلْ صُورَةَ الْإِسْلَامِ الَّذِي كَانَ حَقًّا وَمَا زَالَ حَرْبًا عَلَى الْفَقْرِ لَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، حَرْبًا عَلَى الْجَهْلِ لَا عَلَى الْجُهْلَاءِ، حَرْبًا عَلَى الْمَرَضِ لَا عَلَى الْمَرْضَى<sup>(١)</sup>.

---

(١) قَالَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ كَفْتَارُو — رَحِمَهُ اللَّهُ — فِي مُحَاضَرَةِ أَلْفَيْتِ فِي الْمَوْقِعِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَالَمِيِّ فِي لُوسْ أَنْجَلُوسْ: (... وَمَا زَادَ الطَّيِّبِينَ بَلَّةً مَاحِلًا بِعَقُولِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَعْطِيلِ وَخُمُودِ...، فَاعْتَزَلُوا بِالْفَقْرِ، وَالْقُرْآنَ بِحَارِبِهِ. وَغَرَقُوا فِي الْجَهْلِ، وَالْقُرْآنَ يَمْقَتُهُ. وَحَرَقُوا النَّافِعَ مِنَ الْعِلْمِ بَلْ الضَّرُورِي مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ



### ثالثاً — بعض الصعوبات التي واجهت الباحث في أثناء البحث:

عادة ما تعيق ندرة المصادر والمراجع الأبحاث الجديدة وهذا مبرراً، أما أن لا يجد الباحث مرجعاً واحداً في موضوع فهذا ما حدث في هذا البحث.

يدعو إليه. فصار الغنى عيباً وعاراً، واعتبرت علوم الكون كفراً وإلحاداً، والمرض فضيلة وثواباً. وقال سَمَاحَتُهُ — رحمه الله — : (وفي مجال تأمين الكفاية في المجتمع، أتى الإسلام لينقل الناس من الفقر إلى الغنى، فكافح الفقر — لا الفقراء — كما يكافح الكفر. ولقد منّ النبي ﷺ على صحابته الكرام بأنهم أصبحوا أغنياء بفضل صحبتهم له، فقال: «ألم أجدكم عائلة فأغناكم الله بي؟» [أخرجه البخاري في كتاب المغازي، برقم (٣٩٨٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، برقم (١٧٥٨)].

وجعل من المجتمع قوة متكافلة متساندة في مكافحة الفقر ومعونة الفقراء، فقال الرسول الكريم ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به» [رواه البزار والطبراني عن أنس]. وكان من تشريعه ﷺ إغناء الفقير، فرض له حقاً معلوماً، محدداً، من مال الغني، فقال ﷺ: «صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم» [أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، رقم (١٤٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (٢٨)].

ولم يقتصر الإسلام على محاربة فقر المسلمين خاصة دون غيرهم، بل جعل ذلك حقاً لكل أبناء المجتمع، ففي تفسير القرطبي [٣/٣٣٧] أن النبي الكريم قد أتى بصدقات فجاءه يهودي، فقال: أعطني، فقال له ﷺ: «ليس لك من صدقة المسلمين شيء» فذهب اليهودي غير بعيد فنزلت الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه).

وقال الشيخ القرضاوي: (وليس في مدح الفقر آية واحدة من كتاب الله ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ). ويقول أيضاً: (لاشك أن الفقر من أخطر الآفات على العقيدة الدينية وبخاصة الفقر المدقع الذي يجانبه ثراء فاحش، وبالذات إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف هو المبطل القاعد، الفقر حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون وللترتيب في عدالة التوزيع الإلهي للرزق). هذا نص ما ورد عنه في مقالة نشرت في جريدة اللواء ٣ تموز ١٩٩٦م على الإنترنت.

فَحَتَّى المؤلَّفان الفريدان في هذا الباب وهما: تركة النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وأخبار المدينة<sup>(٢)</sup> لم يرجح فيهما المؤلفان ثراء النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته بشكل واضح، بل الأعجب من ذلك أن تُجد بعض النصوص واضحة الدلالة في إثبات غناه ﷺ، ولكن كثيراً ما تم تأويل هذه النصوص لتثبت فكرة فقر النبي ﷺ، بل وتعظيم الفقر في مواضع كثيرة!

رابعاً — الدراسات السابقة:

لم أقف في الكتب والمراجع على مَنْ أفرد ذلك في تصنيف، ولكن وقعتُ على بحوث مستقلة قليلة عن أموال النبي ﷺ وأوقافه، ولعل أهمها هو مبحث الدكتور الحجيلي عن أوقاف النبي ﷺ في المدينة وماحولها، وهو مبحث علمي فقهي تاريخي<sup>(٣)</sup>.

ويبقى أن كتاب إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من أموال وحفدة ومتاع للمقريزي<sup>(٤)</sup> يسهم إلى حد كبير في بيان أموال النبي ﷺ وعيشه الرغيد، لكنه مع ذلك لا يتحدث عن مصادر دخله العشرة التي ذكرها في البحث.

وفي ختام المقدمة: أرجو من المسلمين — وأخصُّ الباحثين — إضافة البعد المالي للسيرة النبوية المكرمة، مذكراً إياهم ونفسي أن هذا التصحيح يحتاج إلى الكثير من

---

(١) تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها: لأبي إسماعيل حماد بن إسحاق الأزدي البغدادي المالكي (ت: ٢٦٧هـ)، حققه أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

(٢) أخبار المدينة لعمر بن شبة النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ)، حققه علي محمد دندل وباسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية — بيروت، (١٤١٧هـ — ١٩٩٦م).

(٣) الأوقاف النبوية ووقفات بعض الصحابة الكرام: دراسة فقهية تاريخية وثائقية، أعدّها د. عبد الله بن محمد الحجيلي، حيث بين فيها أهم الأوقاف التي تركها النبي ﷺ، وأماكن الوقف في المدينة المنورة وخارجها، وعناية الفقهاء برعايتها وتعيين النظار لها، وكذلك أوقاف الصحابة الكرام وبيان أنواعها وأماكنها. من بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، الرياض.

(٤) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع المقريزي (م ٨٤٥)، دار الكتب العلمية، ط ١، محمد عبد الحميد النميس (١٤٧/٧).

الجهد؛ إذ لا يكفي ما وصلَ إليه هذا البحث، لأننا تأخرنا قروناً، والإصلاح لن يتم في سنوات...

### خامساً — المنهجية العلمية المتبعة في هذا البحث:

لقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والوصفي، والاستدلالي، والتحليلي؛ إذ هي المناهج الملائمة في كتابة مثل هذه الأبحاث، حيث قمتُ باستقراء كامل حول أموال النبي ﷺ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع ذكر الإحصائيات الممكنة، واطّلت على ما كُتبَ عن ذلك قديماً وحديثاً، وكان اعتمادي الأكبر في ذلك على كتاب الله عز وجل، ثم سيرة المصطفى ﷺ، ثم المصادر الإسلامية التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

— أما ما يتعلق بالمنهج الوصفي فلا بد من استخدامه في الدراسة؛ لإعطاء صورة حقيقية عن أموال النبي ﷺ.

— أما استخدام المنهج الاستدلالي في الدراسة فلا أرى بداً عنه؛ إذ إن قواعد الشريعة الإسلامية تفرض علينا إثبات ما ندّعيه في دراساتنا من خلال ذكر الدليل عليها من مصادر التشريع المعتمدة، وفي مقدمتها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ.

### المنهج العام المتبع:

- (١) التبع للنصوص، وجمعها، مع الاجتهاد في جمع ما يلزم من نصوص في الباب.
- (٢) تحليل النصوص، ومناقشتها، وشرحها، وبيان غريب الألفاظ فيها.
- (٣) تحرّي النقل الصحيح للأقوال من مصادرها الأصلية، مع عزوها لقائلها، والتعليق عليها بالمناقشة، وإيضاح ما يلزم إيضاحه.
- (٤) عزو الأقوال والآراء إلى أصحابها، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتبرة.
- (٥) عزو الآيات القرآنية بذكر مواضعها، مع ذكر السورة، ورقم الآية بين معكوفين هندسيين [ ].

(٦) تخريج الأحاديث بالإحالة على مواضعها في مظانها الأصلية مع التعليق عليها إن لزم.

٧) إذا كان الحديث في الصحيحين — أو أحدهما — اكتفيت بالإحالة إلى مصدره، وذلك اكتفاءً بما أجمعت الأمة عليه من صحة ما ورد فيهما.

٨) التعريف بالأعلام غير الشهيرة الواردة في البحث.

٩) التعريف بالأماكن والمواضع والبلدان غير الشهيرة الواردة في البحث.

١٠) وضع الفهارس اللازمة للبحث، وتشمل الفهارس الآتية:

- فهرس الآيات القرآنية مرتبة وفق ترتيبها في المصحف الشريف.

- فهرس الأحاديث النبوية.

- فهرس الأعلام.

- فهرس الأماكن والمواضع والبلدان.

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

وغاية القصد: إني لأرجو من الله تعالى — رجاء الواثق بكرمه وإحسانه — أن ألقى سيدي رسول الله ﷺ بهذا العمل عَليّ أحظى ببسمة رضى من ثغره الشريف، وبداية نعيم الآخرة هذا الشرف، اللهم آمين آمين.

وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢١/ شوال/ ١٤٣١ هـ

٣٠/ أيلول/ ٢٠١٠ م

وكتبه طالب العلم الشريف

عبد الفتاح السّمان

## خطة البحث

تشتمل هذه الرسالة على تمهيد، ومقدمة، وبايين، وخاتمة:

### التمهيد

ويشتمل على:

— عشرة أسئلة انطلق البحث من خلالها.

### المقدمة

وتشتمل على:

(١) أهمية البحث العلمية وغايته.

(٢) أسباب اختيار هذا البحث.

(٣) بعض صعوبات البحث.

(٤) الدراسات السابقة.

(٥) المنهجية العلمية المتبعة في هذا البحث.

## الباب الأول: نظرة الإسلام إلى المال والحياة الاقتصادية في مكة:

ويشتمل على فصلين:

— الفصل الأول: نظرة الإسلام إلى المال.

وفيه مقدمة ومبحثان:

• المبحث الأول: تعريف المال قديماً وحديثاً.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بيان المراد بالمال عند أهل اللغة.

- المطلب الثاني: تعريف المال عند الفقهاء.

- المطلب الثالث: تعريف بعض المعاصرين للمال.

### • المبحث الثاني: تعريف الفقر والغنى.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الفقر عند اللغويين.

- المطلب الثاني: الفقر في القرآن والسنة ومعانيه.

- المطلب الثالث: تعريف الغنى.

### • المبحث الثالث: بيان بعض القواعد الاقتصادية في القرآن والسنة.

#### • المبحث الرابع: توكيل علي عليه السلام بوفاء الديون وأثره.

#### • المبحث الخامس: تعامله عليه السلام المالي مع قريش، ودور أمانته المالية في الدعوة

#### - الفصل الثاني: حصار الشعب أول تجربة للنبي عليه السلام في مواجهة سلاح المقاطعة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

#### • المبحث الأول: التجويع أحدُ سيوف المشركين.

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: لماذا فرضت قريش الحصار؟

- المطلب الثاني: كيف تمَّ الحصار؟

#### • المبحث الثاني: مصادر دخل النبي عليه السلام داخل الشعب

ويشتمل على مطلبين:

– المطلب الأول: مصادر الدخل الداخلية

– المطلب الثاني: مصادر الدخل الخارجية

• المبحث الثالث: إنهاء الحصار بالعقل والمعجزة!

ويشتمل على مطلبين:

– المطلب الأول: أشراف العقلاء يرفضون الظلم؟

– المطلب الثاني: معجزة السماء تؤيد العقل السليم؟

• المبحث الرابع: غنائم الحصار للنبي ﷺ والمسلمين.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

– المطلب الأول: الإسراء والمعراج، والتمهيد لبناء الدولة.

– المطلب الثاني: التعاطف الدولي وإثبات إنسانية الرسالة.

– المطلب الثالث: إكرام النبي ﷺ لمن والاه في الحصار.

**الباب الثاني: كسب النبي ﷺ:**

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

– الفصل الأول: مرحلة الاصطفاء (من قبل الولادة وحتى اليتيم).

وفيه تمهيد ومبحثان:

• المبحث الأول: قبيلته وعائلته.

• المبحث الثاني: بلده.

– الفصل الثاني: مرحلة الإيواء (من اليتيم إلى الزواج).

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

• المبحث الأول: من الولادة حتّى الطفولة.

وفيه مطلبان:

– المطلب الأول: ميراثه من والده.

– المطلب الثاني: إنفاق جده عليه مولوداً.

• المبحث الثاني: من الطفولة حتّى الفتوة.

وفيه مطلبان:

– المطلب الأول: الرضاع والتربية.

– المطلب الثاني: في كفالة عمه.

• المبحث الثالث: من الشباب حتّى المبعث.

وفيه مطلبان:

– المطلب الأول: بداية عمله بالتجارة.

– المطلب الثاني: زواجه من السيدة خديجة.

– الفصل الثالث: مرحلة الإغناء (من الزواج إلى الوفاة).

وفيه تمهيد ومبحثان:

• — المبحث الأول: وعد الله تعالى له بالغنى المالي.

• — المبحث الثاني: مصادر دخله ﷺ العشرة.

وفيه عشرة مطالب:



- المطلب الأول: تكسُّبه ﷺ من مزاوله التجارة.
- المطلب الثاني: ميراثه ﷺ من والديه.
- المطلب الثالث: ميراثه ﷺ من خديجة.
- المطلب الرابع: الأنفال ومنها الغنائم (الخُمس، وعدد غزواته).
- المطلب الخامس: الفِئء (أموال بني النضير، وحصون خيبر وفدك وغيرها).
- المطلب السادس: الصَّفِي (صفيه قبل الغنائم، ومنه بعض نسائه).
- المطلب السابع: لَهْدَايَا (من الصحابة والملوك وغيرهم).
- المطلب الثامن: سَهْمُهُ ﷺ مجاهداً.
- المطلب التاسع: من خصائصه في الرزق ﷺ.
- المطلب العاشر: مصادر من دخله لم يستخدمها ﷺ.

## الخاتمة والتوصيات.

## الفهارس العامة.

\* \* \*

## التمهيد

### (عشرة أسئلة انطلق البحث من خلالها)

- (١) أنفق النبي ﷺ الكثير من المال في حياته، فمن أين أتى بهذا المال، أهو مال الدولة، أم مال أصحابه، أم له مصدر آخر؟
- (٢) يُتَّهَمُ النبي ﷺ بأنه عاش على مال زوجته خديجة — رضي الله عنها — ، فما صحة ذلك؟
- (٣) قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، لكن هناك من يجعلها: ووجدك عائلًا فأفقر؟!
- (٤) هل صحيح أنه ﷺ كان يعيش على موائد أصحابه وفضلهم؟
- (٥) هل يرسل الله رسله ثم يتركهم عائلة على أتباعهم؟
- (٦) أين ما أفاءه الله على رسوله ﷺ من الأراضي وغيرها؟
- (٧) هل كان النبي ﷺ يتعمد الفقر، وكيف نفهم معجزاته في الطعام والشراب؟
- (٨) هل الإسلام دين الفقر وكرهية الدنيا؟
- (٩) لماذا سُمي النبي ﷺ بالأمين، وهل ترك التجارة بعد البعثة؟
- (١٠) إذا كان الاقتصاد الإسلامي رائد الاقتصاد العالمي اليوم، فلم لم يكن النبي ﷺ رجل الاقتصاد الأول؟

\* \* \*

## **الباب الأول:**

### **نظرة الإسلام إلى المال**

### **والحياة الاقتصادية في مكة**

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: نظرة الإسلام إلى المال.
- الفصل الثاني: حياة النبي ﷺ الاقتصادية في مكة.
- الفصل الثالث: حياة المجتمع الإسلامي المكي الاقتصادية.

\* \* \*

# **الفصل الأول:**

## **نظرة الإسلام إلى المال**

وفيه مقدمة ومبحثان:

– المبحث الأول: تعريف المال قديماً وحديثاً.

– المبحث الثاني: تعريف الفقر والغنى.

\* \* \*

## مقدمة:

**الفقر والجهل والمرض** ثلاثية الأثافي<sup>(١)</sup> في كلِّ عصرٍ ومصرٍ، ومِمَّا يُؤسَفُ له أنَّ الكونَ برمته يُجمع على مُحاربة الفقر والجوع من خلال المقررات الثمانية لقادة العالم عام (٢٠٠٠م)<sup>(٢)</sup>، أولسنا أولى الأمم بمحاربة ذلك وخاصة مع ما حبانا الله من ثروات، كيف لا يكون هذا المطلب إسلامياً بالدرجة الأولى في أيامنا هذه؛ إذ إن الحقيقة الساطعة أن الإسلام منذ أوائل الدعوة جاء حرباً لا هوادة فيها على الفقر، فالأحاديث النبوية تعتبر الفقر آفة خطيرة يُخشى سوء أثرها على مفردات عدّة، أول هذه المفردات:

١- الخلق والسلوك: إذ تُعدّ الحاجة والفقر من الأسباب الرئيسة للرزائل والفواحش، إذ يكون الفقر في حال غياب الإيمان أو ضعفه أقوى من مراقبة الله تعالى والخوف منه، وكذا هو أقوى من الاستجابة لنداء الضمير، لذا قيل: (صوت المعدة الخاوية أقوى من صوت الضمير!!).

---

(١) أي أركان العضلات وأسسها، والأثافي: جمع أثفية، وهي الحجارة التي تُنصب وتُجعل القدر عليها، يقال: أثفيت القدر إذا جعلت لها الأثافي، ومن أمثالهم في رمي الرجل صاحبه بالمعضلات: رماه الله بثلاثة الأثافي. ينظر اللسان، مادة (أثف).

(٢) ينظر: تقرير هيئة الأمم المتحدة في نهاية عام (٢٠٠٠م) حول المقررات الثمانية لقادة العالم الـ ١٨٩ التي منها: مكافحة الفقر، والجوع، والأمية... وغيرها.

[/http://www.un.org/arabic/millenniumgoals](http://www.un.org/arabic/millenniumgoals)

When ١٨٩ Heads of State and government from the North and South, as representatives of their citizens, signed onto the at the ٢٠٠٠ UN Millennium Summit, there Millennium Declaration was a palpable sense of urgency. Urgency to free our fellow men, women and children from the abject and dehumanizing conditions of extreme poverty, to which more than a billion of them are currently subjected.

ولهذا الخطر على الفرد، وعلى المجتمع، وعلى العقيدة والإيمان: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، وأعوذ بك من القلّة والذلّة، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم»<sup>(١)</sup>.

ثمّ إن الفقر يدفع الإنسان إلى طلب الدّين، وعدم القدرة على السّداد والأداء بعد ذلك يجعله يكذب ويخلف، وهي من صفات النفاق، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»<sup>(٢)</sup>.

كما ويُجبر الفقر الناس على التخلي عن كثير من الأخلاق الحميدة، مثل:

- الكرم للضيوف والأصحاب.
- الصدقة والتكافل الاجتماعي.
- صلة الأرحام.
- الحبُّ والتوادد بين الناس.
- التعفُّف عن السّؤال والحياء فيه.

وربّما اضطر أهل الفقر إلى التسوّل وتحملوا ما يجره ذلك من أضرار.

ودلالة الاقتران بين الفقر والفاحشة واضحة في أحاديث النبي ﷺ الصحيحة، منها: الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَنُخْرِجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوْضِعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدَّقُ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَنُخْرِجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوْضِعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدَّقُ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الاستعاذة، رقم (١٥٤٤)، والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الذلة، رقم (٥٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٨٣٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٩).

زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وزانية، وغني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله»<sup>(١)</sup>.

ويُفهم من هذا الحديث أن حصول السارق على المال — وكذا الزانية — قد يكون سبباً قوياً في رجوعهما عن غييهما، والعودة إلى الأصل وهو العفاف، وأن السبب في فاحشتهم — بعد ضعف الإيمان وغيابه — هو الحاجة إلى المال.

والحديث المتفق عليه من رواية ابن عمر — رضي الله عنهما — عن الثلاثة الذين آواهم المبيت أو ألجأهم المطر إلى الغار، فسقطت الصخرة وسدّت عليهم باب الغار، فأشار بعضهم على بعض بالتوسل إلى الله بصالح الأعمال لينجوا من الموت والهلكة، فقال أحدهم: «...اللهم كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها على نفسها، وامتنعت مني، حتى أَلَمْتُ بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها قالت: لا أحلُّ لك أن تفضّ الحاتم إلا بحقه، فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة...»<sup>(٢)</sup>.

ما الذي جعل المرأة العفيفة توافق على أن تخلي بين نفسها وابن عمها؟! إنها الحاجة والفقر: «أَلَمْتُ بها سنة من السنين»، وهذا هو الشاهد!!

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، رقم (١٤٢١)، وأخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، رقم (١٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك الأجير أجره فعلم فيه المستأجر، رقم (٢٢٧٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار، رقم (٢٧٤٣).

ثُمَّ ما الذي حفظها وابن عمها من الفاحشة؟! إِنَّهُ الْإِيمَانُ وَتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي نَادَتْ بِهِ ابْنُ عَمِّهَا: «لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْحَاقِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ».

٢— إن التفكير والقدرة على الابتكار ونفع الأمة: كثيراً ما يعوق أصحابه عَنَتُ الحياة المعيشية وتوفير القدر الأدنى من الحاجات الأولية لأنفسهم.

روي عن الإمام مُحمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة<sup>(١)</sup>: أَنَّ جارية له أخبرته يوماً في مجلسه أَنَّ الدقيق قد نفذ، فقال لها: لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه<sup>(٢)</sup>.

ويقال: (لا تستشر من ليس في بيته دقيق، لأنه مشتت الفكر مشغول البال، فلا يكون حكمه سديداً)<sup>(٣)</sup>.

٣— كما ويؤثر الفقر على الصحة، وعلى الأسرة، وعلى الأمة جميعاً: الأسرة نواة المجتمع، وبها يكثر أو يقل المجتمع، ويقوى ويضعف، ويصلح أو يفسد، ويظهر أثر ظلال الفقر السيئة على الأسرة في تكوينها وبنيتها، فالفقر مانع رئيس من موانع الزواج؛ لأنَّ من متطلبات الزواج المالية: المهر، النفقة، تجهيز المنزل.

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني: مولى لبني شيبان، مات بالري سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة، قال الشافعي: حملت من علم محمد وقر بعير، وقال الشافعي: ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينَّت في وجهه الكراهة، إلا محمد بن الحسن، ومات هو والكسائي بالري فقال الرشيد: دفنت الفقه والعربية بالري. [طبقات الفقهاء ١/١٣٥].

(٢) من موقع الدكتور يوسف القرضاوي نقلاً عن آداب الكسب، ولم أجده.

(٣) ينظر: مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٤٩، (ص ١٢٦)، مقال بعنوان: الآثار المدمرة لسياسات الإفكار، ياسين بن طه بن سعيد الشرجي.



أما أثره على استمرارها: فالفقر أحد المعوّقات القوية من استمرار الأسرة بعد تكوينها؛ إذ إنه قد يكون سبباً في طلاق المرأة من زوجها، فالإعسار والفقر والعجز عن النفقة على الزوجة أحد الأسباب المحترمة شرعاً لطلاق المرأة من زوجها.

كما أن الفقر سبب رئيس لكثير من الخصومات المتكررة بين الزوجين؛ بحيث يدور الخصام حول النفقات ومتطلبات المعيشة وكيفية توفير المال والتعامل معه، فيكون الفقر بذلك سبباً لانعدام السكينة وضياح المودة والرحمة.

بل إن الفقر يدفع بالنساء والأطفال إلى العمل، فيخرج الجميع إلى الحياة والمغالبة لأجل البحث عن أسباب العيش ويُقوض بنيان الأسرة.

إن استمرار الأسرة أيضاً يعني التناسل والإنجاب، وتوقف استمرار الأسرة يعني الحد من النسل، والأعداء يروجون لذلك ويتذرعون بالفقر وانخفاض الثروات الغذائية مقابل الانفجار السكاني، وهم — للأسف — يجدون من يستمع إليهم ويقتل أولاده، أولئك الذين خاطبهم الله قائلاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب عند الله أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: قلت: إن ذلك لعظيم؛ قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حيلة جارك، قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] <sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً﴾، رقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، رقم (١٤١).

والإسلام إنما أتى حرباً على الفقر، وشقّ من تشريعاته سُبُلًا للتخلص منه<sup>(١)</sup>.

وللأسف فإنّ بعض الذين اتخذوا القرآن عِصِينَ<sup>(٢)</sup>، أو نقلوا رواية لبعض الأحاديث، حاولوا — عن جهل أو عن غير قصد — جعلَ الإسلام دين الفقر<sup>(٣)</sup>، والأكثر غرابة هو إيهام المسلمين عبر القرون المنصرمة أن النبي ﷺ هو قدوة في الفقر والفقراء، بل ويجعل بعض من سمعت من الخطباء أن النبي ﷺ كان يتعمّد الفقر، ولعل من زعم ذلك اعتمد على فهمه لحديث عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صليت وراء رسول الله ﷺ بالمدينة العصر، فسلم، ثم قام مسرعاً يتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نساءه، ففرغ الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم قد عَجِبُوا من سرعته، فقال: «ذكرتُ شيئاً من تبرّ عندنا، فكرهتُ أن يبيت عندنا، فأمرتُ بقسمته»<sup>(٤)</sup>. وإنما كان هذا المال من صدقات عنده على سبيل الأمانة، ولم

---

(١) للاستزادة من ذلك ينظر: مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م، (ص ١٣ — ١٨).

(٢) أي: كل عضو على حدته، عِصَة عِصَة، ففرّقوا القرآن وآمنوا ببعضه وكفّروا ببعضه. والاسم منه التّعصية. ينظر: مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م: [٣٤٧/٤].

(٣) لعلمهم أخطؤوا فهم مراد الأئمة الأعلام كما في سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء في فضل الفقر، وذكر بعض الأحاديث في ذلك.

ونقرأ في كتاب الرقاق من صحيح الإمام البخاري: أنه رحمه الله، جعل فيه باباً بعنوان: فضل الفقر، وذكر بعض الأحاديث في ذلك. ينظر: صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب فضل الفقر. وجاء في كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الباب الثالث [٤٦٧/٦]: في فضل الفقر والفقراء وما يتعلق به، الفصل الأول: في فضل الفقر والفقراء، ثم ذكر بعض الأحاديث في ذلك.

وذكر الإمام النووي — رحمه الله تعالى — في كتابه رياض الصالحين (ص ١٢٢)، فقال: باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين. ينظر: رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق عبده علي كوشك، دار اليمامة — دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم، رقم (٨٥١).

يكن ماله الخاص لذلك حرص على إخراجه! <sup>(١)</sup>، ممّا جعل بعض الصوفية يعتبرون كسب المال ضرباً من اللهو، وُبعداً عن معنى العبادة الخالصة، فقالوا: **إنّ الكسب حرام! لا يحل إلا لضرورة**، وهو بمنزلة تناول الميتة؛ إذ أنه ينفي التّوكل على الله، أو ينقص منه لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وفي هذا المعنى حثّ على ترك الاشتغال بالكسب، وبيان أن ماقدّر له من الموعود يأتيه لا محالة <sup>(٢)</sup>.

ولكنّ المسلمين أمروا بالتوكل، الذي هو اعتماد على قانون الله في الأسباب والمسببات، والمال شرط من شروط ركني الإسلام: الزكاة والحج، وهو سبيل الكفارات والفديات، إضافة إلى كونه أحد الضروريات الخمس، التي هي: حفظ الدّين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل <sup>(٣)</sup>.

وقد جاهد النبي ﷺ في بدر لاسترداد أموال المهاجرين <sup>(٤)</sup>.

---

(١) كذا ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص: ٢٦٢)، باب تعجيل إخراج الفيء.

كما اعتمد من زعم ذلك على الحديث الذي أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، رقم (٢٩١٦)، عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: «تُوفِّي رسول الله ﷺ ودرعُهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ في ثلاثين صاعاً من شعير».

(٢) ينظر كتاب الكسب للإمام محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية — بيروت ط ٢، (٢٠٠٥م)، [ص: ٨١] ومابعدا.

(٣) قال الشاطبي: اتفقت الأمة — بل سائر الملل — على أنّ الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدّين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري. ينظر: الموافقات، للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة — بيروت [٣٨/١].

(٤) قال ابن إسحاق رحمه الله: (ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة، فيها أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رجلاً، وكان في العير ألف بغير تحمل أموال قريش بأسرها). السيرة النبوية لابن هشام [٢٥٤/٢].

وقال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»<sup>(١)</sup>، بل وكانت دولة الإسلام أول دولة تُجيش الجيوش لأخذ حقّ الفقراء — الزّكاة — ، فإن الصّدّيق أبا بكر — رضي الله عنه — أرسل اثني عشر جيشاً لمحاربة المرتدين، ومانعي الزكاة<sup>(٢)</sup>.

فالإسلام ليس دين الفقر، بل هو حرب على الفقر لا على الفقراء، وللأسف فإن عشرات الآيات والأحاديث أوّلها بعضهم على أنّها تفضيل للفقر على الغنى<sup>(٣)</sup>، والحق أنّه ما من آية أو حديث يدعوان إلى الفقر، أو يجعلانه ميزة، أو تفاضل خير؛ لذا أنكر الإمام الحافظ أبو حاتم بن حبان الأحاديث التي في شدّه ﷺ الحجر على بطنه عند كلامه على قوله ﷺ: «لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى»<sup>(٤)</sup>، فاستدلّ بهذا الحديث على تضعيف الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يَجُوع ويشدُّ الحجر على بطنه من الجوع. قال: (لأن الله تعالى كان يطعم رسوله ﷺ، ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً حتّى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه؟).

ثمّ قال: (وماذا يغني الحجر من الجوع؟) ثمّ ادعى أن ذلك تصحيف ممن رواه، وإنّما هي الحجز بالزاي جمع حجرة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، رقم (٢٤٨٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من قُتل دون ماله فهو شهيد، رقم (٢٢٦).

(٢) البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن كثير أبي الفداء (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي — بيروت (١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م)، [٣٤٢/٦]، تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، د.ت، (٦٨/٤).

(٣) كالذي تجده في إحياء علوم الدين، للإمام محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٩٣/٤، ٢٠١/٤، فقد عقد باباً في كتاب الفقر والزهد بعنوان: (بيان فضيلة الفقر على الغنى).

(٤) أخرجه ابن حبان في كتاب الصوم، فصل في صوم الوصال، رقم (٣٥٧١)، والحديث عند البخاري عن ابن عباس — رضي الله عنهما — في كتاب الصوم، باب بركة السحور، رقم (١٩٢٢)، وأخرجه بمعناه مسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم (١٨٤٤).

(٥) فتح الباري ٢٠٨/٤.

ونصّه في صحيحه قال أبو حاتم: (هذا الخبر دليل على أن الأخبار التي فيها ذكر وضع النبي ﷺ الحجر على بطنه كلها أباطيل، وإنّما معناها الحُجْرُ لا الحجر، والحجر طرف الإزار؛ إذ الله جل وعلا كان يطعم رسول الله ﷺ ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً مع عدم الوصال حتّى يحتاج إلى شدّ حجرٍ على بطنه، وما يغني الحجر عن الجوع؟!)(<sup>١</sup>).

أما الإشكال الذي يرد على الدهن الآن من روايات تدل على فقر النبي ﷺ ظاهراً **لاحقيقة** فإن لذلك سبباً خاصاً، حيث إن النبي ﷺ ما اختار العبودية إلا بعد أن استشار فلزم أن تشبه طريقة أكله طريقة العبيد، وآثر الزهد لينال وعد الله بالدرجة العالية الرفيعة التي ندعو بها عقب كل أذان، فعن الزهري أن النبي ﷺ أتاه ملك لم يأتَه قبل تلك المرة ولا بعدها، فقال: «إن ربك يخبرك بين أن تكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً، قال: فنظر إلى جبريل كالمستشير له، فأوماً إليه أن يتواضع، فقال: «بل عبداً نبياً»، فما أكل متكئاً (أي بعدها)»(<sup>٢</sup>).

وحسبنا ابن بطلال في قوله: (وَتَرَكُهُ ﷺ الأكل على الخوان)(<sup>٣</sup>) وأكل المرقق، فإنّما فعل ذلك كأنه رفع الطيبات للحياة الدائمة في الآخرة، ولم يرضَ أن يستعجل في الدنيا الفانية شيئاً منها أخذاً منه ﷺ بأفضل الدارين، وكان قد خيره الله بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً، فاختار عبداً، فلزمه أن يفِي الله بما اختاره(<sup>٤</sup>).

---

(١) ابن حبان في كتاب الصوم، فصل في صوم الوصال، رقم (٣٥٧١).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى [١٣٥/٤]، وقال الحافظ ابن حجر: (وهذا مرسل أو معضل، وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث فذكر نحوه). ينظر: (فتح الباري لابن حجر: ٥٤١/٩).

(٣) الخوان: كغرابٍ وكتابٍ، واقتصرَ الجوهرِيُّ على الكَسْرِ: ما يُؤْكَلُ عليه الطَّعامُ. [ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٥٠١/٣٤)، مقاييس اللغة (٢٣١/٢)].

(٤) شرح ابن بطلال على صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت، [١٧٤/١٠]، فتح الباري [٢٨٠/١١].

وَيُمْكِنُ تَتَبُّعُ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَالِيَةِ بِاسْتِعْرَاضِ آيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهَا:

١- ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

٢- ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ الْغِنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

٣- كَانَ بَيْتُ النَّبِيِّ ﷺ دَارَ طَعَامٍ وَمَتَاعٍ لِلصَّحَابَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَازِلِينَ بِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٤- اسْتِحَالَةُ إِتْفَاقِ النَّبِيِّ ﷺ مَالَهُ كُلَّهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٥- مَصَادِرُ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَتَنُوعَةً:

كَالْأَنْفَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وَخُمْسَ الْغَنَائِمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ [الأنفال: ٤١].

٦- أَوْ مِنَ الْفِيءِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنْ دُونِ تَوْزِيْعٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ [الحشر: ٧].

٧- وللعلم: فإنَّ لفظة الفقر لم تَرَدِّ في القرآن سوى مرَّة واحدة، وجاءت في موضع الذم لا المدح بقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولكن وردت اشتقاقات أخرى لكلمة فقر، مثل: (فقراء، فقير...)، بعضها على سبيل المدح لأشخاص أو مواقف لم يكن الفقر فيها اختياراً لهم بل اضطراراً.

\* \* \*

## المبحث الأول:

### تعريف المال قديماً وحديثاً

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

— المطلب الأول: بيان المراد بالمال عند أهل اللغة.

— المطلب الثاني: بيان المراد بالمال عند الفقهاء الأربعة.

— المطلب الثالث: تعريف بعض المعاصرين للمال.

\* \* \*



## المبحث الأول:

### تعريف المال قديماً وحديثاً

#### المطلب الأول:

##### بيان المراد بالمال عند أهل اللغة

**تعريف المال في اللغة:** المال مشتقٌ من (مول)، فعينه واو، ويطلق المال في اللغة: على كلِّ ما تَمَلَّكَهُ الإنسان وحازَهُ بالفعل من جميع الأشياء، عيناً كان أو منفعة، أمّا ما لا يملكه، ولم يدخل في حيازته بالفعل، فلا يُعَدُّ مالاً في لغة العرب، كالطير في الهواء، والسّمك في الماء. ويُجمَعُ المال: على أموال، وإنّما سُمِّيَ مالاً؛ لأنّه يَمِيلُ إلى هذا تارة، وإلى الآخر تارة<sup>(١)</sup>.

قال في لسان العرب: (المال معروف، ما ملكته من جميع الأشياء، ومال الرجل، ويمول مولاً ومؤولاً: إذا صار ذا مال)<sup>(٢)</sup>.

وكما أن المشهور والمعروف من كلام العرب أيضاً كما قال القاضي عياض وابن عبد البر<sup>(٣)</sup>:

---

(١) المُعَرَّب في ترتيب المعرب، للإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاحوري، مكتبة أسامة بن زيد — حلب، ط١، ١٣٩٩هـ، والقاموس المحيط، لمجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب بن مُحَمَّد ابن إبراهيم الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط٥ (١٤١٦هـ — ١٩٩٦م)، والمصباح المنير، للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، مادة (مول).

(٢) لسان العرب ، مادة (مول).

(٣) ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ — ٤٦٣هـ)، فقيه مالكي من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، لقب بحافظ المغرب، من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستذكار. [تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣، طبقات الحفاظ ٤٣١/١].

أَنَّ كُلَّ مَا تُمَوَّلَ وَتُمْلِكُ فَهُوَ مَالٌ<sup>(١)</sup>.

ولعل مصطلح المال عند العرب تطور استعماله باختلاف الأزمنة، وتأثر أيضاً بالأعراف والبيئات.

وأكثر ما يُطلقُ المال عند العرب على الإبل؛ لأنّها كانت أكثر وأنفسَ أموالهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا يفيد ألا يخضع المصطلح الشرعي في المال لأيّ من هذه الاستعمالات اللغوية بمفرده، وكذلك المصطلح العرفي، فلا تحمل ألفاظ النَّاسِ في عقودهم ودعاواهم على أيّ من هذه الاستعمالات، إلا لوجود القرينة التي تفيد مناسبتها دون غيره.

قال ابن منظور: (وقد تكرر ذكر المال على اختلاف مسمياته في الحديث، ويفرق فيها بالقرائن)<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

---

(١) مشارق الأنوار على صحيح الآثار لأبي الفضل، القاضي عياض بن موسى بن عياض، السبتي، اليحصبي، المكتبة العتيقة ودار التراث: (٣٩٠/١)، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، طبع وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب، (١٣٨٧هـ) [٥/٢].

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (مول) [٦٣٥/١١].

(٣) ينظر المرجع ذاته.

## المطلب الثاني:

### تعريف المال عند الفقهاء

جاء تعريف المال في معجم لغة الفقهاء بأنه: (كل ما يُمكن الانتفاع به مما أباح الشرع الانتفاع به في غير حالات الضرورة، أي: كل ما يقوم بمال)<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف الفقهاء في تعريف المال نظراً لاختلاف وجهات نظرهم في المعاني الاصطلاحية المرادة منه، سأذكر شيئاً من تعريفاتهم للمال يتبين من خلالها ما تقدم:

#### أولاً — مذهب الحنفية:

عرّف فقهاء الحنفية المال بتعريفات عدّة، منها:

— قال السرخسي<sup>(٢)</sup>: (المال اسم لما هو مخلوق لإقامة مصالحنا به، ولكن باعتبار صفة التمول والإحراز)<sup>(٣)</sup>.

— وقال ابن عابدين<sup>(٤)</sup>: (المراد بالمال: ما يميل إليه الطبع، ويُمكن ادّخاره لوقت الحاجة، والمالية تثبت بتمول الناس كافة أو بعضهم)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي، دار النفائس، بيروت، ط: ٢، (١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م)، (ص: ٣٦٦ — ٣٦٧).

(٢) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (٤٨٣هـ)، الفقيه الأصولي النظار، أحد كبار فقهاء الأحناف المجتهدين، لزم شمس الأئمة الحلواني وتخرج به، له عدد من المؤلفات أشهرها كتاب المبسوط، الذي أملاه وهو في السجن في الحب. [سير أعلام النبلاء ١٩/١٤٧، شذرات الذهب ٣/٣٦٧].

(٣) المبسوط لشمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت [٧٩/١١].

(٤) هو الإمام محمد أمين بن عمر عابدين (١١٩٨ — ١٢٥٢هـ/١٧٤٨ — ١٨٣٦م): سيد شريف، فقيه، علامة، شاعر، فقيه الحنفية في زمانه، وأمين الفتوى، صاحب الحاشية الشهيرة في الفقه الحنفي. [معجم الأسر والأعلام الدمشقية للدكتور محمد شريف الصواف].

(٥) حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عابدين، دار الفكر، بيروت (١٤٢١هـ) [٥٠١/٤].

— وجاء في المادة (١٢٦) من مجلة الأحكام العدلية: (الْمَالُ هُوَ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ طَبْعُ الْإِنْسَانِ، وَيُمْكِنُ ادِّخَارُهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ، مَنْقُولًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَنْقُولٍ)<sup>(١)</sup>.

### ثانياً — مذهب المالكية:

عرّف فقهاء المالكية المال بتعريفات عدّة، منها:

— قال ابن العربي<sup>(٢)</sup> في تعريف المال المعتبر شرعاً: (كُلُّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ الْأَطْمَاعُ، وَيَصْلُحُ عَادَةً وَشَرْعًا لِلانْتِفَاعِ بِهِ)<sup>(٣)</sup>.

— ومنها تعريف الإمام الشّاطبي<sup>(٤)</sup> فقد قال: (وأعني بالمال: ما يقع عليه الملك، ويستبدّ به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه، ويستوي في ذلك الطّعام والشراب واللباس على اختلافها، وما يؤدّي إليها من جميع المتمولات)<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً — مذهب الشّافعية:

عرّف فقهاء الشّافعية المال بتعريفات عدّة، منها:

---

(١) مجلة الأحكام العدلية للجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية، الناشر: نور محمد، كارخانه تجارت كتب، آرام باغ — كراتشي، (ص ٣١).

(٢) محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي المالكي (٤٦٨ — ٥٤٣ هـ): عالم كبير، فقيه مالكي، مصنف، ارتحل مع أبيه إلى المشرق ثم رجع إلى الأندلس، كان فصيحاً بليغاً خطيباً، أدخل الأندلس إسناداً عالياً وعلماً جماً، ولي قضاء إشبيلية ثم عزل، فأقبل على نشر العلم وتدوينه، توفي بفاس. [تهذيب سير أعلام النبلاء ١٣/٣].

(٣) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر — بيروت [١٠٧/٢].

(٤) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠ هـ): فقيه مالكي وأصولي بارع، أحيا علم المقاصد الشرعية، له عدد من المؤلفات أشهرها: الموافقات في أصول الشريعة، الاعتصام، وغيرها.

[الأعلام ٧٥/١، معجم الأعلام (ص ٢٤)].

(٥) الموافقات في أصول الفقه [١٧/٢].

— قال الإمام الشافعي في الأم: (ولا يقع اسم مال إلا على ما له قيمة يُباعُ بها، وتكون إذا استهلكها مستهلك أدى قيمتها — وإن قلَّت — وما لا يطرحه الناس من أموالهم، مثل الفلس، وما أشبه ذلك الذي يطرحونه)<sup>(١)</sup>.

— وقال النووي<sup>(٢)</sup>: (فما لا نفع فيه ليس بمال...، ولعدم المنفعة سببان:

● أحدهما: القلَّة كالحبة والحبتين من الحنطة والزَّبيب ونحوهما.

● السَّبب الثاني: الخسة كالحشرات (وقد تغير هذا في زماننا).

والحيوان الطَّاهر ضربان:

● ضربٌ يُنتَفَع به، فيجوز بيعه كالنَّعم والخيل...

● الضَّرْبُ الثاني: ما لا يُنتَفَع به، فلا يصحَّ بيعه، كالخنافس، والعقارب، والحيات، والفأر، والتَّمَل)<sup>(٣)</sup>.

— وقال الزركشي<sup>(٤)</sup>: (ما كان منتفعاً به، أي: مُعَدَّاً لأن يُنتَفَع به)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الأم، للإمام مُحمَّد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢ (١٣٩٣هـ) [١٦٠/٥].

(٢) يحيى بن شرف بن مري، محيي الدين النووي (٦٢١ — ٦٧٦هـ): شيخ الإسلام، علامة، زاهد، كان بجرأً في معرفة الحديث رواية ودراية، والفقه، والأصول، واللغة، والتاريخ، آمراً بالمعروف، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وله من التصانيف الكثيرة النافعة ما سارت به الركبان، وأشهرها المنهاج شرح مسلم، والمجموع شرح المذهب. [العبر في خبر من غبر ٣٠٤/٢، البداية والنهاية ١٦٤/٩].

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، (١٤١٢هـ — ١٩٩١م) [٣٥٠/٣].

(٤) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل مصري المولد والوفاة، من مصنفاته: المنثور في القواعد الفقهية، والبحر المحيط في الأصول... وغيرها، توفي سنة (٧٩٤هـ). [طبقات الشافعية ١٦٧/٣، شذرات الذهب ٣٣٥/٦].

(٥) المنثور في القواعد لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمَّد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢، (١٤٠٥هـ)، [٢٢٢/٣].

## رابعاً — مذهب الحنابلة:

عرّف فقهاء الحنابلة المال بتعريفات عديدة، منها:

— قال ابن مفلح<sup>(١)</sup>: (هُوَ مَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ مُبَاحَةٌ لِعَيَرِ ضَرُورَةٍ)<sup>(٢)</sup>.

— وقال البهوتي<sup>(٣)</sup>: (هُوَ مَا يَبَاحُ نَفْعُهُ مُطْلَقاً، أَوْ اقْتِنَاؤُهُ بِلَا حَاجَةٍ، فَخَرَجَ بِهَذَا مَا لَا نَفْعَ فِيهِ كَالْحَشَرَاتِ، وَمَا فِيهِ نَفْعٌ مُحَرَّمٌ كَالْخَمْرِ، وَمَا لَا يَبَاحُ إِلَّا لِضَرُورَةٍ كَالْمَيْتَةِ، وَمَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ لِحَاجَةٍ كَالْكَلْبِ)<sup>(٤)</sup>.

— وقال ابن ضويّان<sup>(٥)</sup>: (وَهُوَ مَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ مُبَاحَةٌ)<sup>(٦)</sup>.

وعلى ذلك فيخرج من هذا التعريف عدة محترزات، فلا تعدّ مالاً، وهي:

---

(١) ابن مفلح: محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله (٧٠٨ — ٧٦٣هـ): فقيه، أصولي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، نشأ في بيت المقدس وتوفي بصالحية دمشق، من تصانيفه: الفروع، الآداب الشرعية. [ينظر: المقصد الأرشد ٥١٧/٢، العبر للذهبي ٣٢٥/١].

(٢) المبدع في شرح المقنع للإمام إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٠هـ)، [٩/٤].

(٣) البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي (١٠٠٠ — ١٠٥١هـ): شيخ الحنابلة بمصر في عصره، نسبته إلى بهوت في الغربية بمصر، وعلى كتبه مدار الفتوى عند الحنابلة اليوم، من مؤلفاته: شرح الإقناع، وشرح منتهى الإرادات. [خلاصة الأثر ٤٢٦/٤، هدية العارفين ٤٧٦/٢].

(٤) شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، للإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت، (ط ٢/ ١٩٩٦م)، [٧/٢].

(٥) إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويّان الحنبلي (١٢٧٥ — ١٣٥٣هـ): فقيه حنبلي، من أعيان علماء نجد، ولد ببلدة الرس في القصيم، وتدرّج في العلم حتّى صار من كبار علمائها، له اطلاع واسع في الفقه، ومشاركة في باقي العلوم، ولاسيما علوم العربية. [علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام (١/ ٤٠٣)].

(٦) أخصر المختصرات لمحمّد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (ط ١/ ١٤١٦هـ)، (ص ١٦٣).

١ — ما لا نفع فيه أصلاً: كالحشرات<sup>(١)</sup>. (وقد تغير هذا الأمر في زماننا)

٢ — ما فيه منفعة محرمة: كالخمر والخنزير.

٣ — ما فيه منفعة مباحة للحاجة: كالكلب.

٤ — ما فيه منفعة تباح للضرورة: كالميتة في حال المَحْصَة.

وخلاصة الأمر: لقد تغيرت النظرة للمال من كونه متقوماً أم غير متقوم بناءً على ما استجد من نفع ومادام نوع المال لم يرد في تحريمه نص يخصصه فالمصلحة والعرف كفيلا بتعريفه اليوم.

\* \* \*

---

(١) قال في اللسان، مادة (حشر): (الحَشْرَةُ: واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ والضَّبَاب ونحوها) لكن الحال قد اختلف في العصر الحاضر، إذ أصبح كثير من هذه المخلوقات يتم الانتفاع بها في المختبرات العلمية، حيث تكون محلاً للتجربة العلمية، ومن خلالها يتم التوصل إلى القوانين والنظريات العلمية التي تساعد في إيجاد الحلول لكثير من الاستفسارات والأسئلة العلمية. وإما أن تكون هذه الحشرات مصدراً للمضادات الحيوية والعلاجات التي تعين على القضاء على الأمراض التي تصيب الإنسان.

فإذا ثبت أن مثل هذه الحيوانات تشتمل على ما فيه مصلحة الإنسان بالتداوي، ودفع أذى المرض — وهي أمور أذن الشرع بها — فهي لا شك مال إذا حيزت لأجل منفعتها، بل ربّما صارت بعض أنواع الحشرات الآن مقصودة بنفسها، تباع وتشتري للقنية، وتكون ذات قيمة، فهذه الأسباب وغيرها تجعل هذه الحشرات مالاً حتّى عند الحنابلة، وما عبّر عنه الفقهاء من عدم النفع بها، إنّما هو باعتبار زمنهم، وما جرت عادة الناس به فيه، والله تعالى أعلم. ينظر: [مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، (١٧٨/٧٣)، وكشاف القناع (١٥٢/٣)].

## المطلب الثالث:

### تعريف بعض المعاصرين للمال ( السلع، والشهرة)

إن ما سبق من تعريفات يأخذ حكمه من الزمان والمكان والإمكان، فما كان غير ذي منفعة قديماً ربّما صار ذا منفعة حديثاً، لكن تبقى حرمة ما حرّمه الشرع قديماً وحديثاً، ومثال التغيير: تغيّر مفهوم السلعة، فبالرغم من أن لفظ السلعة هو لفظ دارج إلا أن مفهومه العلمي ليس بالسهولة التي قد يتصورها بعض الباحثين، ويمكن تعريف السلعة على أنّها: تلك المجموعة من العوامل الماديّة، والخدمات، والرموز التي تم تصميمها لإشباع حاجات ورغبات المستهلكين المستهدفين<sup>(١)</sup>.

والإضافة الأهم في عصرنا تطور قيمة الأمور المعنوية مثل اسم الشهرة للمتاجر، والعلامات التجارية، وحقوق الملكية الفكرية، والإضرار المعنوي... إلخ.

وهذا يدعونا إلى إضافة أبحاث جديدة في تعريف المال في عصرنا الحالي، ولعل ما يشير إلى كون الحق المعنوي مالاً هو ماجرى مع النبي ﷺ وزيد بن سعة اليهودي حين أقرضَ النبي ﷺ وزعم قاصداً أن النبي ﷺ ماطله في السداد، فقال ﷺ:

«يا عمر، أنا وهو كُنّا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحُسن الأداء، وتأمّره بحُسن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقّه، وزده عشرين صاعاً من تمر»، فقال زيد: قلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نقمتُك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ينظر: الموسوعة الاقتصادية دار ابن خلدون، بيروت، (١٩٨٠)، (ص: ٢٦٩ — ٢٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٢٢٢/٥] رقم (٥١٤٧) والحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب ذکر إسلام زيد بن سعة، رقم (٦٦٢٤)، وقال: (صحيح الإسناد)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤٠/٨]: (رجاله ثقات).



والشاهد أن النبي ﷺ أمر بإعطاء زيد تعويضاً مالياً عن التخويف الذي أصابه من عمر  
ﷺ، وهذا ملمح جميل قلّ نظيره في العالم اليوم.

خلاصة: لقد تغير مفهوم السلعة في عصرنا وأضيفت بعض الأمور التي صار  
لها تقييم مالي ومنه — مثلاً — حق الشهرة، أي: الاسم التجاري، وكذلك  
اعتبر الإسلام الحق المعنوي حقاً مالياً.

\* \* \*

## المبحث الثاني:

### تعريف الفقر والغنى

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الفقر عند اللغويين (لغة وفقهاً).

- المطلب الثاني: الفقر في القرآن والسنة ومعانيه.

- المطلب الثالث: تعريف الغنى (لغة وفقهاً).

\* \* \*

## المبحث الثاني:

### تعريف الفقر والغنى

#### المطلب الأول:

##### تعريف الفقر عند اللغويين

قال في اللسان: (الفقر والفقر: ضد الغنى، مثل الضعف والضعف...، وقدر ذلك أن يكون له ما يكفي عياله).

قال ابن عرفة<sup>(١)</sup>: (الفقر عند العرب المحتاج، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، أي: المحتاجون إليه، أما المسكين فالذي قد أذله الفقر، فإذا كان هذا إنما مسكنته من جهة الفقر حلت له الصدقة، وكان فقيراً مسكيناً، وإذا كان مسكيناً قد أذله سوى الفقر فالصدقة لا تحل له؛ إذ كان شائعاً في اللغة أن يقال: ضرب فلان المسكين، وظلم المسكين، وهو من أهل الثروة واليسار، وإنما لحقه اسم المسكين من جهة الذلة، فمن لم تكن مسكنته من جهة الفقر فالصدقة عليه حرام<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني: (الفقر يستعمل على أربعة أوجه:

---

(١) ابن عرفة: هو إبراهيم بن محمد بن عرفة قال الثعالبي: لقب نفطويه تشبيهاً بإياه بالنفط، لدمايته وأدمته، وقدر اللقب على مثال سيبويه لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه، وأنشدوا: لو أنزل النحو على نفطويه... [معجم الأدباء ١/٣٨، المزهرة ٢/٢٤٢، بغية الوعاة ١/٣٢٢].

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (فقر)، شرح معاني الآثار [٢٩٨/٣].

**الأول:** وجود الحاجة الضرورية، وذلك عامٌ للإنسان ما دام في دار الدنيا، بل عامٌ للموجودات كلّها، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

**والثاني:** عدم وجود المفتتات حالاً، وهو المذكور في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا...﴾ [البقرة: ٢٧٣].

**الثالث:** فقر النفس، وهو المقابل بقوله ﷺ: «...وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(١)</sup>.

**الرابع:** الفقر إلى الله، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وبهذا ألمّ الشاعر، فقال:

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ  
لِيُعْجِبَنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ<sup>(٢)</sup>

قال ابن تيمية<sup>(٣)</sup>: (ولفظ: (الفقر) في الشرع يُراد به الفقر من المال، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه).

إذاً: الفقر على وجهين:

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم (١٠٥١).

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (فقر).

(٣) هو شيخ الإسلام وحافظ الدين المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحارثي الحنبلي، ولد بجران يوم الاثنين (١٠/٣/٦٦١هـ)، وتوفي — رحمه الله — ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة ٧٢٨هـ. [الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، (ص ١٤)].

الوجه الأول: عدم وجود المال والمرافق، وخلو الأيدي من الأملاك، وهذا هو الفقر الذي أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منه.

الوجه الثاني: فقر الآخرة، وهو ما جاء في الحديث: «تَتَذَرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

فهو الفقر الذي يمكن أن يكون النبي ﷺ قد عناه أيضاً، وأمر بالتعوذ منه<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

(٢) بحر الفوائد: (ص ١٣٥).

## المطلب الثاني:

### الفقر في القرآن والسنة ومعانيه

#### ١- الفقر في القرآن:

وردت مادة (فقر) في ثلاثة عشر موضعاً، بيّناها فيما يلي:

أولاً — لفظة: (فقر، الفقر) جاءت في موضع واحد وحسب، وهو قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وهي آية مدنية<sup>(١)</sup>.

ثانياً — لفظة: (فقير، الفقير) جاءت في خمسة مواضع، وهي:

أ — قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وهي مدنية<sup>(٢)</sup>.

ب — وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، وهي مدنية<sup>(٣)</sup>.

ج — وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، وهي مدنية<sup>(٤)</sup>.

د — وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: ٢٨]، وهي مدنية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، (١٤٠٤هـ) [١٩/١].

(٢) المرجع السابق [٣٤٩/١].

(٣) المرجع السابق [٣٤٩/١].

(٤) المرجع السابق [٣٤٩/١].

(٥) المرجع السابق [١٩/١].

هـ — وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الفصل: ٢٤]، وهي  
مكية<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: لفظة: (فقراء، الفقراء) جاءت في سبعة مواضع، وهي:

أ — في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوَتُّوهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وهي  
مدنية.

ب — وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وهي  
مدنية.

ج — وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، وهي  
مدنية<sup>(٢)</sup>.

د — وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، وهي مدنية<sup>(٣)</sup>.

هـ — وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾  
[فاطر: ١٥]، وهي مكية<sup>(٤)</sup>.

و — وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ...﴾ [محمد: ٣٨]، وهي مدنية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) زاد المسير [٢٠٠/٦].

(٢) المرجع السابق [٣٨٨/٣].

(٣) المرجع السابق [٣/٦].

(٤) المرجع السابق [٤٧٢/٦].

(٥) المرجع السابق [٣٩٥/٧].

ز — قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، وهي مدنية<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ في ورود هذه المادة ما يلي:

— أول موضع جاءت فيه مادة (فقر) — بحسب ترتيب المصحف — جاءت بصيغة المصدر (الفقر) في سورة مدنية، هي سورة البقرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

جاء في أيسر التفاسير لأسعد حومد: (الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنْكُمْ مِنَ الْفَقْرِ، لَتَمْسِكُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَا تُنْفِقُوهُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الرِّزْقِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَمَا فِيهِ خَيْرُكُمْ، وَالْفَضْلُ: هُوَ الرِّزْقُ).

— ثُمَّ إن هذه المادة جاءت في السور المدنية، ولم تأت في السور المكية إلا في موضعين اثنين:

الأول: في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وهي مكية، وهي في تقرير حاجة الإنسان لرزق ربه من الطعام، فاللام في (لما) بمعنى (إلى)، وتقدير الآية: ربِّ إني إلى ما أنزلت إلي من خير فقير، وأراد بالخير الطعام<sup>(٢)</sup>.

الثاني: في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وهي مكية، وهذه الآية في تقرير حاجة الإنسان الضرورية أيضاً إلى

(١) زاد المسير [١٩/١].

(٢) المرجع السابق [٢١٣/٦].



الله سبحانه وتعالى، هو المستحق أن يُفرد بالعبادة دون سواه، وهذا ما يعرف بتوحيد الألوهية<sup>(١)</sup>.

— وهذا المعنى الذي قرره هاتان الآيتان المكيّتان جاء في الآيات المدنية، في موضعين مقرونين بمعنى الحظ على الصدقة والبذل:

أولهما: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا...﴾ [آل عمران: ١٨١]<sup>(٢)</sup>.

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (فقر).

(٢) هذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره ٤٥٥/٧ قال: حدثنا به القاسم قال، حدثنا الحسين قال،

حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: قال عكرمة: في قوله: ﴿تَبْلُون فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ

أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، قال: (نزلت هذه الآية في النبي

ﷺ، وفي أبي بكر ﷺ، وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رحمه

الله إلى فنحاص يستمده، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: «لَا تَفْتَاتَنَّ عَلَيَّ بِشَيْءٍ حَتَّى تَرْجِعَ»،

فجاء أبو بكر وهو متوشّح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربكم أن غده؟! فهمّ

أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لَا تَفْتَاتَنَّ عَلَيَّ بِشَيْءٍ حَتَّى تَرْجِعَ». وهذا الحديث

مرسل في سنده مدلس وضعفاء.

ثم أخرجه الطبري بنحوه من حديث السدي [٤٤٣/٧]، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا

أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي بنحوه وهو أيضاً مرسل ضعيف، والنتيجة أن الحديث

صار حسناً لغيره].

وقال آخرون: لما أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[البقرة: ٢٤٥]، قالت اليهود: نرى إله محمد يستقرض منا، فنحن إذن أغنياء وهو فقير، وهو ينهانا عن

الربا ثم يعطينا الربا، وأرادوا قوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره [٢٢٨/٣] من حديث محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد،

عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: (دخل أبو بكر الصديق ﷺ بيت

ثانيهما: في قوله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] (١).

وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء: المظلومين، والمهاجرين.

المدراس، فوجد من يهود أناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فَنَحَاص، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خَبْرٌ يقال له: أشيع. فقال أبو بكر: ويحك يا فَنَحَاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً ﷺ رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله — يا أبا بكر — ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير!! ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويُعْطِنَاهُ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا!!

فغضب أبو بكر ﷺ فضرب وجه فَنَحَاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأَكْذَبُونَا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتُ؟» فقال: يا رسول الله، إن عَدُوَّ اللَّهِ قد قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غَضِبْتُ اللَّهَ مما قال، فضربت وجهه، فَجَحَدَ ذَلِكَ فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾ (الآية). [وهذا حديث حسن].

[تفسير الرازي، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/ ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م، (٩/ ٩٥).]

(١) قال القرطبي في تفسيره: (قوله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ ﴾ أي هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تُدْعَوْنَ ﴿لِتُتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في الجهاد وطريق الخير ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ أي: على نفسه، أي: يمنعها الأجر والثواب ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ أي: أنه ليس بمحتاج إلى أموالكم ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه). [تفسير القرطبي ١٦/ ٢٥٨].

فقال في الصنف الأول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وهذه صفة الذين مُنعوا من التكسب ولا يُظهرون فقرهم وحاجتهم.

وقال في الصنف الثاني: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وهذه صفة المهاجرين الذين أُكْرِهوا على ترك بلدهم وهم أغنياء؛ إذ أُجبروا على ترك أموالهم أيضاً، فهم فقراء اضطراراً وقهراً لا اختياراً<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الفقر في السُّنَّة:

وقد جاءت هذه المادة في السُّنَّة المشرفة بالألفاظ نفسها، وبمعانيها، وورد في السُّنَّة ذكر الفقر بمعنى فقر النفس والقلب، وهو في حقيقته يعود إلى معنى الفقر الذاتي في الناس إلى الله تعالى.

ففي الحديث الذي أخرجه الحاكم وابن حبان عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟»، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَرَى قَلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية [٣٠/١].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم (٨٠٤٦)، وابن حبان في صحيحه في كتاب الرقاق، باب ذكر كتبة الله جل وعلا للمسلم الفقير، رقم (٦٨٤).

وفقر القلب: خلوه من دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وبُعدُه عن المشاهدة التامة لفاقته وحاجته إلى الله تعالى من كل وجه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر: (إِنَّمَا يَحْصُلُ غِنَى النَّفْسِ بِغِنَى الْقَلْبِ، بَأَن يَفْتَقِرَ إِلَى رَبِّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، فَيَتَحَقَّقُ أَنَّهُ الْمَعْطَى الْمَانِعَ، فَيَرْضَى بِقَضَائِهِ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمَائِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ ضُرَائِهِ، فَيَنْشَأُ عَنِ افْتِقَارِ الْقَلْبِ لِرَبِّهِ غِنَى نَفْسِهِ عَنِ غَيْرِ رَبِّهِ تَعَالَى)<sup>(٢)</sup>.

### ٣- ورد الفقر بالمعاني التالية:

أولها: يطلق مصطلح الفقر بمعنى حاجة الإنسان إلى غيره، وبهذا الإطلاق كل الناس فقراء إلى الله، وهذا هو الفقر المطلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

ثانيها: بمعنى فقر النفس والقلب، وهو خلو القلب من دوام الافتقار إلى الله تعالى في حال، وبُعدُه عن مشاهدة فاقته التامة إلى الله تعالى من كل وجه.

ثالثها: ويطلق الفقر بمعنى قلة المال، وهو على نوعين:

١ — قليل المال مع وجود القوت والكفاف.

٢ — قلة المال مع فقد القوت والكفاف، وصاحبه يحتاج الناس<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

---

(١) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: لابن قيم الجوزية مُحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: دار الكتاب العربي — بيروت، لبنان، (ط: ٢١)، حَقَّقَهُ: مُحمد حامد الفقي [٤٤٤/٢].

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني [٢٧٣/١١].

(٣) ينظر: المرجع السابق [٢٧٤/١١].

## المطلب الثالث:

### تعريف الغنى

قال في اللسان: (الغَنِيُّ من أَسْمَاءِ اللَّهِ عز وجل، وقال ابن الأثير<sup>(١)</sup>: هو الذي لا يَحْتَاجُ إلى أحدٍ في شيءٍ، وكلُّ أحدٍ مُحتَاجٌ إليه، وهذا هو الغنى المطلق، ولا يُشارك الله تعالى فيه غيره).

ومن أَسْمَائِهِ: الْمُغْنِي سُبْحَانَهُ وتعالى، وهو الذي يُغْنِي من يشاء من عِبَادِهِ.

وفي الحديث: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهَرِ غَنِيٍّ»<sup>(٢)</sup>، أي: ما فَضَلَ عن قُوتِ العِيَالِ وكِفَايَتِهِمْ، فإذا أُعْطِيَتْهَا غَيْرُكَ أَبْقَيْتَ بَعْدَهَا لَكَ وَلَهُمْ غَنِيٌّ، وكانت عن اسْتِغْنَاءٍ مِنْكَ وَمِنْهُمْ عَنْهَا.

وقيل: خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أُغْنِيَتْ بِهِ من أُعْطِيَتْهُ عن المسألة<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني<sup>(٤)</sup>: (الغنى يقال على ضروب:

---

(١) المبارك بن محمد بن محمد الشيباني، أبو السعادات، مجد الدين المعروف بابن الأثير الجزري (٥٤٤هـ—٦٠٦هـ): ولد بجزيرة ابن عمر فوق الموصل، ونشأ بها، ثم تحوّل إلى الموصل. كان ورعاً، فاضلاً، ذا برٍّ وإحسان، وكان كاتباً، حاسباً، ذكياً. تولى ديوان رسائل عز الدين مسعود الأتابكي إلى أن توفي، فاتصل بولده نور الدين أرسلان شاه، فعُظِمَ قَدْرُهُ وحُرِّمَتْهُ. ثم عَرَضَ له مرضٌ في أطرافه مَنَعَهُ من الكتابة، فلزِمَ داره، وصار يغشاه الأكابر والعلماء. وأنشأ رباطاً في قرية وَقَفَ عليه أملاكه. من مصنفاته: جامع الأصول في أحاديث الرسول، النهاية في غريب الحديث، الشافي في شرح مسند الشافعي. ينظر: [طبقات الشافعية ١٥٣/٥، تذكرة الحفاظ ١٣٩٩/٤، سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٢١].

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٤٢٦)، ومسلم عن حكيم بن حزام في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم (١٠٣٤).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (غنا).

(٤) الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل، وقيل الحسين بن مفضل، وقيل الفضل ابن محمد، وقيل غير ذلك المتوفى (٤٢٥هـ): من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، وسكن بغداد

أحدها: عدم الحاجات، وليس ذلك إلا الله تعالى، وهو المذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والثاني: قلة الحاجات، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، وذلك هو المذكور في قوله ﷺ: «وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(١)</sup>.

والثالث: كثرة القنيات<sup>(٢)</sup> بحسب ضروب الناس، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: ٤٨] جاء في تفسير البغوي: (قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال، وأقنى أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية. قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال، وأقنى بالإبل والبقر والغنم).

وقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]، وقوله: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أي: لهم غنى النفس، ويحسبهم الجاهل أن لهم القنيات لما يرون فيهم من التعفف والتلطف.

---

واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، وله كتب منها: (محاضرات الأدباء)، (مفردات القرآن)، (الذريعة إلى مكارم الشريعة). [الأعلام ٢/٢٧٩، ومعجم المؤلفين ٤/٥٩].

(١) تقدم تخريجه ص ٥١.

(٢) قال في اللسان: (القُنْيَةُ الكِسْبَةُ، والكلمة واوية ويائية، والقُنْيَةُ ما اكتسب والجمع قُنْيٌ، وقد قَنَاهُ الله تعالى وأَقْنَاهُ أعطاه ما يَفْتَنِي من القُنْيَةِ والنَّسَبِ وأَقْنَاهُ الله أيضاً أي رَضَّاهُ وأَغْنَاهُ الله وأَقْنَاهُ أي أعطاه ما يَسْكُنُ إليه) [ينظر: لسان العرب مادة (قنا)].

ومن هذا قوله ﷺ لمعاذ: «خذ من أغنيائهم، وردد في فقرائهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى هو ما أراده الشاعر بقوله: (قد يكثر المال والإنسان مفتقر)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر في الفتح عند شرحه قول البخاري: (باب قول الله عز وجل ﴿لَا يَسْأَلُونَ

النَّاسَ إِيحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وكم الغنى):

(وأما قول المصنف في الترجمة: (وكم الغنى) فلم يذكر فيه حديثاً صريحاً، فيحتمل أنه أشار إلى أنه لم يرد فيه شيء على شرطه، ويحتمل أن يستفاد المراد من قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الذي لا يجد غنى يغنيه»<sup>(٣)</sup>، فإن معناه: لا يجد شيئاً يقع موقعاً من حاجته، فمن وجد ذلك كان غنياً، وقد ورد فيه ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ»، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ»<sup>(٤)</sup>، وفي إسناده حكيم بن جبير<sup>(٥)</sup>، وهو ضعيف، وقد تكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

(٢) عجز بيت لأبي يعقوب الخريمي، صدره: (العيشُ لا عيشٌ إلا ما قنعتَ به)، كذا عزاه ابن عبد البر في جملة المجالس [٤٠/١]. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (غني).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِيْحَافًا﴾، رقم (١٤٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي عن ابن مسعود في كتاب الزكاة، باب ما جاء من تحل له الزكاة، رقم (٦٥٠) وقال: حديث حسن، وأبو داود، كتاب الزكاة، باب من يُعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم (١٦٢٦).

(٥) حكيم بن جبير: هو حكيم بن جبير الأسدي ويقال مولى الحكم بن أبي العاص الثقفي الكوفي، روى عن أبي حنيفة وأبي الطفيل وإبراهيم النخعي وغيرهم وعنه الأعمش والسفيانان. [تهذيب التهذيب ٣٨٣/٢].

وعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار» — أو: «من جَمَرَ جهنم» — ، فقالوا: يا رسول الله ، وما يُغنيه ؟ قال: «قدر ما يُغديه ويُعشّيه»، وفي موضع آخر: «أن يكون له شبع يوم وليلة، أو ليلة ويوم»<sup>(١)</sup>.

قال الترمذي في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (والعمل على هذا عند بعض أصحابنا كالثوري<sup>(٢)</sup>، وابن المبارك<sup>(٣)</sup>، وأحمد، وإسحاق)، قال: (ووسع قوم في ذلك فقالوا: إذا كان عنده خمسون درهماً أو أكثر — وهو محتاج — فله أن يأخذ من الزكاة، وهو قول الشافعي وغيره من أهل العلم)<sup>(٤)</sup>.

وقال الشافعي — رحمه الله — : (قد يكون الرجل غنياً بالدرهم مع الكسب، ولا يغنيه الألف مع ضعفه في نفسه وكثرة عياله).

وفي المسألة مذاهب أخرى:

أحدها: قول أبي حنيفة — رحمه الله — : إن الغني من مَلَك نصاباً فيحرم عليه أخذ الزكاة، واحتجَّ بحديث ابن عباس — رضي الله عنهما — في بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة، رقم (١٦٢٩)، وابن حبان في صحيحه في كتاب البر والإحسان، باب الجار، رقم (٥٤٥).

(٢) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (٩٧ — ١٦١هـ): أمير المؤمنين في الحديث، أحد الأئمة المجتهدين من تابعي التابعين، فقيه، زاهد، ورع، روى عن الأوزاعي، والأعمش وغيرهم، وروى عنه خلق كثير، صنف كتاب الجامع، توفي بالبصرة ولم يعقب. [الطبقات الكبرى ٣٧١/٦، تهذيب الكمال ١١/١٥٤، سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩].

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح (١١٨ — ١٨١هـ): الإمام الحافظ، جمع العلم والفقه، والأدب، والتَّحْوِ واللغة، والزهد، والفصاحة، والعبادة، روى عن سليمان التيمي، وحמיד الطويل وغيرهم، وروى عنه الثوري وابن عيينة وخلق كثير، وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة. [تهذيب التهذيب ٥/٣٣٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ — ٢٧٩].

(٤) أخرجه الترمذي عن ابن مسعود في كتاب الزكاة، باب ما جاء من تحل له الزكاة، رقم (٦٥٠).



وقول النبي ﷺ له: «تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم»<sup>(١)</sup>، فوصف من تؤخذ الزكاة منه بالغني، وقد قال: «لا تحل الصدقة لغني»<sup>(٢)</sup>.

ثانيها: أن حدّه من وجد ما يغدّيه ويعشّيه على ظاهر حديث سهل بن الحنظلية، حكاه الخطابي عن بعضهم، ومنهم من قال: وجهه من لا يجد غداء ولا عشاء على دائم الأوقات.

ثالثها: أن حدّه أربعون درهماً، وهو قول أبي عبيد بن سلام<sup>(٣)</sup> على ظاهر حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وهو الظاهر من تصرّف البخاري؛ لأنه أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقد تضمن الحديث المذكور أن من سأل وعنده هذا القدر فقد سأل إحفاً<sup>(٤)</sup>.

وهنا يجب الوقوف عند تقعيد النبي ﷺ لقانون بداية الحاجة ونهايتها، وهو ما يُسمى بحدّ الفقر الذي تعتمد عليه اليوم الهيئات الدولية.

ومما يراد من هذا التفصيل أن يصل البحث إلى مايلي:

أنه يجب التنبيه إلى أن الله عزّ وجل لم يصف النبي ﷺ بالفقر المطلق؛ لأنه كان يملك مالاً، لكنه يحتاج أكثر مما يملك، خاصة أنه أمره بالتفرُّغ التام لتبليغ الرسالة، وهذا شأن الله تعالى مع جميع رسله — صلوات الله عليهم أجمعين — .

---

(١) تقدم آنفاً في ص ٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة، باب من لا تحل له الصدقة، رقم (٦٥٢)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة، رقم (١٦٣٤).

(٣) أبو عبيد بن سلام: إمام مشهور له تصانيف نافعة منها غريب الحديث اسمه القاسم بن سلام البغدادي الإمام المشهور، ثقة فاضل مصنف، ت (٢٢٤هـ). [تاريخ بغداد ١٢/٤١٥، تقريب التهذيب ١٩/٣].

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر [٣/٣٤١]، وتحفة الأحوذى بشرح الترمذي للمباركفوري [٣/٢٥٠] — [٢٥٣].

وعليه: فلا يصح وصف النبي ﷺ بالفقير مطلقاً، أو القول بأن الفقر كان الغالب على حاله في جميع أوقات حياته ﷺ.

\* \* \*

## **المبحث الثالث:**

### **بيان بعض القواعد الاقتصادية**

**في القرآن الكريم**

**والسنة النبوية**

\* \* \*

## المبحث الثالث:

### بيان بعض القواعد الاقتصادية

#### في القرآن والسنة

الإنسان بفطرته ميال إلى المال، يحب جمعه والتفاخر به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

كما أنه يحب — من طريق المال — أن يحقق رغباته ويُسبِعَ نَهْمَهُ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْهُوَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ مِنْهُمُ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>، وكلُّ ذلك غريزة لا فكاك منها، قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

والإسلام لا يكبت هذا الميل ولا يتجاهله، ولكنه ينظمه ويوجهه بما يليق بالمسلم ووظيفته في الحياة، فيطالب المسلم بالكسب الحلال الطيب، وصرفه في مصارفه المشروعة (الواجبة، والمندوبة، والمباحة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) تفسير القرطبي [١٦٢/٢٠].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب العلم، رقم (٢٨٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وزاد: ولم أجد له علة، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٠٩٣٢)، والدارمي في مقدمته، باب فضل العلم، رقم (٣٤٠).

آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿البقرة: ٢٦٧﴾.

كما أن الشارع الحكيم لم يبيح له أن ينفق المال فيما يضر بنفسه أو مجتمعه، وإنما يتصرف به بحكمة وفقاً لمراد الشارع، وعندئذ يكون معتدلاً في نفقته، قائماً بالقسط، فإن تجاوز الحد المشروع فإنه يدخل بذلك دائرة الإسراف والتبذير.

وهما — أي: الإسراف والتبذير — من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية التي تهدد الأمم والشعوب بالوقوع في أودية الترف والبذخ، والأشر والبطر، ومن ثم تتعرض للهلاك العام العاجل.

ومع محاربة الإسلام لهذه الآفة (الإسراف والتبذير)، يحارب كذلك ما يقابلها من الآفات، كالبخل، والشح، والتقتير، ومنع الزكاة...، وما إلى ذلك.

فإذا ما تتبعنا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، نجد في هذه الآيات الأربع القواعد الاقتصادية النازمة للكون.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فيه خطاب يدعو الناس كافة إلى عبادة خالق واحد، وخط واضح يرسمه الخالق لهم.

ثُمَّ يَجِيءُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ لِيَعْلَمُنَا أَصْلَ  
المعاملات المالية، وهو على قسمين:

● الاحتراز من الأموال المحرمة.

● عدم التعدي على أموال الغير (وهذا القسم يمكن إدراجه تحت ما قبله)  
والملاحظ أن في الآيات السابقة خطابين:

الأول: خطاب عام للجميع بلفظ (الناس)، وهو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ  
حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

والثاني: خطاب خاص بالمؤمنين، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ  
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ  
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

ثُمَّ فَصَّلَ الخطاب الأخير إلى قسمين:

أمرٌ في قوله: ﴿كُلُوا﴾، ونهيٌ في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾.

فهذه الدعائم توضح المرتكزات التي تُبنى عليها القواعد الاقتصادية<sup>(١)</sup>.

فالله سبحانه وتعالى بيّن أنه هو الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم  
أن يأكلوا مما في الأرض حال كونه حلالاً من الله تعالى طيباً، أي: مستطاباً في نفسه، غير  
ضار للأبدان ولا للعقول.

---

(١) البلاغة العالية في آية المداينة للدكتور سعيد جمعة (ص ١٦).

ونَهَاهُمْ عَنْ اتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ طَرائِقُهُ وَمَسَالِكُهُ مِمَّا أَضَلَّ بِهِ أَتْبَاعَهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحَائِرِ<sup>(١)</sup>، وَالسَّوَابِ<sup>(٢)</sup>، وَالْوَصَائِلِ<sup>(٣)</sup> وَنَحْوِهَا مِمَّا زَيَّنَهُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه<sup>(٥)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ<sup>(٦)</sup> عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ<sup>(٧)</sup> عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»<sup>(٨)</sup>.

(١) البَحِيرَةُ: الناقة، كانت في الجاهلية إذا وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ شَقُّوا أَذْنَهَا وَأَعَفَوْهَا أَنْ يُنْتَفَعَ بِهَا، وَلَمْ يَمْنَعُوهَا مِنْ مَرَعَى وَلَا مَاءٍ، وَقَدْ أَبْطَلَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ. [المعجم الوسيط ٤٠/١، المغرب في ترتيب المعرب ٥٧/١].  
(٢) السَّائِبَةُ: الناقة التي كانت تسبب في الجاهلية لندرها، أو لأنها وَلَدَتْ عَشْرَةَ أَبْطُنٍ كُلُّهَا إِنَاثًا. [المعجم الوسيط ٤٦٦/١، معجم لغة الفقهاء (ص ٢٨٢)].

(٣) الوَصِيلَةُ: ما يوصل به الشيء والرفقة والأرض الواسعة البعيدة كأنها وصلت، وفي الجاهلية الناقة التي وصلت بين عشرة أَبْطُنٍ، وَمِنْ الشَّاءِ التي وصلت سبعة أَبْطُنٍ عُنَاقِينَ عُنَاقِينَ، فَإِنْ وَلَدَتْ فِي السَّابِعَةِ عُنَاقًا وَجَدِيًّا، قِيلَ: وَصَلَتْ أَحَاها فَلَا يَذْبَحُونَ أَحَاها مِنْ أَجْلِهَا، وَلَا يَشْرَبُ لَبَنُ الْأُمِّ إِلَّا الرِّجَالُ دُونَ النِّسَاءِ، وَتَجْرِي مَجْرَى السَّائِبَةِ. [المعجم الوسيط ١٠٣٨/٢، المغرب في ترتيب المعرب ٣٥٧/٢].

(٤) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ لِلْإِمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَثِيرٍ الدَّمَشَقِيِّ، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت (١٤٠١هـ) [٢٠٤/١].

(٥) عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ بْنُ أَبِي حِمَارٍ التَّمِيمِيُّ الْمَجَاشِعِيُّ، لَهُ صَحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، رَوَى عَنْهُ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَيزِيدُ بْنُ الشَّخِيرِ، وَالْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ وَغَيْرُهُمْ، وَخَرَّجَ حَدِيثَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ. [الإصابة ٦٢٥/٤، وأسد الغابة ٢٢/٤].

(٦) النَّحْلُ: الْعَطِيَّةُ وَالْهَبَةُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ عَوَضٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ، يُقَالُ: نَحَلَهُ يَنْحُلُهُ نُحْلًا بِالضَّمِّ، وَالنَّحْلَةُ بِالْكَسْرِ: الْعَطِيَّةُ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر

الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م)، مادة (نحل)].

(٧) أَي: اسْتَحَفَّتْهُمْ فَجَالُوا مَعَهُمْ فِي الضَّلَالِ، يُقَالُ: جَالَ وَاجْتَالَ: إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ، وَمِنْهُ الْجَوْلَانُ فِي الْحَرْبِ، وَاجْتَالَ الشَّيْءُ إِذَا ذَهَبَ بِهِ وَسَاقَهُ، وَالْجَائِلُ: الرَّائِلُ عَنْ مَكَانِهِ. [النهاية لابن الأثير، مادة (جول)].

(٨) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، فِي كِتَابِ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، رَقْم (٢٨٦٥).

خاتمة:

إن الإسلام الذي جعل ما في السماوات والأرض مُسَخَّرًا للناس أمرهم أن يتبعوا خطوات محددة في الكسب والإنفاق لكي يسعد الناس جميعاً، ويمنع بذلك البغي وطغيان النفس البشرية.

\* \* \*



## المبحث الرابع:

توكيل علي عليه السلام بوفاء الديون

وأثره

\* \* \*

## المبحث الرابع:

### توكيل علي رضي الله عنه بوفاء الديون وأثره

قال المباركفوري في الرحيق المختوم: (بعد أن تَمَّت بيعة العقبة الثانية، ونَجَح الإسلام في تأسيس وطن له<sup>(١)</sup> وسط صحراء تَمُوج بالكفر والجهالة — وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته — أَذِنَ رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن.

ولم يكن معنى الهجرة إلا إهدار المصالح، والتَّضحية بالأموال، والنَّجاة بالشخص فحسب، مع الإشعار بأنه مُسْتَبَاح مَنْهُوب قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مُبْهَم، لا يُدْرَى ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان.

وبدأ المسلمون يهاجرون وهم يعرفون كل ذلك، وأخذ المشركون يَحُولُونَ بينهم وبين خروجهم؛ لما كانوا يحسُّون به من الخطر<sup>(٢)</sup>.

ثمَّ بعد هجرة كثيرٍ من المسلمين إلى الوطن الجديد، عزم النَّبي ﷺ على الهجرة إلى المدينة المنورة، إلا أنَّ بعض ما كان يشغله ويقلق فكره وجود الكثير من الأمانات والودائع لأهل قريش، فلعلَّه كان يُخَطِّط لإرجاعها من غير علم أهل مكة بخروجه، تحاشياً للاصطدام معهم، وتَجَنُّباً لأذيتهم.

فما كان منه ﷺ إلا أن أمر علياً رضي الله عنه أن ينام في فراشه تمويهاً على المشركين الذين أرادوا قتله تلك الليلة، وليؤدي عنه الأمانات والودائع إلى أهل مكة، والتي تركها عند أم أيمن — رضي الله عنها —<sup>(٣)</sup>.

---

(١) قصد بذلك المدينة المنورة، دار هجرته ﷺ

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري، (ص ١٧٣).

(٣) ينظر: [تاريخ الطبري ٥٦٩/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٧٨/٣، وتاريخ ابن خلدون للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط ٥، (١٩٨٤م)، ٤٢٢/٢، والرياض

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup>: (وأقام عليٌّ ﷺ بمكة بعد النَّبيِّ ﷺ ثلاث ليال وأيامها، حتَّى أَدَّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

حتَّى إذا فرغ منها لَحِقَ برسول الله ﷺ، ولم يَقم بقاء إلا ليلة أو ليلتين<sup>(٢)</sup>).

إنَّ في أمر النبي ﷺ لعليٍّ ﷺ بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة ملحظاً بديعاً، فعلى الرغم من هذه الظروف الشَّديدة التي كان يُفترَض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التَّفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته وحسب، مع كل ذلك ما كان لينسى أو ينشغل عن رَدِّ الأمانات إلى أهلها، ولو في أصعب الظروف التي تُنسي الإنسان حاجة نفسه، فضلاً عن حاجة غيره<sup>(٣)</sup>.

خلاصة: إن رد هذه الأمانات قطع الطريق على كلِّ مُحاولٍ أو ظانٍ من قريش أنه يُمكن أن يشتري إيقاف الدعوة بالمال، فالموقف الذي وقفه النبي ﷺ لا يُمكن تكراره، بل يصعب تخيله؛ إذ كيف يُحيط بيتك من يريد قتلَكَ ثمَّ بعد ذلك تكلف من يردُّ له ماله!!

\* \* \*

---

النضرة في مناقب العشرة للإمام أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، تحقيق: عيسى محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، (١٩٩٦م)، ٤٤٥/١.

(١) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثران العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي مولا هم المدني، صاحب السيرة النبوية ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب. [سير أعلام النبلاء ٤١/٧]

(٢) السيرة النبوية لابن هشام [١١/٣].

(٣) الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م، (ص: ٣٦٤).

## المبحث الخامس:

### تعامله ﷺ المالي مع قريش ودور أمانته المالية في الدعوة

\* \* \*

## المبحث الخامس :

### تعامله ﷺ المالي مع قريش،

### ودور أمانته المالية في الدعوة

كان النبي ﷺ أحد أفراد مكة، ولذلك كان له بعض المعاملات التجارية من بيع، وشراء، وعمل مع أهل مكة — بحكم نشوئه بينهم ومعيشته معهم — .

وعمل ﷺ برعي الغنم، وكان ﷺ يشارك السائب بن أبي السائب قبل الإسلام في التجارة، وأنه ﷺ تاجرَ بِمالِ خديجة — رضي الله عنها — .

وعن عبد الله بن أبي الحمساء<sup>(١)</sup> قوله: (بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبْعَثَ...) <sup>(٢)</sup>.

وعن ربيعة بن عباد الديلي<sup>(٣)</sup> أنه قال: (رأيتُ أبا هب بعكاظ<sup>(٤)</sup>) وهو يتبع رسول الله ﷺ، وهو يقول: يا أيها الناس، إن هذا قد غَوَى فلا يُعَوِّنُكُمْ عن آلهة آبائكم، ورسول الله

---

(١) عبد الله بن أبي الحمساء: صحابي جليل اختلف في نسبه وكنيته، وقيل إنه هو عبد الله بن جدعان، ورجح ابن حجر أنه غيره، وقيل سكن مكة، وحديثه عند أبي داود والبخاري. [أسد الغابة: ٣ / ٢١٧، الطبقات الكبرى: ٤٠ / ٧، الإصابة: ١١٨ / ٢].

(٢) ينظر ذلك في الباب الثاني من البحث، عند الحديث عن مصادر دخله ﷺ، وتجارته، ص ١٦٠.

(٣) ربيعة بن عباد الديلي الحجازي: رأى النبي ﷺ بسوق ذي الحجاز قبل أن يسلم، ثم أسلم، وشهد اليرموك. وقال البخاري وغيره: له صحبة. ولأريب في سماع ربيعة من النبي ﷺ، ولكن كان قبل أن يسلم. حدث عنه: محمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وأبو الزناد، وزيد ابن أسلم. توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك. [سير أعلام النبلاء: ٥١٧ / ٣، أسد الغابة: ٢ / ٢١٣، الإصابة: ٥٠٩ / ١].

(٤) عكاظ: سوق عكاظ المشهور، وكان هذا السوق في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحويزة اليوم، وهو شمال شرق الطائف، على مسافة خمسة وثلاثين كيلاً في أسفل وادي شرب وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك؛ لأن الأماكن المذكورة في حوادث عكاظ - كالعباء، وشرب والحريرة - ما زالت معروفة في ذلك الحيز. [المعالم الأثرية في السنة والسير: محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، ط ١،

ﷺ يَفِرُّ مِنْهُ، وَهُوَ عَلَى أَثَرِهِ وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ — وَنَحْنُ غُلَّامَان — ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحُولَ  
ذَا غَدِيرَتَيْنِ<sup>(١)</sup>.

فنستنتج من هذا الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ الْأَسْوَاقَ فِي مَكَّةَ، وَذَلِكَ  
لِغَايَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، هُمَا:

الأولى: للدعوة إلى الإسلام، فقد ورد في رواية أخرى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ،  
قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»<sup>(٢)</sup>.

الثانية: للتجارة والمعاملات المالية، وتكسب الرزق والقوت — كما سيأتي في الباب  
الثاني — <sup>(٣)</sup>.

ولقد كان تعامله ﷺ المالي وغيره مع قريش يتسم بالصدق، والوفاء، وعدم المحاباة  
والمدارة، لذلك قال السائب بن أبي السائب: (بأي أنت وأمي، كنت شريكي فنعمة  
الشريك، كنت لا تُداري ولا تُماري)<sup>(٤)</sup>.

فهو يصف النبي ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلِيْنِ الْمَعَامَلَةِ.

---

(١١٤١١هـ، ١٩٩١م)، (ص: ٢٠٤)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن  
زوير البلادي، دار مكة، ط١، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، (ص: ٢١٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عباد، رقم (١٥٩٦٢)، و(١٥٩٦٤)، والطبراني في  
المعجم الكبير، رقم (٤٤٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة، رقم (١٥٩٦٥)، والحاكم في المستدرک في کتاب  
الإيمان، رقم (٣٩)، وصححه ابن حبان في کتاب التاريخ، باب كتب النبي ﷺ، رقم (٦٥٦٢).  
(٣) ينظر: ص (١٦٠).

(٤) سيأتي تخريجه (ص: ١٤١) والمرأء: الجدال، والتَّماري والمماراة: المُجادلة على مذهب الشكِّ والرَّيبة،  
ويقالُ لِلْمُنَاطَرَةِ: مُماراة؛ لأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَيَمْتَرِيهِ، كَمَا يَمْتَرِي الْحَالِبُ  
اللَّيْنِ مِنَ الصَّرْعِ. ينظر النهاية لابن الأثير، مادة (مرا).

وقال عبد الله بن أبي الحمساء: (بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ»<sup>(١)</sup>).

قال في عون المعبود ومرفاة المفاتيح: (كان انتظاره ﷺ لصدق وعده، لا لقبض ثمنه)<sup>(٢)</sup>.

ولقد شبَّ رسول الله ﷺ وحفظُ الله يكلؤه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته، حتَّى بلغَ أن كان أفضلَ قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا، وأعزَّهم جوارًا، وأكرمهم حسَبًا، وأعظمهم حِلْمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش وما يندس الرجال من سيئ الأخلاق تنزُّهاً وتكرُّماً، حتَّى ما كان اسمه في قومه إلا الأمين، لما جَمَعَ الله فيه من الصَّالحات<sup>(٣)</sup>.

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنَّ حَبْرًا من أحبار اليمن سأله — وأبو سفيان يشهد له — : نشدُكَ، هل كان لابن أخيك صبوة أو سَفْهَة؟ قال: لا وإله عبد المطلب، ولا كَذَب ولا خان، وإنه كان اسمه عند قريش الأمين<sup>(٤)</sup>.

ولقد بلغ من أمانته وصدقه ﷺ أنَّ أهلَ مكة — العدو منهم والصَّدِيق — كانوا يضعون عنده الودائع والأمانات من أموال وغيرها، بل ليس أحدٌ بمكة يخشى على شيء عنده إلا وضعه عند رسول الله ﷺ، لِمَا يعلم من صدقه وأمانته<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العدة، رقم (٤٩٩٦)، والبيهقي في "السنن الكبرى" في كتاب الشهادات، رقم (٢١٣٥٦).

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي [٢٣٢/١٣]، ومرفاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح [١٠٢/٩].

(٣) السيرة النبوية لابن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، ط ١ (١٤١١هـ)، [٣٢٣/١].

(٤) دلائل النبوة للإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط ١ (١٤٠٩هـ)، [٢٠٣/١]، والبداية والنهاية لابن كثير [٣١٨/٢].

(٥) السيرة النبوية لابن هشام [١١/٣]، السيرة النبوية لابن كثير [٢٣٤/٢]، تاريخ الطبري للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٠٧هـ) [٥٦٩/١].

## خاتمة:

إن الأمانة المالية للنبي ﷺ تؤكد مايلي:

- ١- ما من نبي جاء إلا وهو صاحب مهنة، ليستغني بمهنته عن قومه.
- ٢- المال أحد معايير التفاضل بين الناس وخاصة بين الناس والدعاة إلى الله، وإن الداعية إذا سقط في أتون الحاجة المالية للناس فقد سقط من أعينهم.
- ٣- مهما يكن عند الداعية من أخلاق فإن الأمانة المالية تصدق ذلك كله أو تكذبه.

\* \* \*



## **الفصل الثاني:**

### **حصار الشعب**

**أول تجربة للنبي ﷺ في مواجهة سلاح المقاطعة**

\* \* \*

## الفصل الثاني:

### حصار الشعب

#### أول تجربة للنبي ﷺ في مواجهة سلاح المقاطعة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: التجويع أحدُ سيوف المشركين.

- المطلب الأول: لماذا فرضت قريش الحصار؟

- المطلب الثاني: كيف تمَّ الحصار؟

المبحث الثاني: مصادر دخل النبي ﷺ داخل الشعب.

- المطلب الأول: مصادر الدخل الداخلية.

- المطلب الثاني: مصادر الدخل الخارجية.

المبحث الثالث: إنهاء الحصار بالعقل والمعجزة!

- المطلب الأول: أشراف العقلاء يرفضون الظلم.

- المطلب الثاني: معجزة السماء تؤيد العقل السليم.

المبحث الرابع: غنائم الحصار للنبي ﷺ والمسلمين.

- المطلب الأول: الإسراء والمعراج، والتمهيد لبناء الدولة.

- المطلب الثاني: التعاطف الدولي وإثبات إنسانية الرسالة.

- المطلب الثالث: إكرام النبي ﷺ لمن والاه في الحصار.

\* \* \*

يُشير حصار المسلمين في شعب<sup>(١)</sup> أبي طالب تساؤلات عدة:

١— وعد الله تعالى نبيه ﷺ بالغنى المالي: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، فكيف

يُفهم هذا الوعد مع حصار اقتصادي استمر ثلاث سنوات؟

٢— وعد الله تعالى المتقين بالنصر والتمكين، فكيف تحقق ذلك في ظل الحصار؟

٣— ما مصادر دخل النبي ﷺ في أثناء الحصار؟

٤— من الذي قدم المساعدة لأهل الشعب، وكيف ردّ النبي ﷺ ذلك لهم؟

٥— كثيرة هي الأحاديث التي تدلّ على فقر وجوع النبي ﷺ، فهل وقع

صحيحها زمن الحصار؟

والأهم في هذا الابتلاء أن الله عز وجل علّمنا جميعاً أن الرسالة لا يُمكن أن تقوم على الدعة والخمول، بل تحتاج للجهد والصبر، لذلك نجد أن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، يقابله إكرام من الله تعالى لهؤلاء الصابرين القائمين بالأسباب على أتم وجه بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقد كان ذلك وأكثر منه في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) شعب أبي طالب: وهو الذي حصرت قريش بني هاشم فيه عند بدء الدعوة، ويُسمى شعب بني هاشم،

وشعب عليّ. [المعالم الأثيرة في السنة والسير، (ص: ١٥١)].

## المبحث الأول: التجويد أحد سيوف المشركين

### المطلب الأول:

#### لماذا فرضت قريش الحصار؟

لَمَّا رَأَتْ قَرِيشُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ نَزَلُوا بِلَدًا — أَيِ الْحَبْشَةِ<sup>(١)</sup> — أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ عَمْرَ ﷺ قَدْ أَسْلَمَ، وَمَنْ قَبْلَهُ حَمْزَةُ ﷺ، وَإِصْرَارَهُمْ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِزَاءَ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْقَبَائِلِ، اجْتَمَعَ صَنَادِيدُهُمْ وَاتَّمَرُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقِدُونَ فِيهِ عَلَى مَقَاتِعَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَلَقَدْ بَلَغَ الْأَذَى قَمَّتَهُ فِي الْحَصَارِ الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي الَّذِي ضَرَبَتْهُ قَرِيشٌ ظُلْمًا وَعَدُوًّا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ عَطَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

قال الزهري: (إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها، فقرروا أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية).

---

(١) الحبشة: البلد المعروف في أفريقية، و يسمى اليوم «أثيوبية»، وهي تضم أراضٍ إسلامية إلى جانب أرضهم وأرض الحبشة: هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وعاصمتها أديس أبابا، ولهم صلات قديمة مع العرب، ولملكهم موقف يذكر ويشكر مع المسلمين الأوائل الذين هاجروا إليه فوجدوا في كنفه ملجأ وحسن جوار. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ٩٨)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٩١)].

(٢) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي د. سفر الحوالي، دار البيارق، بيروت، (ط: ١)، (٢٠٠١م) [٥٠/١]، والسيرة النبوية د. علي محمد الصلاحي [٣١٧/١]، وسيرة ابن هشام [٣٥٠/١].

فلما رأى أبو طالب عمَل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يُدْخِلُوا رسول الله ﷺ  
شِعْبَهُمْ، وَيَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافَرُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ  
حَمِيَّةً، وَمِنْهُمْ مَنْ فَعَلَهُ إِيمَانًا وَيَقِينًا<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) سيرة ابن كثير [٤٣/٢].

## المطلب الثاني:

### كيف تمّ الحصار؟

مقدمة:

كان تجفيف منابع الدعوة الحلّ الحاسم لقريش لوأد الدعوة الإسلامية، وهذا ما جعل قريشاً تبدأ بتحالف مع القبائل لتنفيذ الحصار، وما أشبه اليوم بالبارحة !

#### • كتابة الوثيقة بإتمام التعاملات المالية وغيرها، ثمّ تعليقها على الكعبة:

قال ابن إسحاق: (اجتمعوا واثمروا — أي قريش — بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب: على أن لا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثمّ تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّ بعض أصابعه.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش، فظاهرهم<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: (على ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة، ولا يُخالطوهم، ولا يُجالسوهم، ولا يكلموهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتّى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، ثمّ تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة، توكيداً على أنفسهم.

---

(١) سيرة ابن هشام [٣٩٧/١].

وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا، وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فشئت يده<sup>(١)</sup>.

### • منع التجار من بيع المحاصرين وشراء قريش هذه السلع بأضعاف قيمتها.

كان أبو لهب يسهر على معابر شعب أبي طالب يحُولُ دون دخول الطعام أو الغذاء إلى الشعب، وكان يغدو إلى تجار مكة فيحذرهم من البيع والشراء من المحاصرين، ويعدهم بأن يشتري منهم كل ما يطلب المحاصرون شراؤه وبالثلث الذي يريده التجار، فنزل فيه وفي أمثاله قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب عدو الله فيقول: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً، فقد علمتم ما لي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون<sup>(٢)</sup> من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً<sup>(٣)</sup>.

فلبت بنو هاشم في شغبيهم ثلاث سنين، واشتدَّ عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا طعاماً يقدم من مكة، ولا يبعأ إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار صادر بيروت [١١٥/١]، والسيرة النبوية للصلاحي [٢٧٠/١].

(٢) يكون ويصيحون. ينظر اللسان، مادة (ضغا).

(٣) الروض الأنف [٢١٧/٣]، وينظر: السيرة الحلبية من كلام السهيلي [٢٣٣/٢].

(٤) ينظر تفاصيل الحصار في: سيرة ابن هشام [١٩٥/٢]، والبداية والنهاية [٨٤/٣]، ودلائل النبوة للبيهقي [٣١١/٢]، ودلائل النبوة للأصبهاني (ص: ١٩٨)، والخصائص الكبرى [٢٤٨/١ — ٢٤٩].

واشتد الحصار على الصَّحابة الكرام — رضي الله عنهم — ، وبني هاشم، وبني المطلب، حتَّى وصل الأمر بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى أكل ورق الشجر، وأُصيبوا بظلف العيش وشدَّته إلى حدٍّ أن أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقة شيء تحتَه، فإذا هي قطعة من جلد بغير، فيأخذها فيغسلها، ثُمَّ يحرقها، ثُمَّ يسحقها، ثُمَّ يستفُّها، ويشرب عليها الماء، فيتقوى بها ثلاثة أيام، وإن قريشاً لتسمع صوت الصبية يتضاغون من وراء الشَّعب من الجوع<sup>(١)</sup>.

#### خاتمة:

صحيح أن الحصار نال من المسلمين ما نال، ولكن هذه المحنة كانت منحة، وكان ما بعدها خيراً منها، وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً.

\* \* \*

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ) حققه: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط: ١)، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م). [١٦١/٢]، حلية الأولياء [٩٣/١].



## المبحث الثاني:

### مصادر دخل النبي ﷺ داخل الشعب

#### المطلب الأول:

#### مصادر الدخل الداخلية

حاصرت قريش رسول الله ﷺ وأهله من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه ﷺ، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين، حتى أنفق رسول الله ﷺ ماله كله، وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد — رضي الله عنها — مالها.

قال بعض المفسرين: (يروى أنه ﷺ دخل على خديجة وهو مغموم، فقالت: مالك؟ فقال: الزَّمان زمان قحط، فإن أنا بذلتُ المال ينفد مالك، فأستحي منك، وإن أنا لم أبذل أخاف الله، فدعت قريشاً وفيهم الصديق، قال الصديق: فأخرجت دنائير حتى وضعتها، بلغت مباناً لم يقع بصري على من كان جالساً قدامي، ثم قالت: اشهدوا أن هذا المال ماله، إن شاء فرقه وإن شاء أمسكه<sup>(١)</sup>). وكان ذلك زمن الحصار كما سيأتي تفصيله في الباب الثاني عند الحديث عن تجارته ﷺ.

فتضبط لنا السيرة زمن تقديم السيدة خديجة مالاً للنبي ﷺ وهو في أواخر أيام الحصار، وهنا أربعة أمور:

أ — تم تقديم هذا المال دعماً للرسالة قبل دعم الرسول ﷺ، فاستحقت جعلها من خير نساء الدنيا، وتلقت سلام الله لها، وبشراه بيت في الجنة كما بُشر عثمان بالمغفرة العامة لإنفاقه على جيش العسرة، فنعم ما أنفقت ونعم ما أكرمها الله به.

---

(١) ينظر: [تفسير الرازي ٨٢/١٧، تفسير النيسابوري ٣٥٥/٧].

ب — قبل النبي ﷺ هذا المال لسبب هام: هو أن قريش منعت النبي ﷺ من تجارته، وصاروا يغالون في الأسعار ليضيقوا عليه وعلى أهله.

ج — كان هذا المال عطية تملك لا صدقة، وأشهدت على ذلك الناس، ولم نعلم كم أخذ النبي ﷺ من المال، أو حتّى هل قبله فعلاً؟؟!!

د — لقد أراد النبي ﷺ رد معروف خديجة، ولكن القدر سبق إليها، فبقي النبي ﷺ حتّى آخر حياته يُكرم صديقاتها وأهلها وكل من كان يأتي زمن خديجة، ويقسم بالله أن الله لم يبدله خيراً منها ولا حتّى عائشة — رضي الله عنها —، وهكذا شأن الرسول الكريم ﷺ.

\* \* \*

## المطلب الثاني:

### مصادر الدخل الخارجية

• حكيم بن حزام، هاشم بن عمرو بن الحارث العامري، مطعم بن عدي: لم يعد أحد يقدر أن يوصل إلى رسول الله ﷺ وصحبه وآله طعاماً ولا أدماً، حتّى إن أبا جهل لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحاً يريد عمته خديجة زوج النبي ﷺ، وهي معه في الشَّعب، فتعلّق به، ومنعه.

قال ابن إسحاق: (بلغني أن حكيم بن حزام ﷺ خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجة ابنة خويلد — رضي الله عنها — ، وهي تحت رسول الله ﷺ، ومعه في الشعب؛ إذ لقيه أبو جهل، فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم، والله لا تبرح أنت وطعامك حتّى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختری بن هاشم بن الحارث بن أسد: تمنعه أن يرسل إلى عمّته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعّه، فقام إليه أبو البختری بساق بغير فشجّه ووطئه وطءاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشتموا بهم)<sup>(١)</sup>.

وكذا هاشم بن عمرو بن الحارث العامري ﷺ أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أجمال طعاماً، فعلمت بذلك قريش، فمشوا إليه حين أصبح وكلموه في ذلك، فقال: إني غير عائد لشيء خالفكم؛ ثمّ أدخل عليهم ثانياً جَملاً وقيل جَمَلين، فعلمت به قريش فغالظته، أي: أغلظت له القول وهمت به، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه يصل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سيرة ابن إسحاق [٥٣/١].

(٢) السيرة الحلبية [٢٤٥/٢].

وبعث مطعم بن عدي بأربع جزائر موقرة<sup>(١)</sup> طعاماً حتّى دخلت الشعب، وقال: إن لهم أرحاماً وقربات، وقد تلفوا، فقال أبو جهل: لا ننكر برك ولا صلتك، فلو ما أرسلت به ليلاً فلا يراك سفهاؤنا وأحداثنا، فيجترؤن علينا ويتبعون محمداً، فقال: ما نتبع محمداً، وإنما على دين آبائنا، ولكننا نصل أرحامنا، أما والله ما وافقني حصرهم، ولقد ظلموا واستخفّ بحقهم، وما أنا بآمن أن نعاقب في ظلمنا إياهم، فانكسر أبو جهل وانصرف، فكان النبي ﷺ يشكر هذا لمطعم بن عدي.

وسياقي ردّ معروف هؤلاء من النبي ﷺ في المبحث الثالث من هذا الفصل.

خاتمة:

يُخطيء من يعتقد أن حياة النبي ﷺ الاقتصادية كانت بلا تخطيط ولا دراسة؛ لأن النبي ﷺ قدم من خلال الحصار وما جرى فيه درساً اقتصادياً في التعامل مع الأزمات ثم في فن رد المعروف كما سياقي بيانه.

\* \* \*

---

(١) الجزورُ الناقة، و الوقْرُ الحمل الثقيل. ينظر اللسان، مادة (جزر، وقر).

## المبحث الثالث: إنهاء الحصار بالعقل والمعجزة

### المطلب الأول:

#### أشراف العقلاء يرفضون الظلم؟

● ما كان بين هشام بن عمرو رضي الله عنه وموافقيه وبين أبي جهل حين اعتزموا تمزيق الصحيفة:

بعد ثلاث سنين من الحصار الأليم الشَّدِيد قَيَّضَ اللهُ سبحانه وتعالى لنقض الصحيفة أناساً من أشراف قريش، وكان الذي تولى ذلك هشام بن عمرو، فقصد زهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا زهير، أقد رَضِيتَ أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمتَ لا يُتَّاعُونَ، ولا يَتَّاعَ مِنْهُمْ، ولا يَنْكِحُونَ ولا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ، أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام — أبي جهل — ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَداً.

قال: وَيَحْكُ يَا هِشَامُ، فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرٌ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا.

فَقَالَ لَهُ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا.

قال: مَنْ هُوَ؟

قال: أَنَا.

فَقَالَ لَهُ زَهِيرٌ: أَبْغِنَا ثَالِثًا.

فذهب إلى المطعم بن عدي، فقال له: أقدر رضى أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيهم؟ أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً.

قال: ويحك، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت لك ثانياً.

قال: من؟

قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثاً.

قال: قد فعلت.

قال: من؟

قال زهير بن أبي أمية.

فقال: أبغنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البخري بن هشام، فقال له نحو ما قال للمطعم بن عدي.

فقال له: ويحك، وهل نجد أحداً يعين على ذلك؟

قال: نعم، زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا.

فقال: أبغنا خامساً.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابته وحقهم.

فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟

قال: نعم، ثم سمي له القوم.

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحُجُونِ<sup>(١)</sup> لَيْلاً بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَاجْتَمَعُوا هُنَاكَ، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ حَتَّى يَنْقَضُوها. وَقَالَ زَهِيرٌ: أَنَا أَبَدُوكُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدِيتِهِمْ، وَغَدَا زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَنَا أَكُلُ الطَّعَامَ، وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يُتَتَاعُونَ، وَلَا يُتَتَاعُ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ.

فَقَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَتَهَا حِينَ كُتِبَتْ.

فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا نَرْضَى مَا كُتِبَتْ فِيهَا، وَلَا نَقْرُ بِهِ.

فَقَالَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُمَا، وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرَأُ مِنَ اللَّهِ مِنْهَا وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا.

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو نَحْواً مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بَلِيلٌ، تُشَوُّورٌ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ، وَأَبُو طَالِبٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لَا يَتَكَلَّمُ<sup>(٢)</sup>.

خلاصة وعبرة : يستطيع الإنسان أن يدرس ويخطط، وهذا ما يسمى بدراسة الجدوى والمرونة، ولكن عند انقطاع الأسباب الأرضية يتميز المسلم بالتجائه إلى قيوم السماوات والأرض الذي لا تنفذ خزائنه.

\* \* \*

---

(١) خَطْمُ: بفتح الخاء وسكون الطاء، والحُجُونُ: بضم الحاء المهملة والجيم. مكان في مكة لا زال معروفاً، وجاء في البخاري، أن رسول الله أمر أن تركز رايته بالحجون، يوم فتح مكة. الحجون الثنية التي تفضي على مقبرة المعلاة، والمقبرة عن يمينها وشمالها مما يلي الأبطح، تسمى الثنية اليوم «ريع الحجون» والبادية تسميه ريع الحجول. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ٩٨)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٩٤)].

(٢) ينظر سيرة ابن هشام (١/٣٧٦).

## المطلب الثاني:

### معجزة السماء تؤيد العقل السليم

• إخبار رسول الله ﷺ بأكل الأرضة للصحيفة وما كان من القوم بعد ذلك:

قال ابن هشام: (وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة<sup>(١)</sup> على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان»، فقال أربك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهل صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شراً.

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا: (باسمك اللهم).

وكان خروجهم في السنة العاشرة من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بحوالي ستة أشهر<sup>(٢)</sup>. وفي كل عصر ومصر يرسل الله أرضة بأشكال مختلفة تقضي على الطغاة والظالمين.

\* \* \*

---

(١) الأرضة: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع. [ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (أرض)، والمعجم الوسيط ١٤/١، وتاج العروس من جواهر القاموس ٢٢٧/١٨].

(٢) السيرة النبوية لابن هشام [٢١٩/٢ — ٢٢١]، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء للإمام سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، (١٤١٧هـ)، [٢٦٩/١ — ٢٧٠]، والسيرة الحلبية [٣٨/٢] وما بعدها، والكمال في التاريخ للإمام ابن الأثير، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، (١٤١٥هـ) [٦٠٥/١] وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير [٩٦/٣] وما بعدها.



## المبحث الرابع:

### غنائم الحصار للنبي ﷺ والمسلمين

#### المطلب الأول:

#### الإسراء والمعراج، والتمهيد لبناء الدولة

لقد مَنَّْ الله سبحانه وتعالى على نبيه المصطفى ﷺ لقاء صبره وَمَنَّْ معه من خلال الأمور الآتية:

##### ١) الإسراء والمعراج:

فبعد عام الحزن كان الإسراء والمعراج الذي عَزَى النبي ﷺ.

##### ٢) التمهيد لبناء الدولة الجديدة:

أدرك النبي ﷺ خلال الحصار أهمية بناء الدولة، وبدت أهمية الجانب الاقتصادي واضحة في ذلك، فبدأ بإرساء القواعد لتحقيق ذلك في المدينة المنورة.

كانت حادثة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية سبباً في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل العرب، فقد ذاع الخبر في القبائل العربية كلها من خلال موسم الحج، ولفَتَ أنظار الجزيرة العربية إلى هذه الدَّعوة التي يتحمَّل قائدها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة هذا الوقت كله.

كما أثار هذا الحصار الظالم سخط قبائل العرب على كفَّار مكة لقسوتهم على بني هاشم وبني المطلب — وهم منهم — ، كما بدا تعاطفهم مع النبي ﷺ وأصحابه، فما أن انفكَّ الحصار حتَّى أقبل النَّاس على الإسلام، وذاع أمر هذه الدَّعوة وتردَّد صداها في بلاد

العرب كلّها، وهكذا انقلب سلاح الحصار الاقتصادي على أصحابه، وكان عاملاً قوياً في انتشار الدّعوة الإسلاميّة، على عكس ما أراد زعماء الشّرك<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) السيرة النبوية د. علي محمد الصلابي [٣٢٦/١]، نقلاً عن الحرب النفسية ضد الإسلام د. عبد الوهاب كحيل (ص: ١٠١).

## المطلب الثاني:

### التعاطف الدولي وإثبات إنسانية الرسالة

لَمَّا كَلَّمَ جَعْفَرٌ ﷺ أَصْحَابَ النَجَاشِيِّ فِي مَجْمَعِ النَجَاشِيِّ بِكُؤَا، وَوَقَرِ الْإِسْلَامِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَأَسْلَمُوا، وَقَالُوا: ﴿آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣].

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ استقبلتهم قريش، فسبُّوهم، وقالوا: ما رأينا قوماً أحق منكم، تركتم دينكم لمجلس ساعة مع هذا الرجل، فقالوا لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]<sup>(١)</sup>.

#### • أول وفد إلى رسول الله ﷺ:

في غمرة ما كان يلاقيه النبي ﷺ وأصحابه من العذاب والإيذاء في الشعب وفد إلى رسول الله ﷺ أول وفد من خارج مكة لفهم شيء عن الإسلام، وكانوا بضعة وثلاثين رجلاً من نصارى الحبشة، جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب ﷺ لدى عودته إلى مكة، فلما جلسوا إلى رسول الله ﷺ واطلعوا على صفاته وأحواله، وسمِعوا القرآن آمنوا، فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا

---

(١) تفسير ابن كثير [٢٤٤/٦].

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٢﴾ [الفصص: ٥٢ - ٥٥].

الخاتمة:

هيا ما تقدم ذكره لتوسع فتوحات الدولة وزيادة مواردها، وموارد نبيها ﷺ بأسهمه.

\* \* \*

## المطلب الثالث:

### إكرام النبي ﷺ لمن وآله في الحصار

مقدمة: النبي ﷺ لم يكن يقبل أن يكون لأحد عليه يدٌ منَّةٍ أو عطاء؛ لذلك سئرى كيف عامل من وقف معه ساعة الحصار.

(١) بنو عبد المطلب: جعلهم من ذوي القربى، وشاركهم في سهم الخمس.

كان لوقوف بني هاشم وبني المطلب مع رسول الله ﷺ وتحمُّلهم معه الحصار الاقتصادي والاجتماعي أثرٌ في التشريع، حيث إن سهم ذوي القربى من الخمس يعطى لبني هاشم وبني المطلب، ويوضح ابن كثير هذا الحكم<sup>(١)</sup> عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

فيقول: (وأما سهم ذوي القربى، فإنه يصرف إلى بني هاشم، وبني المطلب؛ لأن بني المطلب آزرُوا بني هاشم في الجاهلية، وفي أول الإسلام، ودخلوا معهم في الشعب غضباً لرسول الله ﷺ وحمايةً له، مسلمهم طاعة لله ورسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب، وأما بنو عبد شمس، وبنو نوفل، وإن كانوا بني عمهم، فلم يوافقوهم على ذلك، بل حاربوهم ونابدوهم ومالؤوا بطون قريش على حرب الرسول ﷺ، ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية<sup>(٢)</sup> أشدَّ من غيرهم لشدة قريتهم).

---

(١) تفسير ابن كثير [٦٣/٦].

(٢) ومن أبياتها:

عُقُوبَةُ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ  
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ

جَزَىٰ اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا  
بِمِيزَانٍ قَسْطٍ لَا يَخِيْسُ شَعِيرَةً

ومِمَّا تقدم نلتمس قاعدة مهمة في العلاقات الدولية مع غير المسلمين ببذل المال لهم.

## ٢) حكيم بن حزام رضي الله عنه، وأبو البختری:

أعطى النبي ﷺ حكيماً يوم حنين من ماله الخاص مائة جمل، وقد سبق له إدخال الإبل لشعب أبي طالب خفية.

لم ينسَ رسول الله ﷺ هذا الفضل لحكيم وأبي البختری، بل ردّه رسول الله ﷺ كما يأتي:

قال ابن إسحاق: (وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بغير، وأعطى ابنه معاوية مائة بغير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بغير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة أخا بني عبد الدار مائة بغير)<sup>(١)</sup>.

أما أبو البختری فقد أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس — رضي الله عنهما — : أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ — أي: يوم بدر — : «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً، ولا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختری بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مُستكرهاً»<sup>(٢)</sup>، وإنّما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختری لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ جميعاً وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه

بني خَلَفَ قَيْضاً بنا والعَيَاطِلِ  
وآل قصي في الخُطُوب الأوائلِ

لقد سَفَهَتْ أحلامُ قوم تَبَدَّلُوا  
وَنَحْنُ الصَّمِيم من ذُؤَابَةِ هاشم

ينظر: [الآيات في السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٧/١].

(١) سيرة ابن إسحاق [١٦٩/٥].

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل [١٤٧/٣].

شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب<sup>(١)</sup>.

### ٣) المطعم بن عدي:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (لما أسر رسول الله ﷺ من أسر يوم بدر من المشركين قال: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التتني لتركتهم له»)<sup>(٢)</sup>.

### ٤) خديجة — رضي الله عنها — :

يأتي ذلك مفصلاً في مبحث تجارته ﷺ.

خاتمة:

حصار النبي الكريم ﷺ في شعب أبي طالب كان مناسبة فريدة لتعلم ثقافة الولاء والبراء لبناء علاقات صحيحة مع العالم على أساس السلوك والعمل وليس على أساس اللاهوت والجدل، وكان درساً في التاريخ على الوفاء ورد المعروف.

\* \* \*

---

(١) سيرة ابن إسحاق [٣٦١/٢].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى، رقم (٢٩٧٠).

## جدول خلاصة الباب الأول

المال معروف، ما ملكته من جميع الأشياء، ومال الرجل، ويمول مولاً ومؤلاً: إذا صار ذا مال.	المال في اللغة:
<p>أولاً: مذهب الحنفية:</p> <p>- قال ابن عابدين: (المراد بالمال: ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة، والمالية تثبت يتمول الناس كافة أو بعضهم).</p> <p>- وقال السرخسي: (المال اسم لما هو مخلوق لإقامة مصالحنا به، ولكن باعتبار صفة التمول والإحراز).</p>	ملخص تعريف المال عند الفقهاء
<p>ثانياً: مذهب المالكية:</p> <p>- قال ابن العربي في تعريف المال المعتبر شرعاً: (كُلُّ مَالٍ تَمْتَدُّ إِلَيْهِ الْأَطْمَاعُ، وَيَصْلُحُ عَادَةً وَشَرْعًا لِلانْتِفَاعِ بِهِ).</p> <p>قال الإمام الشاطبي: (وأعني بالمال: ما يقع عليه الملك، ويستبدُّ به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه، ويستوي في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها، وما يؤدي إليها من جميع التمولات).</p>	
<p>ثالثاً- مذهب الشافعية:</p> <p>قال الإمام الشافعي في الأم: (ولا يقع اسم مال إلا على ما له قيمة يُباعُ بها، وتكون إذا استهلكها مستهلك أدى قيمتها - وإن قلت - وما لا يطرحه الناس من أموالهم، مثل الفلوس، وما أشبه ذلك الذي يطرحونه).</p> <p>وقال الزركشي حيث قال: (ما كان منتفعاً به، أي: معداً لأن يُنتفع به).</p> <p>وقال النووي: (فما لا نفع فيه ليس بمال...).</p>	
<p>رابعاً- مذهب الحنابلة:</p> <p>قال البهوتي: (هو ما يباح نفعه مطلقاً، أو اقتناؤه بلا حاجة، فخرج بهذا ما لا نفع فيه كالحشرات، وما فيه نفع محرم كالخمر، وما لا يباح إلا لضرورة كالميتة، وما فيه منفعة لحاجة كالكلب).</p> <p>وقال ابن ضويان: (وهو ما فيه منفعة مباحة).</p> <p>وقال ابن مفلح: (هو ما فيه منفعة مباحة لغير ضرورة).</p>	



تعريف الفقر والغنى	تعريف الفقر	قال في اللسان: (الفقر والفقر: ضد الغنى، مثل الضعف والضعف...، وقدر ذلك أن يكون له ما يكفي عياله، ورجل فقير من المال...).
		قال ابن عرفة: (الفقير عند العرب المحتاج، أما المسكين فالذي قد أذله الفقر، فإذا كان هذا إنما مسكنته من جهة الفقر حلت له الصدقة، وكان فقيراً مسكيناً).
		وقال الراغب الأصفهاني: (الفقر يستعمل على أربعة أوجه: الأول: وجود الحاجة الضرورية، والثاني: عدم وجود المقتنيات حالاً، الثالث: فقر النفس، الرابع: الفقر إلى الله).
	تعريف الغنى	قال في اللسان: (الغني من أسماء الله عز وجل، وقال ابن الأثير: هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد محتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق، ولا يُشارك الله تعالى فيه غيره).
		وقال الراغب الأصفهاني: (الغنى يقال على ضروب: أحدها: عدم الحاجات، والثاني: قلة الحاجات، والثالث: كثرة القنيات بحسب ضروب الناس).

### جدول رقم (١)

\* \* \*

# الباب الثاني:

## كسب النبي ﷺ

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول:

مرحلة الاصطفاء (من قبل الولادة وحتى اليتيم).

الفصل الثاني:

مرحلة الإيواء (من اليتيم إلى الزواج).

الفصل الثالث:

مرحلة الإغناء (من الزواج إلى الوفاة).

\* \* \*

## الباب الثاني:

### كسب النبي ﷺ

#### تمهيد:

سبق القول: إن الإسلام جاء ليخرج الناس من الفقر إلى الغنى ، ومن الظلمات إلى النور، وما أرسل الله رسله جميعاً إلا ليكونوا سادة الناس لا عالة عليهم، وخير الخلق في ذلك أجمعين نبينا محمد ﷺ، ولقد أكرم الله عز وجل نبيه ﷺ بثلاث مراحل من العطاء المالي ، ومن البدهي أن يكون هذا العطاء على يد أشخاص وفي ظروف مقدرة بتقدير محكم من التقدير الحكيم.

لكن الجديد هنا — والذي يريد الباحث التأكيد عليه — أنه: ما كان لأحد يد عند رسول الله ﷺ إلا رُدَّتْ له من الله ثم من رسوله ﷺ أضعافاً مضاعفة، وذلك في جميع المراحل الثلاث كما سيأتي:

#### (١) مرحلة الاصطفاء:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

#### (٢) مرحلة الإيواء:

في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

#### (٣) مرحلة الإغناء:

في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨].

\* \* \*

## **الفصل الأول:**

### **مرحلة الاصطفاء**

\* \* \*

## الفصل الأول:

### مرحلة الاصطفاء

#### تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤] (ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بُعثوا من بعده؛ لأنهم من ذريته، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم عليه السلام) <sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، المعنى: إن الذي أوحينا إليك هو الحق، وأنت المصطفى، كما اصطفينا رسلاً وآتيناهم كتباً. وعن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة» <sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ مخاطباً اليهود: «أبيتم، فو الله لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبيُّ المصطفى، آمنتم أو كذبتكم» <sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى (١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠ م)، (ص: ١٢٨)، ومفاتيح الغيب [٢٤٠/٢٦].

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر فضائل قريش، رقم (٦٩٩٦)، وسكت عنه الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب عبد الله بن زيد، رقم (٥٧٥٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد في مسنده [٢٥/٦]، رقم (٢٤٠٣٠).

## المبحث الأول:

### قبيلته وعائلته

نشأ ﷺ في قبيلة ثرية ذات سيادة في بلدة ثرية، ويجدر بالذكر هنا أن قيمة تجارة قريش السنوية بلغت حوالي ربع مليون دينار ذهبي سنوياً<sup>(١)</sup>.

ويُثبت هذا الاصطفاء خيرية نسبه الشريف:

روى محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: «قَسَمَ اللَّهُ الْأَرْضَ نَصْفَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا، ثُمَّ قَسَمَ النِّصْفَ عَلَى ثَلَاثَةِ فُكَنْتِ فِي خَيْرِ ثَلَاثٍ مِنْهَا، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبُ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ هِيَ هَذِهِ الْأُسْرَةُ، وَمَا هُوَ الْجَانِبُ الْمَالِي فِيهَا؟

١ - قصي بن كلاب: أول بانٍ لمجد مكة من غير الأنبياء رئيس دار الندوة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: [المفصل في تاريخ العرب، د. جواد علي ٤٠٧/٧، وتاريخ قريش لحسين مؤنس (ص: ١٩٥)، و(ص: ٢٤٩)، والمال والهلال لشاكر النابلسي (ص: ٢٤)].

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر — بيروت، الطبعة الأولى: (١٩٦٨م) [٢٠/١].

(٣) دار الندوة: في مكة: وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة. بناها قصي بن كلاب. ولفظها مأخوذ من لفظ «الندي» والنادي والمنتدى: وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي: يذهبون قريباً منه ثم يرجعون. وكان لا يعقد لواء الحرب إلا فيها ولا تزوج قرشية إلا فيها. كانت في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، ثم دخلت في توسعته في عهد بني العباس. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ١١٦)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣١٩)].

مؤسس اللواء والحجابه<sup>(١)</sup> والسقاية<sup>(٢)</sup> والرفادة<sup>(٣)</sup>.

قال ابن هشام في سيرته: (كان قصي بن كلاب أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها)<sup>(٤)</sup>. فجعل قصي بذلك مكة محجاً، وأمن الخدمات لها، وبذلك زادت مواردها.

## ٢- عبد مناف بن قصي:

استمر على ما صنع أبوه، وأولاده هم المعروفون بأصحاب الإيلاف<sup>(٥)</sup> وهم أول من عقد المعاهدات التجارية.

قال ابن هشام في سيرته: (ثم إن قصي بن كلاب هلك، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده، فاختلفوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها —، فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم، ويبيعونها، فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع)<sup>(٦)</sup>.

## ٣- هاشم بن عبد مناف:

كان موسراً، تولى السقاية والرفادة، وهو أول من أسس لرحلتي الشتاء والصيف.

---

(١) الحِجَابَةُ: يعنون حِجَابَةَ الكَعْبَةِ وهي سِدَانُهَا وتَوَلَّى حِفْظَهَا وهم الذين بأيديهم مَفَاتِيحُهَا. لسان العرب [٢٩٨/١].

(٢) يقال للبيت الذي يُتَّخَذُ مَجْمَعاً للماء ويُسْقَى منه الناسُ السَّقَايةُ، وسِقَايةُ الحَاجِّ سَقْيُهُمُ الشَّرَابَ. لسان العرب [٣٩٠/١٤].

(٣) الرفادة: شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام الموسم. لسان العرب [١٨١/٣].

(٤) سيرة ابن هشام [٢٥٦/١].

(٥) سيأتي بيان معنى الإيلاف (ص: ١١٤).

(٦) سيرة ابن هشام [٢٦٢/١].

جاء في أخبار مكة: (وأما السقاية والرفادة والقيادة فلم تزل لعبد مناف بن قصي، يقوم بها حتى توفي، فولى بعده هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة، وولي عبد شمس بن عبد مناف القيادة، وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقاً، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها، فيجمع ذلك كله، ثم يطعمه الحاج، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جذب شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك، ونحر الجزور وطبخه، وجعله ثريداً، وأطعم الناس، وكانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم، فسمي بذلك هاشماً، وكان اسمه عمرو<sup>(١)</sup>).

#### ٤ - عبد المطلب بن هاشم:

جد النبي ﷺ، استمر على نهج أبيه وجدّه، ومما يدل على ثرائه فداؤه عبد الله والد النبي ﷺ بمائة ناقة<sup>(٢)</sup>، ومما يدل على ذلك أيضاً أن أبرهة الحبشي لما غزا مكة استولى على إبل عبد المطلب، فجاء أبرهة وقال: (حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟! قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه<sup>(٣)</sup>).

#### ٥ - عبد الله بن عبد المطلب:

والد النبي ﷺ، كان تاجراً، توفي في أثناء مزاولة عمله التجاري.

قال ابن كثير في سيرته: (خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام<sup>(٤)</sup> إلى غزة في عير من عيران قريش يحملونه تجارات، ففرغوا من تجارتهم، ثم انصرفوا، فمروا

(١) أخبار مكة للأزرقي [١١٠/١]، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام [٥٥/٤].

(٢) ينظر: [سيرة ابن إسحاق ١٠/١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٤٠/١، الروض الأنف ٨٧/٢].

(٣) سيرة ابن هشام [١٦٨/١].

(٤) الشام: وفيها ثلاث لغات: المدّ بدون همز، والهمز مع السكون، والهمز مع الفتح. ويطلق في التاريخ على فلسطين وسورية، ولبنان والأردن. والشام له ذكر كثير في كتب السيرة، وفي الأحاديث النبوية،



بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فبعث إليه عبد المطلب، فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة<sup>(١)</sup>.

#### ٦- أبو طالب بن عبد المطلب:

اسمه: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وقيل اسمه: عمران، وقيل اسمه كُنْيَتُهُ، عم النبي ﷺ، وكافله بعد جده لشخصه ورسالته، وصاحب الشعب، وُلِدَ قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة، ولما مات عبد المطلب وصَّى بالنبي ﷺ إليه، فكفله، وسافر به إلى الشام — يعني أنه كان تاجراً — وهو شاب، ولما بُعث الرسول ﷺ كان لا يزال حياً، وتوفي في السنة العاشرة من المبعث<sup>(٢)</sup>.

#### ٧- العباس بن عبد المطلب:

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، أبو الفضل، وُلِدَ قبل رسول الله ﷺ بستين، وضاع وهو صغير، فنذرت أمه نتيلاً بنت جناب إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فوجدته، فكست البيت الحرير، فهي أول من كساه ذلك، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وحضر بيعة العقبة<sup>(٣)</sup> مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد

---

منها قوله عليه السلام: الشام صفوة الله من بلاده، وإليه يجتي صفوته من عباده. وكان أول دخول المسلمين أرض الشام في غزوة مؤتة. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ١٤٧)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٦٨)].

(١) السيرة النبوية لابن كثير [٢٠٥/١].

(٢) ينظر: [المفصل في تاريخ العرب: ١/٦٠٥٤].

(٣) العقبة: بالتحريك: وهو الجبل الطويل، يعرض للطريق فيأخذ فيه. والمذكور في السيرة: العقبة التي ببيع فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وهي عقبة منى، ومنها ترمى جمرة العقبة. وهي مدخل منى من الغرب وحده الغربي. وإذا قيل: بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، الأولى والثانية: صفة للبيعة وليست للعقبة. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ١٩٤)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٨٥)].

بدرًا مع المشركين مكرهاً، فأُسِرَ، فافتدى نفسه، وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب، ورجع إلى مكة، فيقال إنه أسلم وكنتم قومه ذلك، وصار يكتب إلى النبي ﷺ بالأخبار، ثم هاجر قبيل الفتح، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين، وكان طويلاً جميلاً أبيض<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: (إن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم...) <sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: (أصابت قريشاً أزمة شديدة حتى أكلوا الرمة، ولم يكن من قريش أحد أيسر من رسول الله ﷺ والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «يا عم، إن أخاك أبا طالب قد علمت كثرة عياله، وقد أصاب قريشاً ما ترى، فاذهب بنا إليه حتى نحمل عنه بعض عياله».

فانطلقا إليه فقالا: يا أبا طالب إن حال قومك ما قد ترى، ونحن نعلم أنك رجل منهم، وقد جئنا لنحمل عنك بعض عيالك، فقال أبو طالب: دعا لي عقيلًا وافعل ما أحببتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفرًا، فلم يزالا معهما حتى استغنيا) <sup>(٣)</sup>.

وبهذا نجد أن هذه العائلة الكريمة الرفيعة كانت عائلة ثراء وسيادة، وهي بواكير المراحل الاقتصادية في حياة النبي ﷺ.

\* \* \*

---

(١) ينظر: [الإصابة في تمييز الصحابة: ٦٣١/٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤/٤٦٥].

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام [٣٥٧/١].

(٣) قال الهيثمي في المجمع [٢٨١/٨]: (رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم)، ولم أجده في البزار.

## المبحث الثاني

### بلده ﷺ

قدَّر الله عز وجل تهيئة الظروف الاقتصادية المتميزة لهذه العائلة في مكة، فنجد أن الله تعالى قدَّر ذلك من خلال نعم خمس:

١- انتصر لهم على عدوهم فردَّ جيش أبرهة عنهم:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل].

فحفظ بذلك أموالهم وتجاراتهم، وتنبه العرب إلى أن مكة بلد تجاري فيه الأمان، حتَّى ولو اعتدى عليه أعظم ملوك الزمان، فكانت مكة قبلة التجار بحق.

٢- وأغناهم على مدار العام من خلال رحلة الشتاء والصيف.

يقول سبحانه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ﴿إِيلَافُهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش].

والذي أسس عقد الإيلاف<sup>(١)</sup> بين العرب وملك الحبشة هو المطلب بن عبد مناف.

---

(١) قال في تذكرة الأريب تفسير الغريب [٣١٠/١] عند الحديث عن سورة قريش: (الإيلاف: وهي متعلقة بما قبلها، والمعنى فجعلهم كعصف لإيلاف قريش، أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، وكرر إيلاف للتوكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن الناس، وكانوا يرحلون للتجارة إلى الشام في الصيف وإلى اليمن في الشتاء). =

٣- جعل قلوب الناس تهفو إليهم بسبب قدسية البيت الحرام الذي وضعه الله للناس مثابة وأمناً.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٤- ضَمِنَ لهم الرزق الدائم في دعاء سيدنا إبراهيم لهم بالرزق الوفي.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [البقرة: ١٢٦].

ومن خلال الأشهر الحرم التي كان الناس يتعاملون فيها بالتجارة بأمان وحرية.

٥- وقد اشتهر ثراؤهم وسيادتهم حتَّى لم يخفَ ذلك على الغلمان!

قال رسول الله ﷺ: «خرجتُ بين أتراب لي من العرب نتقاذف بالأجلة — يعني البعر — ، فإذا بثلاثة نفر مقبلين، معهم طست من ذهب مملوء ثلجاً، فقبضوا علي من بين الغلمان، فلما رأى ذلك الغلمان انطلقوا هرباً، ثُمَّ رجعوا فقالوا: يا معشر النفر، إن هذا الغلام ليس منا ولا من العرب، وإنه لابن سيد قريش وببيضة الحمد، وما من حيٍّ من أحياء العرب إلا لآبائه في رقابهم نعمة مجللة...»<sup>(١)</sup>.

---

= وجاء في الباب في علوم الكتاب [٥٠٨/٢٠]: (قال الهروي وغيره: كان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل بن عبد مناف، فأما هاشم فإنه كان يؤلف ملك الشام ، أي: أخذ منه حبلاً وعهداً يأمن به في تجارته إلى الشام، وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، ومعنى يؤلف: يجير، فكان هؤلاء الإخوة يسمون المجيرين، فكان تُجارُ قريش يختلفون إلى الأمصار بجبل هؤلاء الإخوة، فلا يتعرض لهم).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر [٤٦٧/٣].

إن الله عز وجل تَخَيَّرَ نبيَّه ﷺ، وَتَخَيَّرَ له عائلته التي تكون خير رافد مالي  
حتَّى لا يَحْتَاج لأحد من الناس، فاليد العليا خير وأقدر على أداء الرسالة والإقناع  
بالدين الجديد.

\* \* \*

## مرحلة الاصطفاء

<p>(١) انتصر لهم على عدوهم فردَّ جيش أبرهة عنهم.</p> <p>(٢) أغناهم على مدار العام من خلال رحلة الشتاء والصيف.</p> <p>(٣) جعل قلوب الناس تهفو إليهم بسبب قدسية البيت الحرام الذي وضعه الله مثابة للناس وأمنًا.</p> <p>(٤) ضَمِنَ لهم الرزق الدائم في دعاء سيدنا إبراهيم لهم بالرزق الوفي.</p> <p>(٥) وقد اشتهر ثراؤهم وسيادتهم حتَّى لم يخفَ ذلك على الغلمان.</p>	<p>إكرام الله تعالى سبب ثراء هذه العائلة، وفي ذلك ردٌّ مقدَّم لما سيقدموه للنبي ﷺ، وذلك في خمس نقاط:</p>	
<p>١. قصي بن كلاب: كانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كلّها.</p> <p>٢. عبد مناف بن قصي: استمر على ما صنع أبوه.</p> <p>٣. هاشم بن عبد مناف: تولى السقاية والرفادة، وهو أول من أسس لرحلتي الشتاء والصيف.</p> <p>٤. عبد المطلب بن هاشم: استمرَّ على نهج أبيه وجدّه، وافتدى عبد الله والد النبي ﷺ بمائة ناقة، وطلب نوقه المائتين من أبرهة الحبشي</p> <p>٥. عبد الله بن عبد المطلب: والد النبي ﷺ، كان تاجراً، توفي في أثناء مزاولة عمله التجاري.</p> <p>٦. أبو طالب بن عبد المطلب: كان تاجراً، كفل النبي ﷺ، وهو صاحب الشَّعب.</p>	<p>اصطفاء العائلة</p>	

٧. العباس بن عبد المطلب ﷺ: كست أمه البيت حريراً لنذرها يوم ضاع، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وكان هو ورسول الله ﷺ من أيسر بني هاشم.		
--	--	--

## الجدول رقم (٢)

\* \* \*

## الفصل الثاني:

### مرحلة الإيواء

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من الولادة حتّى الطفولة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ميراثه من والده.

المطلب الثاني: إنفاق جده عليه مولوداً.

المبحث الثاني: من الطفولة حتّى الفتوة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرضاع والتربية.

المطلب الثاني: في كفالة عمه.

المبحث الثالث: من الشّباب حتّى المبعث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بداية عمله بالتجارة.

المطلب الثاني: زواجه من السيدة خديجة — رضي الله عنها —.

\* \* \*



## الفصل الثاني:

### مرحلة الإيواء

#### تمهيد

تبدأ مرحلة الإيواء من لحظة يتم النبي ﷺ حتى إغنائه:

لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

وأويتُ في اللغة بمعنى عدتُ، وآويتَ فلاناً إذا أنزلته بك، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله...، وإلى أن تُؤوئني وتنصروني»<sup>(١)</sup>، أي: تضموني إليكم وتُحْطُوني بينكم<sup>(٢)</sup>.

وقرأ الجمهور: ﴿فَأَوَى﴾ رباعياً؛ وأبو الأشهب العقيلي<sup>(٣)</sup>: ﴿فَأَوَى﴾ ثلاثياً، بمعنى رحم، تقول: أويت لفلان: أي رحمته<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل [٢٩٧/٢].

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (أوى).

(٣) أبو الأشهب: هو الإمام الحجة، جعفر بن حيان العطاردي، البصري، الخراز، الضرير، ولد سنة سبعين، ونقل أبو عمرو الداني أنه قرأ القرآن على أبي رجاء العطاردي، مات سنة خمس وستين ومائة [سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٧، تهذيب التهذيب ٧٥/٢].

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي [٣٦٤/٨].

وجاء التعبير — والله أعلم — بـ: ﴿فَأَوَى﴾ لسبب، فإنه لو كان التعبير (فَأَوَاك) اختص الإيواء به ﷺ، والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى به، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم، بل دافع عنهم سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

وعن مجاهد<sup>(٢)</sup> قال: ﴿يَتِيمًا﴾ هو من قول العرب: درّة يتيمة، إذا لم يكن لها مثل. فمجاز الآية: ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك، فأواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطنوك<sup>(٣)</sup>.

تبدو سبل إكرام الله تعالى له جليةً في تلك المرحلة، والملح الذي يؤكد عليه البحث هو أن النبي ﷺ — ومنذ ولادته — كان مصدر خير مالي لجميع من حوله، فقد أغناه الله وأغنى به!

\* \* \*

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين [٣/٣١].

(٢) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي (٢١ — ١٠٤هـ): مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، من كبار التابعين، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس — رضي الله عنهما — ، قرأ عليه القرآن ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها. [تهذيب التهذيب: ٤٤/١٠، سير أعلام النبلاء: ٤٤٩/٤].

(٣) ينظر: تفسير القرطبي [٩٦/٢٠].

## المبحث الأول:

### من الولادة حتى الطفولة

#### المطلب الأول:

#### ميراثه ﷺ من والده

مقدمة : تنوع مصادر الثروة كان ملمحاً اقتصادياً هاماً في حياة النبي ﷺ، وهنا مصدر ثروته قبيلاً ولادته في هذه العائلة الثرية.

ثروته جنيئاً -أو رضيعاً-: وتظهر في ميراثه ﷺ من والده، وإطعام جدّه الناس في مولده. ميراثه من والده: ذكرت روايات أخرى أنه ﷺ كان ابن شهرين<sup>(١)</sup>.

ورث رسول الله ﷺ من أبيه أمّ أيمن الحبشية، واسمها بركة، وخمسة جمال أوارك — يعني: تأكل الأراك — ، وقطعة من غنم، ومولاه شقران<sup>(٢)</sup> وابنه صالحاً، وقد شهدوا بدرًا، فأعتق رسول الله ﷺ أمّ أيمن حين تزوج خديجة بنت خويلد، فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج، فولدت له أيمن<sup>(٣)</sup>.

وتقدم قول ابن كثير في يوم وفاة عبد الله والد النبي ﷺ: (ورسول الله ﷺ يومئذ حمل)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر [٢٥/١].

(٢) شقران مولى رسول الله ﷺ، يقال: كان اسمه صالح بن عدي، وكان حبشياً يقال: أهده عبد الرحمن بن عوف لرسول الله ﷺ، ويقال: اشتراه منه فأعتقه بعد بدر، ويقال: إن النبي ﷺ ورثه من أبيه هو وأم أيمن. ذكر ذلك البغوي، وهو أحد الذين أنزلوا النبي ﷺ في قبره. [الإصابة ٣/٣٥١، الاستيعاب ٢/٧١٠].

(٣) الطبقات الكبرى للإمام محمد بن سعد [١٠٠/١، ٢٢٣/٨]، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م) [٥٠/١]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم للإمام ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١، (١٣٥٨هـ) [٢٤٤/٢].

(٤) السيرة النبوية لابن كثير [٢٠٥/١].

وفي بعض الأخبار أنه ﷺ ورث منه أيضاً سيفاً مأثوراً، وورقاً<sup>(١)</sup>.

وقال بعض الرواة<sup>(٢)</sup>: ورث ﷺ أمّ أيمن من أمّه، فأعتقها، وقال آخرون: ورث ﷺ ولأهها من أبيه، وقال قوم: كانت لأمه، فأعتقها.

وورث ﷺ من أمه آمنة بنت وهب دارها التي وُلد فيها بمكة، في شعب علي<sup>(٣)</sup>.

وهذه الدار هي التي باعها عقيل بن أبي طالب<sup>(٤)</sup> بعد هجرة النبي ﷺ مع الدار التي ورثها ﷺ من زوجته خديجة، فلماً قدم ﷺ مكة في حجة الوداع قيل له: في أي دورك تنزل؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع<sup>(٥)</sup>؟»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) تاريخ المدينة المنورة لابن شبه [١١٦/١]، والمختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ للإمام عز الدين بن جماعة الكتاني، تحقيق سامي مكّي العاني، دار البشير، عمان، ط ١، (١٩٩٣م)، (ص ٢١).

(٢) كما في أنساب الأشراف للبلاذري [٣٣/١]. لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن داود البلاذري (ت ٢٧٩هـ): وهو مؤرخ جغرافي نسابة، جالس المتوكل العباسي، وله في المأمون مدائح، كان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير)، أصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون، فلزم البيمارستان ومات فيه. من مؤلفاته: (كتاب أنساب الأشراف). [معجم الأدباء ٩٢/٥، النجوم الزاهرة ٨٢/٢]

(٣) شعب عليّ في سوق الليل فوق الحرم بين أبي قبيس و الحتادم، كان عليه بيت حوّل إلى مكتبة، تسمى مكتبة مكة. [المعالم الأثرية في السنة والسيرَة (ص: ٩٨)].

(٤) هو أبو يزيد عقيل بن عبد مناف — أبو طالب — بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (٦٠هـ): صحابي فصيح اللسان، شديد الجواب، أعلم قريش بأيامها وأنسابها، وهو أخو عليّ ﷺ لأبيه، وكان أسنّ منه، برز اسمه في الجاهلية، أسلم عام الحديبية، وكان قاتل في بدر مع المشركين مكرهاً فأُسِرَ وفداه عمه العباس، هاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له بخبر في فتح مكة ولا الطائف. [الإصابة في تمييز الصحابة ٤٦٦/٧، تهذيب التهذيب ٢٥٥/٧].

(٥) الرَّبْعُ: المَنْزِلُ والوطن، متى كان، وبأيّ مكان، كلُّ ذلك مُشْتَقٌّ من رَبْعٍ بِالْمَكَانِ يَرْبَعُ رَبْعاً، إذا اطمأنَّ، والجمعُ كالجمع [تاج العروس من جواهر القاموس ٢٣/١٢]. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب توريث دور مكة، (١٤٨٥)، ومسلم في كتاب الحج، باب النزول للحج بمكة، (١٤٨٥).

(٦) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للإمام علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م)، (ص ١٩٢).

## المطلب الثاني:

### إنفاق جده عليه ﷺ مولوداً

وهذا دليل آخر على ثراء عبد المطلب، وهو فرحه بمولد النبي ﷺ، وعقته عنه، وإطعام الناس والحيوانات ثلاثة أيام!!

قال في دلائل النبوة<sup>(١)</sup>: (لما وُلد النبي ﷺ، جاءه عبد المطلب، فأخذه وقبَّله، ثُمَّ دفعه إلى أبي طالب، فقال: هو وديعتي عندك، ليكون لابني هذا شأن، ثُمَّ أمر فَنُحِرَت الجِزَارُ، وَذُبِحَتِ الشَّاءُ، وَأُطْعِمَ أَهْلَ مَكَّةَ ثَلَاثًا، ثُمَّ نَحَرَ فِي كُلِّ شَعْبٍ مِنْ شُعَابِ مَكَّةَ جُزُورًا، لَا يَمْنَعُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا سَبْعٌ، وَلَا طَائِرٌ). ١.هـ.

فلذلك قال أبو طالب:

وَنُطْعِمُ حَتَّى تَأْكُلَ الطَّيْرُ فَضْلَنَا إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمُنِيزِينَ تَرَعْدُ<sup>(٢)</sup>

خلاصة: إن ولادة النبي ﷺ في عائلة ذات سيادة مهدت الطريق ليكون بين قومه سيداً يُسْمَعُ لقوله ويستجاب لطلبه.

\* \* \*

---

(١) دلائل النبوة [٩٥/١].

(٢) المنيزين: جمع منيض المعالج للشيء يقال: نضت الشيء إذا عالجته. ينظر: سبل الهدى والرشاد

[٢٦٥/١]. (لطيفة: إن الاحتفال بمولد النبي ﷺ كان قبل البعثة بإطعام الناس والحيوانات والطيور ثلاثة

أيام، وهناك اليوم من لا يرى أن مولده ﷺ فرح ومسرة لمدة ساعة واحدة!!).

## المبحث الثاني:

### من الطفولة حتى الفتوة

#### المطلب الأول:

#### الرضاع والتربية

من إكرام الله تعالى نبيه ﷺ في إيوائه أن أكرم من أرضعه وحضنه ورعاه بما يفوق ما تُعطى العشرات مثلهن، وهن أربع: المرضعتان: ثوية، وحليمة، والحاضنة بركة، والمريية فاطمة.

#### ثوية الأسلمية بُشِّرَتْ فَأَعْتَقَتْ:

أرضعت ثوية النبي ﷺ أياماً، وقد أعتقها أبو لهب حين بُشِّرَتْ بولادة النبي ﷺ، قال ﷺ: «أَرْضَعْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثَوِيَّةً»<sup>(١)</sup>.

حليمة السعدية (أم كبشة) أرضعت فَأَنْثَرَتْ:

أَثَرَى اللهُ حَلِيمَةَ بِبِرْكَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ مِّنْهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال ابن إسحاق: (كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية — أم رسول الله ﷺ التي أرضعته — تحدث: قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرضَ عليها رسول الله ﷺ، فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وكذلك أنا، إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم؟! وما عسى أن تصنع أمه وجدّه؟ — [مع أن عائلته كانت من أكابر القوم! وتقدّم ذكر غنى هذه العائلة] —، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)، رقم (٤٨١٣)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب تحريم الربيبة، رقم (١٤٤٩).

معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلاأخذنه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبتُ إليه فأخذته.

### الخير الذي أصاب حليلة:

قالت: فلما أخذته رجعتُ به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثمَّ ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي؟! والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثمَّ خرجنا وركبت أتانِي، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُرهم، حتى إن صواحي ليقطن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك، أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجتَ عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً، قالت: ثمَّ قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناء، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناء، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً<sup>(١)</sup> هـ.

لكن لماذا لم ترضعه أمه؟ وهل كان السبب هو الفقر؟

الجواب: لا، لم يكن الفقر هو السبب، إنما الخشية من وباء مكة.

(١) استَحْفَر الصَّبِيُّ إِذَا قَوِيَ عَلَى الْأَكْلِ [لسان العرب مادة جفر] سيرة ابن هشام [١/١٧٣].

تقدم بيان ثراء عائلة النبي ﷺ، وحادثة رضاعه توضح أن المرضعات كنَّ يأتينَ للإرضاع بالأجرة، ولقد خشيت المرضعات أن لا يحصلن على الأجر من يتيم، ولكن الذي جرى كان على عكس تصوراتهن، فلقد خَرَجَتْ حليلة بأعظم أجر، ثُمَّ إن من عادة كبراء العرب إرسال أبنائهم إلى بني سعد لحرصهم على تعليمهم الفصاحة، إضافة إلى سبب عظيم، وهو وجود وباء في مكة، كل ذلك يؤكد بقاء النبي ﷺ في بني سعد خمس سنوات، علماً أن غيره يبقى سنتين وحسب، أي إلى أن يفطم.

أخرج ابن سعد عن محمد بن عمر، عن أصحابه قال: (مكث ﷺ عندهم سنتين حتى فُطم، وكأنه ابن أربع سنين، فقدموا به على أمه زائرين لها، وأخبرتها حليلة خبره، وما رأوا من بركته، فقالت آمنة: ارجعي بابني، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، فوالله ليكوننَّ له شأنٌ، فرجعت به،... ثُمَّ قدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين<sup>(١)</sup>).

**لكن كيف رُدَّ المعروف لحليمة؟ وما كانت أجرهما على رعاية النبي ﷺ خمس سنين؟**

١ - إكرام الله عز وجل لحليمة وقومها بأكثر مما توقعوا كما تقدم.  
٢ - إكرام النبي ﷺ وردّه معروف مرضعته بأضعاف مضاعفة وذلك بأربعين شاة وبعيراً زمن خديجة، وأعطيات يوم حنين، وأكرم من أجلها أخاه من الرضاع بردّ السبي يوم هوازن.

٣ - إكرام عمومة النبي ﷺ لحليمة بالإبل والثياب:

قال رسول الله ﷺ: «كان هذا الحي من بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة، فيحضنون أولادهم، ويتنفعون بخيرهم... وكانت فيهن امرأة يقال لها أم كبشة بنت الحارث، فأخذتني وألقتني على صدرها، فدرّ لبنها، فحضنتني، فلما بلغ ذلك عمّي

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته [٧٠/٨]، وأخره مطولاً ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ، رقم (٦٣٣٥)، وأبو يعلى في مسنده [٧٤/١٣]، وقال الهيثمي في المجمع [٤٠٣/٨]: (رواه أبو يعلى والطبراني، ورجاهما ثقات).



أبا طالب أَقْطَعَهَا إِبْلًا وَمَقْطَعَاتٍ مِنَ الشَّيَابِ وَلَمْ يَبْقَ عَمِّ مِنْ عَمُومَتِي إِلَّا أَقْطَعَهَا  
وَكَسَاهَا»<sup>(١)</sup>.

حاضنته بركة الحبشية: رَعْنَةُ فَأَعْتَقَهَا، وَزَوَّجَهَا، وَضَمَّنَ لَهَا الْجَنَّةَ:

كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ الْحَبَشِيَّةِ مِمَّا وَرَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَتْ عَلَى رِعَايَتِهِ، وَهَذَا مِنْ  
إِبْوَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَنْ أَوْجَدَ لَهُ مِنْ يَحْضُنُهُ وَيَعُوضُهُ عَنْ حَنَانِ الْأُمِّ، وَقَدْ كَانَ رَدُّ النَّبِيِّ  
ﷺ لِمَعْرِفَتِهَا مُضَاعَفًا أَوْضَاعًا كَثِيرَةً، وَهَذَا شَأْنُهُ — صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ —  
طِيلَةُ حَيَاتِهِ.

قال ابن سعد: (أُمُّ أَيْمَنَ: وَاسْمُهَا بَرَكَةُ، كَانَتْ لِأَبِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَرَّثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَأَعْتَقَهَا)<sup>(٢)</sup>.

وعن سفيان بن عتبة<sup>(٣)</sup> قال: (كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَلْطِفُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقُومُ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ:  
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَتَزَوَّجْ أُمُّ أَيْمَنَ»، فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﷺ،  
فَوَلَدَتْ لَهُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — )<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَدِمُوا وَلَيْسَ  
بَأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْعَقَارِ، فَقَاسَمَهُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ يُعْطَوْهُمْ  
أَنْصَافَ ثَمَارِ أَمْوَالِهِمْ كُلِّ عَامٍ، وَيَكْفُوهُمْ الْعَمَلَ وَالْمَوْنَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَعْطَتْ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِذَاقًا لَهَا، فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق [٤٦٧/٣].

(٢) الطبقات [٤٧٩/١].

(٣) سفيان بن عتبة: هو سفيان بن عتبة السوائي الكوفي، روى عن الثوري والجراح بن مليح. [تهذيب

التهذيب ١٠٣/٤، سير أعلام النبلاء ١٠/١٣٥].

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات [٢٢٤/٨].

قتال أهل خيبر<sup>(١)</sup> وانصرف إلى المدينة ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم، قال: فردّ رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها، وأعطى رسول الله ﷺ أمّ أيمن مكانهنّ من حائطه). وفي رواية: (من خالصه).

وعند مسلم: (قال ابن شهاب<sup>(٢)</sup>: وكان من شأن أمّ أيمن أنها كانت وصيفة لعبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنه رسول الله ﷺ — بعدما تُوفيّ أبوه — كانت أمّ أيمن تحضنه، حتّى كبر رسول الله ﷺ، فأعتقها، ثمّ أنكحها زيد بن حارثة، ثمّ توفيت بعد ما تُوفيّ رسول الله ﷺ بخمسة أشهر).

وفي رواية أخرى من حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان الرجل يجعل للنبي ﷺ التّخلات من أرضه، حتّى افتّح قريظة<sup>(٣)</sup> والنّضير<sup>(٤)</sup>، فجعل بعد ذلك يرُدّ عليهم، وإن أهلي أمروني

---

(١) خيبر: وهي بلدة معروفة، تبعد عن المدينة ١٦٥ كيلاً شمالاً على طريق الشام. بلد كثير الماء والزرع والأهل، وكان يسمى ريف الحجاز، وأكثر محصولاته التمر لكثرة نخله الذي يقدر بالملايين. وخليبر أودية فحول تجعل مياهه ثرارة تسيل على وجه الأرض. [المعالم الأثيرة في السنة والسيارة (ص: ١١٠)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١١٩)].

(٢) ابن شهاب الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، تابعي، محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، وتوفي بشعب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين، له تصنيف في مغازي الرسول ﷺ. [تهذيب الكمال ١/١٦١، ثقات العجلي ٢/٢٥٣].

(٣) قريظة: قبيلة من قبائل اليهود نزحوا إلى جزيرة العرب، ونزلوا بأعلى المدينة على وادي مهروز، قتل النبي ﷺ مقاتلهم وسي نساءهم وذراريهم؛ لأنهم نقضوا العهد. [يثرب قبل الإسلام د. محمد الوكيل (ص: ٤٤، ٤٨)، وعمدة الأخبار في مدينة المختار للشيخ أحمد عبد الحميد (ص: ٣٧)].

(٤) النّضير: بفتح النون وكسر الضاد المعجمة. (بنو النضير): اسم قبيلة يهودية كانت تسكن بالمدينة ممن وفدوا إلى المدينة في العصر الجاهلي، ولم يكن لهم حقّ فيها، لأنهم لم يكونوا من العرب، فليس في المدينة عربي يهودي، ولا يهودي عربي، ولما طغوا وبغوا وكفروا النعمة، وأسأوا حقّ الجوار، وتألّبوا على العرب الذين ارتضى الله لهم الإسلام ديناً، أذن الله بطردهم وتطهير الديار منهم: وكان بنو النضير، وبنو قريظة يسكنون العوالي. ومن مواطنهم: وادي بطحان والبويرة، فغزاهم رسول الله سنة أربع للهجرة، وفتح حصونهم، وعادت الأرض إلى أهلها. [المعالم الأثيرة في السنة والسيارة (ص: ٢٥١)].

أن آتَى النبي ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه، أو بعضه، وكان نبيُّ الله ﷺ قد أعطاه أمَّ أيمن، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأعطانيهنَّ، فجاءتُ أمَّ أيمن فجعلتُ الثوبَ في عنقي، وقالت: والله لا يُعطيكهنَّ وقد أعطانيهنَّ، فقال النبي ﷺ: «يا أمَّ أيمن، اتركيه ولكِ كذا وكذا»، وتقول: كلاً، والله الذي لا إله إلا هو، فجعل يقول: كذا...، حتَّى أعطاهَا عشرة أمثاله، أو قريباً من عشرة أمثاله<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ في ما سبق سنة النبي ﷺ في ردِّ المعروف وأخذ زمام العطاء.

**فاطمة بنت أسد: جاعت لتطعمه فكفنها بقميصه ونزل في قبرها:**

ومن إيواء الله تعالى لنبيه ﷺ رعاية زوجة عمه أبي طالب له رعاية الأمِّ لولدها، حتَّى كفنها النبي ﷺ بقميصه، ونزل في قبرها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمَّ علي — رضي الله عنهما — دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة»). [وفي الاعتراف بالفضل أمام الناس شكر من خير شاكر ﷺ].

ثمَّ أمر أن تغسل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبهُ رسول الله ﷺ بيده، ثمَّ خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثمَّ دعا رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال:

«الله الذي يُحيي ويُميت، وهو حي لا يَموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، رقم (٣٨٩٤)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائهم، رقم (١٧٧١).

الراحمين». وكَبَّرَ عليها أربعاً، وأدخَلوها اللَّحد هو والعباس وأبو بكر الصديق — رضي الله عنهم — (١).

خلاصة:

هناك الكثير من الحقائق الغائبة في حياة النبي ﷺ بسبب نقص المعلومات التي دُوِّنت عنه قبل البعثة، ولابد من استقراء بعض الأحداث من بعضها بعضاً، وموقفه ﷺ مع حليلة لآبد وأن يتساق مع مجمل مسيرته، وما كان يذكر عن فقره لآبد من التوقف عنده وقراءته بشكل صحيح.

\* \* \*

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام، رقم (٤٥٧٤)، والطبراني في الكبير [٣٥١/٢٤]، وقال الهيثمي في المجمع [٤١٤/٩]: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله رجال الصحيح).

## المطلب الثاني:

### في كفالة عمه

ومن إيواء الله تعالى له ﷺ أن كفَّله عمُّه أبا طالب، وعمل ﷺ في رعي الغنم، ثمَّ بدأ بالتجارة، ثمَّ أصبح بعد ذلك مضارباً في مال خديجة — رضي الله عنها — .

قال ابن إسحاق: (وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدِّه، فكان إليه ومعه)<sup>(١)</sup>.

عن موسى بن علي بن رباح<sup>(٢)</sup> عن أبيه ﷺ قال: (كنت عند مسلمة بن مخلد<sup>(٣)</sup> وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب، فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيد قد جاء بخير كثير، فقال عبد الله: ويومئذ قد كان سيداً كريماً قد جاء بخير كثير، فقال مسلمة: ألم يقل الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ و﴿وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ و﴿وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦ — ٨]، فقال عبد الله: أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه، وأما العيلة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سيرة ابن هشام [١٧٩/١].

(٢) موسى بن علي: هو موسى بن علي بن رباح اللخمي أبو عبد الرحمن البصري، ولي إمرة مصر سنة ستين، الإمام الحافظ الثقة، الأمير الكبير العادل، نائب الديار المصرية لأبي جعفر المنصور سنوات، روى عن أبيه والزهري. [تهذيب التهذيب ٣٢٣/١٠، سير أعلام النبلاء ٤١١/٧، ثقات العجلي ٣٠٥/٢].

(٣) مسلمة بن مخلد: هو مسلمة بن مخلد الأنصاري الزرقى، له صحبة، سكن مصر وكان والياً عليها من قبل معاوية. [تهذيب الكمال ٥٧٥/٢٧، سير أعلام النبلاء ٤٢٤/٣].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [٣٠٥/٢]، والبيهقي في الدلائل [١١٠/٨].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، يقول: فضمك إلى عمك أبي طالب، فكفاك المؤنة، فقال النبي ﷺ: «مَنْ عَلَيَّ ربي وَهُوَ أَهْلُ الْمَنْ»<sup>(١)</sup>.

ما اكتسبه رسول الله ﷺ بنفسه في هذه المرحلة:

رَعِيَهُ ﷺ لِلْغَنَمِ:

كان النبي ﷺ يرعى الغنم لأهل مكة، وقد روى أبو هريرة ؓ عن النبي ﷺ، قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ<sup>(٢)</sup> لِأَهْلِ مَكَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

قال الملا علي القاري<sup>(٤)</sup>: (أي: استأجرتني أهل مكة على رعي الغنم، كل يوم بقيراط)<sup>(٥)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب ؓ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهْمُ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، كَلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا:

قُلْتُ لَيْلَةً لَفَتَنِي كَانَ مَعِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَاعِلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِهَا تَرْعَى: أَبْصَرْتُ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفَتَيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ فَلَمَّا

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم [٤١٥/٤]، وذكره مقاتل في تفسيره [٤٩٥/٣] من غير إسناد.

(٢) القراريط: مفردا قيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار. ينظر: النهاية لابن الأثير، مادة (قرط).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢٢٦٢).

(٤) علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي، القاري (١٠١٤هـ): فقيه حنفي من صدور العلم في عصره، مشارك في أنواع من العلوم، ولد بهرة، ورحل إلى مكة، واستقر بها إلى أن توفي. من تصانيفه الكثيرة: مرقاة المفاتيح لمشكاة المصاييح، تلخيص القاموس وسماه الناموس. [خلاصة الأثر ١٨٥/٣ — ١٨٦، البدر الطالع ٤٤٥/١ — ٤٤٦، هدية العارفين ٧٥١/١].

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصاييح للإمام علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م) [١٦١/٦].

جئتُ أدنى دارٍ منْ دُورِ مَكَّةَ، سَمِعْتُ غَنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَمَزَامِيرَ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟  
قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةً — لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ — فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ  
الْغَنَاءَ وَبِذَلِكَ الصَّوْتَ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ،  
فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ، فَأَخْبَرْتُهُ.

ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي مِثْلُ مَا قِيلَ  
لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ  
إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا.

فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ  
بِنُبُوتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله — رضي الله تعالى عنهما — قال: «لقد رأيتنا مع رسول الله  
ﷺ بمر الظهران<sup>(٢)</sup> نجني الكباش — وهو ثمر الأراك — ، ويقول: عليكم بالأسود منه،  
فإنه أطيب، فقلت: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبيٍّ إلا ورعاه؟»<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأحاديث تدلُّ على أنه ﷺ كان يتكسَّب المال من رعي الغنم، ليحصل على  
ما يحتاجه من نفقاته اليومية، ولربَّما ادَّخر منها شيئاً.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التوبة والإنابة، رقم (٧٧٢٧)، وقال: (هذا حديث صحيح على  
شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب ذكر الخبر  
المدحض قول من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، رقم (٦٢٣٩).

(٢) مر الظهران: واد من أودية الحجاز، يمر شمال مكة على مسافة اثنين وعشرين كيلاً، ويصب في البحر  
جنوب جدة. وفيه عدد من القراء منها الجموم وبحرة. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ١٨٤)،  
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٠٠)].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ﴾، رقم (٣٢٥٥)، ومسلم في كتاب  
الأشربة، باب فضل الأسود من الكباش، رقم (٢٠٥٠).

قال المباركفوري: (ولم يكن له ﷺ عمل معيّن في أول شبابه، إلا أن الروايات تواترت أنه كان يرعى غنماً، رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على قراريط)<sup>(١)</sup>.

### نصيبه ﷺ من بعض الحروب:

شهد رسول الله ﷺ مع عمومته حرب الفجار، يوم نخلة، وهو من أعظم أيام الفجار، والفجار حرب كانت بين قريش ومعها كنانة، وبين قيس، وهو من أعظم أيام العرب، وكان ﷺ يناولهم النبل، ويحفظ متاعهم، وكان عمره يومئذ نحو عشرين سنة أو ما يقاربها<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن من يشارك في الحروب له نصيب من غنائمها.

\* \* \*

---

(١) الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، دار القبلة، جدة، ط ٥، (١٤١٠هـ — ١٩٩٠م)، (ص ٦٩).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير [٩/١].



## المبحث الثالث:

### من الشباب حتى المبعث.

#### المطلب الأول:

#### بداية عمله ﷺ في التجارة

عَمِلَ النبي ﷺ في التجارة وهو في الثانية عشرة من عمره — وقيل في التاسعة — ،  
وانتهز فرصة خروج عمه أبي طالب بتجارة إلى الشام، فخرج معه.  
— قال الطبري في تاريخه: (وقال هشام بن محمد: خرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى بصرى<sup>(١)</sup> من أرض الشام وهو ابن تسع سنين)<sup>(٢)</sup>.  
— وقال أبو الحسن الماوردي<sup>(٣)</sup>: (خرج به ﷺ عمُّه أبو طالب إلى الشام في تجارة له وهو ابن تسع سنين)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) بصرى مدينة في حوران، في منتصف المسافة بين عمان ودمشق، وهي اليوم آثار قرب مدينة درعا.  
[معجم معالم السيرة النبوية (ص ٤٤)].

(٢) تاريخ الطبري [٣٣/٢].

(٣) أبو الحسن الماوردي: الإمام العلامة، ألقى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، فقيه، أصولي، مفسر، أديب، سياسي، درس بالبصرة وبغداد، وولي القضاء ببلدان كثيرة، وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه، وتوفي ببغداد في ربيع الأول، ودفن بمقبرة باب حرب، من تصانيفه: الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي في مجلدات كثيرة، تفسير القرآن الكريم، أدب الدين والدنيا، الأحكام السلطانية، وقوانين الوزارة. [سير أعلام النبلاء ٦٤/١٨، معجم المؤلفين: ٢٠٣/٧].

(٤) ينظر: عيون الأثر [٦١/١].

— وذكر ابن سعد بإسناده عن داود بن الحصين<sup>(١)</sup>: (أنه كان ابن ثني عشرة سنة)<sup>(٢)</sup>.

— وقال ابن كثير في سيرته: (أسند الواقدي عن داود بن الحصين قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ اثني عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة)<sup>(٣)</sup>.

### بيان عمله ﷺ بالتجارة:

— انتقل النبي ﷺ حين شبَّ من العمل في رعي الغنم إلى العمل في التجارة، فقد ورد أنه ﷺ كان يتجر مع السائب بن أبي السائب المخزومي.

روى الإمام أحمد عن مجاهد عن مولاة السائب بن أبي السائب أنه كان يُشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح جاءه، فقال النبي ﷺ: «مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي، كَانَ لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي، يَا سَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُقْبَلُ مِنْكَ، وَهِيَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية عن مجاهد، عن قائد السائب عن السائب قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ»، يَعْنِي بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، كُنْتَ شَرِيكِي فَنَعِمَ الشَّرِيكُ كُنْتَ، لَا تُدَارِي وَلَا تُمَارِي)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) داود بن الحصين: هو داود بن الحصين الأموي مولاهم، أبو سليمان المدني، روى عن أبيه وعكرمة ونافع. [تهذيب التهذيب ١٥٧/٢، سير أعلام النبلاء ١٠٦/٦].

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد [٧٧/٨].

(٣) سيرة ابن كثير [٢٤٧/١].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث السائب بن عبد الله، رقم (١٥٤٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير رقم (٦٤٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في كراهية المراء، رقم (٤٨٣٦)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الشركة والمضاربة، رقم (٢٢٨٧).

قال العظيم آبادي: (قال الخطابي: يريد: لا تُخالف ولا تُمانع، وأصل الدرء الدفع، ومنه قوله: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢]، يصف النبي ﷺ بحسن الخلق والسهولة في المعاملة)<sup>(١)</sup>.

ب — عن عبد الله بن أبي الحسماء رضي الله عنه قال: (بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُنْعَثَ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ»<sup>(٢)</sup>.

ج — وفي سن الخامسة والعشرين خرج رضي الله عنه تاجراً إلى الشام بمال خديجة رضي الله عنها<sup>(٣)</sup>.

— عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه اشترى من رسول الله ﷺ بَرّاً من بَرِّ تِهَامَةٍ<sup>(٤)</sup> بسوق حُبَاشَةٍ<sup>(٥)</sup>، وقدم به مكة، فكان ذلك سبباً لإرسال خديجة له رضي الله عنه مع عبدها ميسرة إلى سوق حُبَاشَةٍ ليشتريها لها بَرّاً<sup>(٦)</sup>.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود [١٢٥/١٣].

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العدة، رقم (٤٩٩٦)، والبيهقي في السنن، رقم (٢١٣٥٦).

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري (ص ٦٩).

(٤) تِهَامَةٍ: بكسر الأول: وتطلق على الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر من الشرق من العقبة في الأردن إلى «المخا» في اليمن، وفي اليمن تسمى تِهَامَةُ الْيَمَنِ، وفي الحجاز تسمى تِهَامَةُ الْحِجَازِ، ومنها مكة المكرمة وحدة، والعقبة، وقد ينسب رسول الله إليها، فيقال: التَّهَامِيُّ. [المعالم الأثيرة في السنة والسير، (ص: ٧٣)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٦٦)].

(٥) سوق حُبَاشَةٍ: بالضم والشين المعجمة، من أسواق العرب في الجاهلية، وهي سوق لقينقاع، كان يملكها عمرو بن سلول أخو أبي بن سلول المنافق. وهذا يدل على أن حُبَاشَةَ من المدينة، وأقصد حُبَاشَةَ الثَّانِي، لأن بني قينقاع بالمدينة وهو اسم لسوقهم، ويقع مكانه في عوالي المدينة. أما حُبَاشَةُ تِهَامَةٍ، فقال الأزرقى: إنه في ديار الأوصام من بارق، في ناحية اليمن، على ستة ليالٍ من مكة ... وقولهم في ناحية اليمن ليس اليمن المعروف حالياً؛ لأن (بارقا) المحدد به السوق، يقع اليوم بين محاليل والقنفذة في تِهَامَةِ عَسِيرٍ، بالمملكة السعودية. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ٩٦)].

(٦) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون للإمام علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، (١٤٠٠هـ)، [٢٢٣/١].

— عن نفيسة بنت منبّة — أخت يعلى بن منبّة — قالت: (لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة — وليس له بمكة اسم إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير — قال له أبو طالب: يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدّ الزمان علينا، وألحّت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة ابنة خويلد تبعث رجالاً من قومك في عير لها، فلو تعرّضت لها.

وبلغ خديجة ذلك، فأرسلت إليه، وأضعفت له ما كانت تعطي غيره<sup>(١)</sup>، لكن رسول الله ﷺ التاجر الماهر لم يعرض نفسه، إنما انتظر طلبها.

— قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>: (وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا.

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتّى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثمّ باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثمّ أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد [١٥٦/١].

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي (٨٠ — ١٥١هـ): حافظ إخباري، وعليه مدار رواية المغازي، روى عن مكحول وعبد الرحمن بن هرمز وغيرهم كثير، وروى عنه شعبة والثوري والحمادان، وقال عنه الذهبي: هو أول من دون العلم في المدينة قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عجائزاً، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي. [سير أعلام النبلاء: ٣٥/٧].

فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظللانه ﷺ من الشمس وهو يسير على بغيره.

فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريب<sup>(١)</sup>.

(ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى، فباع سلعته التي خرج بها واشترى، فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة، فقال الرجل: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: ما حلفتُ بما قطّ، فقال الرجل: القول قولك)<sup>(٢)</sup>.

— قال ابن قيم الجوزية<sup>(٣)</sup> في زاد المعاد في هدي خير العباد: (أجر رسول الله ﷺ

نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم، وأجر نفسه ﷺ من خديجة في سفره بمالها إلى الشام)<sup>(٤)</sup>.

ومما يجدر بالذكر هنا أمران:

١ - استحق النبي ﷺ العمل مضارباً في مال خديجة — رضي الله عنها — بسبب السمعة التجارية الحسنة التي كانت له، فقد كان يكسب أكثر من غيره، وقد فعل ذلك بمال خديجة — رضي الله عنها — .

---

(١) سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، للإمام محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف [٥٩/٢].

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون [٢٢٠/١]، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالح الشامي [١٥٩/٢ — ١٦٠].

(٣) هو شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (٦٩١ — ٧٥١هـ): فقيه أصولي متكلم، عالم بالسلوك، نشأ في بيت علم وفضل، وتلقى علومه الأولى عن أبيه الذي كان قيماً على مكتبة المدرسة الجوزية، ثم لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتخرج به. وشارك شيخه في محنة، وكان آخرها حبسه في قلعة دمشق إلى أن توفي شيخه، ومن مؤلفاته: أعلام الموقعين، وزاد المعاد [شذرات الذهب ١٦٨/٦، والنجوم الزاهرة ٢٤٩/١٠، الدرر الكامنة ٤٠٠/٣].

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م، [١٦١/١].

٢- درسٌ إلهي عظيم للناس جميعاً أن الله عز وجل يدعو الناس إلى العمل والتكسُّب؛ لأن الله تعالى قادر على إغناء نبيِّه من دون عمل، وحَتَّى قبل البعثة، فهو في عناية الله من قبل ولادته، بل إن الله تعالى قادر على أن يرزقه كما رزقَ مريم بنت عمران — عليها السلام — في محرابها، ولكنه درس للأمة في أهمية التكسُّب من عمل اليد والسعي لكسب الرزق.

هذا، وقد استمر النبي ﷺ بالعمل بالتجارة بعد هذه المرحلة، ويأتي بيان ذلك.

إذا ما تتبعنا الأحاديث والنقول الواردة في كتب التاريخ علمنا أن النبي ﷺ كان له بعض الواردات المالية، قلَّت أم كُثُرَتْ، فهو ﷺ كان مضطراً للعمل من أجل كسب قوت يومه، إضافة إلى أنه كَفَلَ علي بن أبي طالب ﷺ من عمِّه، مما اضطره للعمل لأجل الإنفاق عليه أيضاً.

\* \* \*

## المطلب الثاني:

### زواجه ﷺ من السيدة خديجة - رضي الله عنها -

زواجه ﷺ من سيدة قريش نسباً وثراءً وخلقاً، وكان مهرها متناسباً مع مكانتها:

إنه من تمام إيواء الله تعالى له ﷺ عمله الذي أقامه فيه، ثمّ زواجه من السيدة الشريفة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - التي كانت خير معين له كما ذكر النبي ﷺ.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثني عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»<sup>(١)</sup>).

ويأتي تفصيل بيان عمله ﷺ في التجارة بنفسه، ومع السيدة خديجة - رضي الله عنها -، وزواجه منها.

وهذا ذكر لعقد النكاح والمهر للدلالة على عظيم نسب عائلة النبي ﷺ ومهارته في تجارته مع عظيم قدره الشريف قبل النبوة:

عن نفيسة بنت منبّة قالت: (كانت خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - امرأة حازمة جلدة شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذٍ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [١١٧/٦].

بعد أن رجع في غيرها من الشام، فقلت: يا مُحمد، ما يَمْنَعُكَ أن تتزوج؟ قال: «ما يبيدي ما أتزوج به» — وكان هذا في مرحلة الإيواء لا في مرحلة الإغناء — ، قلت: فإن كُفيتَ ذلك ودُعيتَ إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: «فمن هي؟» قلتُ: خديجة، قال: «وكيف لي بذلك؟» قالت: قلتُ: عليّ، قال: «فأنا أفعل».

فذهبتُ فأخبرتها، قالت: فأرسلتُ إليه أن ائت ساعة كذا وكذا، فحضر وأرسلتُ إلى عمها عمرو بن أسد ليزوّجها<sup>(١)</sup>.

وعند ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ دخل مع عمه حمزة، فقال عمرو بن أسد: هذا الفحل لا يجده<sup>(٢)</sup> أنفه، وأنكحها منه<sup>(٣)</sup>.

قال ابن هشام: أصدقها عشرين بكرة.

قال البلاذري والديمياطي: اثني عشرة أوقية ونشاً<sup>(٤)</sup>.

قال المحب الطبري<sup>(٥)</sup>: ذهباً.

قال ابن إسحاق في المبتدأ: (وكان تزويجه ﷺ لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً عقب صفر)<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ هنا أن زواجه ﷺ كان بعد أن وجدت فيه خديجة — رضي الله عنها — التاجر الماهر بعد عودته من التجارة، وقد أصدقها ما يناسبها.

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته [٤٨/٨].

(٢) أي: يقطع أذنيه إنذاراً بالشر، وهذا كله من عاداتهم في الإنذار بالشر. [لسان العرب مادة (جدع)]، إمتاع الأسماع [٨٥/١].

(٣) سيرة ابن هشام [٢٦١/١].

(٤) النَّشُّ: النصف من كل شيء، والنَّشُّ عشرون درهماً وهو نصف أوقية؛ لأنهم يُسمُّون الأربعين درهماً أوقيةً ويسمون العشرين نشاً. ينظر اللسان، مادة نش.

(٥) محب الدين الطبري، المكي، الحسيني، الشافعي، محيي الدين، عالم، أديب، ناظم، ناثر، مشارك في أنواع من العلوم، ولد بمكة سنة ٦١٥ هـ، وتوفي بها سنة ٦٩٤ هـ. [معجم المؤلفين ٣٠٣/٥].

(٦) سبل الهدى والرشاد [١٦٥/٢].



خاتمة:

يتبين مما سبق أن الله عز وجل عندما ذكر نبيه بأنه آواه إذ وجدته يتيمًا هيأ له أسباب ذلك الإيواء من خلال نشأته في عائلة ثرية استطاعت أن تكفل له حياة رغيدة، ثمَّ أكرمه الله ببركة خاصة مع مرضعته، ورعاه حين كفله جده وعمه، ورعته زوجة عمه، وحضنته أم أيمن، ثمَّ فتح له الله أسباب الرزق بالرعي وبالتجارة، ثمَّ بالمضاربة مع خديجة، ثمَّ توجَّ له ذلك بزواجه منها، واستمر ذلك الإنعام حتَّى بدأت مرحلة الإغناء ببدء الوحي.

\* \* \*

مرحلة الإيواء: تبدأ هذه المرحلة من لحظة يتم النبي ﷺ حتى إغنائه		وفاة والده، وميراثه منه، وكفالة جده له.	ثروته جنيماً — أو رضيعاً —	(١) ميراثه من والده.
				(٢) الإنفاق عليه ﷺ مولوداً.
		خلال بركته	ثروته رضيعاً وطفلاً من	(١) ثوية الأسلمية: بشرت فأعتقت.
				(٢) حليلة السعدية (أم كبشة): أرضعت فأثرت.
				(٣) فاطمة بنت أسد: جاعت لتطعمه فكفنها بقميصه ونزل في قبرها.
		في كفالة عمه أبي طالب		اشتغل ﷺ في رعي الغنم، ثم بدأ بالتجارة.
		زواجه ﷺ من خديجة		وهي سيدة قريش نسباً وثراءً وخلقاً، كان مهرها متناسباً مع مكانتها، وأصبح مضارباً في مالها.

### جدول رقم (٣)

\* \* \*

## الفصل الثالث:

### مرحلة الإغناء

**تمهيد:** تبدأ هذه المرحلة مع بدء الوحي وكثرة عيال النبي ﷺ من أبنائه ومن يعولهم في بيته كعلي بن أبي طالب ﷺ وغيره.

عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: (أصاب قريشاً أزمة شديدة حتى أكلوا الرِّمَّة<sup>(١)</sup>، ولم يكن من قريش أحد أيسر من رسول الله ﷺ والعباس بن عبد المطلب ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «يا عم، إن أخاك أبا طالب قد علمت كثرة عياله، وقد أصاب قريشاً ما ترى، فاذهب بنا إليه حتى نحمل عنه بعض عياله».

فانطلقا إليه فقالا: يا أبا طالب إن حال قومك ما قد ترى، ونحن نعلم أنك رجل منهم، وقد جئنا لنحمل عنك بعض عيالك، فقال أبو طالب: دعا لي عقيلاً وافعلاً ما أحببتهما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفرأ، فلم يزالا معهما حتى استغنيا<sup>(٢)</sup>.

ويظهر في هذا الحديث أمران:

- ١ - يظهر جلياً أن حال النبي ﷺ المادية كانت أفضل من عمه.
  - ٢ - حرصه ﷺ على رد المعروف السابق لعمه بكفالة ابنه.
- ثم إن خديجة — رضي الله عنها — ملكت زيد بن حارثة ﷺ، فسأل رسول الله ﷺ خديجة أن تهب له زيدا، وذلك بعد أن تزوجها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ.

---

(١) الرِّمَّةُ: بالضمِ قِطْعَةٌ من حَبْلِ وَيُكْسَرُ وبه سُمِّيَ ذُو الرِّمَّةِ، وقاعٌ عَظِيمٌ بَنَجْدٍ تَنْصَبُ فِيهِ أَوْدِيَةٌ وقد تُخَفَّفُ ميمُهُ. القاموس المحيط (ص: ١٤٤٠).

(٢) قال الهيثمي في المجمع [٢٨١/٨]: (رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم) ولم أجده في البزار.

ومن مواليه ﷺ شقران الحبشي ﷺ، واسمه صالح بن عدي، ورثه ﷺ من أبيه<sup>(١)</sup>.  
وبذاك يتبين أن عائلة رسول الله ﷺ كانوا يومئذٍ — كحد أدنى — : (زوجته خديجة،  
وبناته الأربع، وعلي ﷺ، وأم أيمن، وزيد، وشقران).

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، قال الأخفش: (وجدك ذا عيال)<sup>(٢)</sup>.

دليله قوله ﷺ: «وابداً بمن تعول»<sup>(٣)</sup>. ولم يقل ربنا سبحانه: ووجدك فقيراً، إنما قال:

﴿عَائِلًا﴾، وسيأتي التفصيل في هذه الآية في مبحث وعد الله تعالى لنبيه ﷺ بالغنى المالي.

وهذا الإغناء من الله تعالى لنبيه ﷺ لسبب رئيس، ألا وهو وجوب تفرغ النبي ﷺ  
للدعوة، وهذا يستلزم أن يكون له ﷺ موارد الخاصة حتى تكون يده هي العليا لمن يدعوهم  
لهذا الدين، فالإسلام لم يأت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وحسب، إنما ليخرجهم  
كذلك من الفقر والذلة إلى الثراء والعزة، وهكذا كان، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ

وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

\* \* \*

---

(١) ينظر: تركة النبي ﷺ [٥٠/١].

(٢) ينظر: تفسير القرطبي [٩٩/٢٠].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٣٦٠)، ومسلم في كتاب  
الزكاة، باب اليد العليا خير...، رقم (١٠٣٤).

## المبحث الأول:

### وَعْدُ اللَّهِ لَهُ ﷺ بِالْغِنَى الْمَالِي

ويتجلى هذا الوعد في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢]

الإسلام دين التمتع بنعم الله ورزقه، والمسلمون أولى الناس بذلك، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

الإسلام ليس دين الضنك وشظف العيش، بل دين ينعم أتباعه بالعيش الرغد، ويغتنمون بركات السماوات والأرض، ويأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم، والأمن يعمر قلوبهم، والشعور بنعمة الله يملأ عليهم أنفسهم وحياتهم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

إنه يجعل التمتع بالأرض وخيراتها فرضاً على كل تالٍ للقرآن، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

فهذا الخالق العظيم خلق الدنيا لينعم الإنسان بها، فإن شكر وصل الله تعالى له هذا النعيم بنعيم الآخرة.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

لقد أحبَّ الإسلام لأتباعه أن يسعدوا بالغنى، وكره لهم أن يشقوا بالفقر، واشتدَّت كراهيته وعداوته للفقر عندما يكون سببه سوء التوزيع، وتظالم المجتمع، وبغى بعضه على بعض.

والنظام الإسلامي يجعل هدفه من وراء الغنى ورغد العيش أن يسمو النَّاس بأرواحهم إلى ربِّهم، وألا يشغلهم الهمُّ في طلب الرِّغيف، والانشغال بمعركة الخبز عن معرفة الله وحسن الصَّلَة به سبحانه، والتَّطلع إلى حياة أخرى هي خير وأبقى.

وإنَّ من إكرام الله لنبيه ﷺ إكرام أمته من الناحية المالية. وربَّما كان من المستبعد عند بعض العلماء أن يكون للنبي ﷺ مصدر ثراء مالي؛ إذ يذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في معرض حديث النَّبي ﷺ الذي يتحدث عن مُلك أمته قائلاً: «...وسيلغ ملك أمتي ما زُويَ لي منها...» الحديث<sup>(١)</sup>. ونحن نعلم أن مُلك رسول الله ﷺ لم يكن درهماً ولا ديناراً، ولكن ملكه الذي ورثناه إياه هو هذا الدين...<sup>(٢)</sup>.

على أن الحديث الآنف الذكر يذكُر المَلِك المادي بوضوح مع انتشار الإسلام وتوسُّع دولته، بل ويُصرِّح النبي ﷺ فيه بأنه سيعطى الكنزين: الأحمر والأبيض، وهما الدنانير والدرهم — نقود الممالك السابقة<sup>(٣)</sup> —، فلماذا نضنُّ على نبيِّ ﷺ هذه الأمة أن يكون ثرياً؟!

---

(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُويَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةً...» أخرجه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم (٢٨٨٩).

(٢) كتاب الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان د محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى (ص ٩٣ — ٩٤).

(٣) يريد بالأحمر والأبيض خزائن كسرى وقيصر، وذلك أنَّ الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم. [تحفة الأحوذى ٦/٣٣٢].

ولقد بين النبي ﷺ أن من روعة هذا الدين أن معتنقه يصبح غنياً منفقاً لا فقيراً يأخذ الصدقة كما وعد ﷺ عدي بن حاتم<sup>(١)</sup> بأنه سيأتي يوم لا يجد المنفق من يأخذ منه صدقته؛ لأن الأمة أصبحت في غنى مادي ومعنوي.

إنَّ النَّاسَ إِذَا تَوَافَرَتْ لَهُمْ كِفَايَتُهُمْ وَكِفَايَةُ مَنْ يَعُولُونَ اطمأنَّوا في حياتهم واتجهوا بالعبادة الخاشعة لربهم، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

وليس أدلّ على كراهية الإسلام للفقير وحبّه للغني وللحياة الطيبة من امتنان الله تعالى على رسوله ﷺ بالغنى حين قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي﴾ [الضحى: ٨].

وعن الأسود بن قيس أنه سمع جندباً قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: ودّع محمد، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> [الضحى: ١ - ٣].

---

(١) قال له النبي ﷺ: «...لعلك — يا عدي — إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة المسلمين وفقرهم، فوالله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم، حتّى لا يوجد من يأخذه، ولعله — يا عدي — إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من قلة المسلمين وكثرة عدوهم، فوالله لتوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتّى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله — يا عدي — إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، فهم ضعاف، وأيم الله لتوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وإن كنوز كسرى قد صارت إليهم». [أخرجه ابن إسحاق في السيرة ٨٩/٤، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٥٩/٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٣٤/٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم (٤٩٨٣)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي رسول الله ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم (١٧٩٧) واللفظ له.

قال الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (في الآية إشارة إلى أن الإيواء والهدى والغنى من الله لإسنادها هنا لله تعالى، ولكن في السياق لطيفة دقيقة، وهي معرض التقرير، يأتي بكاف الخطاب:

وهذا ممَّا يذكره الله لنبيه ﷺ من تعداد النعم عليه، وأنه لم يودّعه وما قلاه، وأنه كان عائلاً فأغناه الله تعالى.

أما بيان تفسير وسبب قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] بلغة الخصوصية له:

قال السامرائي في لمساته البيانية<sup>(١)</sup>: (لماذا قال يعطيك ولم يقل يؤتيك؟ الإيتاء يكون لأمر مادية وغيرها (الملك، الحكمة)، أما العطاء فهو خاص بالمادة، والإيتاء أوسع من العطاء وأعم، والعطاء مُخصص للمال، والإيتاء قد يشمل النزع، والعطاء لا يشمل النزع، ﴿أَيُّنَاهُ آيَاتُنَا فَنَسْلَخْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ و﴿وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ و﴿وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، لتأكيد التقرير، لم يسند اليتيم ولا الإضلال ولا الفقر لله، مع أن الكل من الله، فهو الذي أوقع عليه اليتيم، وهو سبحانه الذي منه كل ما وجده عليه، ذلك لما فيه من إيلاء له، فما يسنده لله ظاهراً، ولما فيه من التقرير عليه أبرز ضمير الخطاب. وفي تعداد النعم: ﴿فَآوَى﴾، ﴿فَهَدَى﴾، ﴿فَأَغْنَى﴾. أسند كله إلى ضمير المنعم، ولم يبرز ضمير الخطاب.

قال المفسرون: لمراعاة رؤوس الآي والفواصل، ولكن الذي يظهر — والله تعالى أعلم — : أنه لما كان فيه امتنان، وأنها نعم مادية لم يبرز الضمير لتلا يتقل عليه المنّة، بينما أبرزه في: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ و﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ الذي أنقض ظهرك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ — ٤]؛ لأنها نعم معنوية، انفرد بها ﷺ، والله تعالى أعلم. [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لحمد الأمين ابن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٥هـ — ١٩٩٥م) [٥٦٣/٨ — ٥٦٤].

(١) اللّمسّات البيانية للدكتور فاضل صالح السامرائي [٤١٣/١].



وقد لا يستوجب الإيتاء لشخصٍ ما أن يتصرفَ بما أُوتي، أمّا العطاء فلصاحبه حرية التصرف فيه بالوَهْبِ وَالْمَنَحِ، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]؛ لأنَّ الكوثر أصبح ملكاً للرسول ﷺ، وكما قال الله تعالى لسيدنا سليمان — عليه السلام — : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، أي: له الحق بالتصرف فيه كما يشاء.

لذلك كله تكفل الله عز وجل رعاية نبيه الكريم ﷺ في الحياة الدنيا والآخرة، فكان ممّا نزل من القرآن بمكة سورة الضحى، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

وأغنى تعبير بالفعل، وهو يدل على التجدد والحدوث، والواقع أن غناه ﷺ كان قبل كل شيء هو غنى النفس، والاستغناء عن الناس، ويكفي أنه ﷺ أجود الناس.

وأما تفسير الغنى الذي وعد الله به النبي ﷺ ففيه أقوال:

**الأول:** أغناكَ بما حصل لك من ربح التجارة، وذلك في سفره ﷺ مع ميسرة إلى الشام.

**الثاني:** أغناكَ بالقناعة، فصار يستوي لديك الحجر والذهب، لا تجد في قلبك سوى ربك، فربك غنيٌّ عن الأشياء لا بها، وأنت بقناعتك استغنيت عن الأشياء، وإن الغنى الأعلى هو الغنى عن الشيء لا به.

**الثالث:** كنت عائلاً عن البراهين والحجج، فأنزل الله عليك القرآن، وعلمك ما لم تكن تعلم، فأغناكَ<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: [تفسير الرازي (١٩٨/٣١)]، وتفسير القرطبي (٩٩/٢٠ — ١٠٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٩١/٤)، وتفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٦٣/٣٠)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية

وقال ابن كثير: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أي: كنت فقيراً ذا عيال، فأغنك الله عَمَّن سِوَاهُ، فجمع له بين مقامَي الفقير الصابر، والغني الشاكر. صلوات الله وسلامه عليه<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور: (لقد كفاه الله تكلف عيشه الذي قد يشغله عما هو فيه من الأنس بالفكرة في صلاح نفسه، وهو ما أشار إليه قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨])<sup>(٢)</sup>.

وعن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه عليه السلام قال: (كنت عند مَسْلَمَةَ بن مَخْلَدٍ وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فتمثل مَسْلَمَةُ بيت من شعر أبي طالب، فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيّد قد جاء بخير كثير، فقال عبد الله: ويومئذ قد كان سيّداً كريماً قد جاء بخير كثير، فقال مَسْلَمَةُ: ألم يقل الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦ - ٨]، فقال عبد الله: أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه، وأمّا العيلة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة)<sup>(٣)</sup>.

عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: (لما نزلت والضحى على رسول الله صلّى الله عليه وآله) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يَمُنُّ عَلَيَّ رَبِّي، وَأَهْلٌ أَنْ يَمُنَّ رَبِّي»<sup>(٤)</sup>.

---

والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، دار الفكر، بيروت (٤٥٨/٥)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ط ١، (١٤١٥هـ — ١٩٩٥م)، (٥٦٢/٨).

(١) تفسير ابن كثير [٥٢٤/٤].

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور [٢٢٢/١٠].

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره [٣٠٥/٢]، والبيهقي في دلائل النبوة [١١٠/٨].

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور [٥٤٤/٨] لابن مردويه، والدلمي.

وَعَنَاهُ ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله، وقيل: المعنى: وجدك فقيراً إليه فأغناك به<sup>(١)</sup>.

لكن معظم هذه التفاسير ترى أن إغناء الله تعالى لنبيه ﷺ مالياً يعارض كونه داعياً إلى الله، فيصرفون معنى الغنى المالي إلى القناعة أو الكفاف، وكأن الشراء المالي لا يصح اقترانه بالمسلم الحق.

وهذا ملخص ما ذكره المفسرون والنحاة حول المراد من معنى كلمة: ﴿عَائِلاً﴾ الواردة

في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾، للدلالة على أمرين اثنين:

١ - كلمة (عائل) لا تعني الفقير.

٢ - لا يوجد مترادفات في القرآن.

ودليل الأول ما جاء في كتب التفاسير واللغة:

● جاء في أضواء البيان للشنقيطي:

(العائل: صاحب العيال، وقيل: العائل الفقير، على أنه من لازم العيال الحاجة، ولكن

ليس بلازم، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾، يشير إلى هذا الموضع؛ لأن ﴿أَغْنَى﴾ تعبير بالفعل، وهو يدل على التجدد والحدوث، فقد كان ﷺ من حيث المال حالاً، فحالاً<sup>(٢)</sup>.

● وجاء في تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور:

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزى [٣٣٥/٣].

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر — بيروت، (١٤١٥هـ — ١٩٩٥م) تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، [٥٦١/٨].

(والعائل: الذي لا مال له، والفقر يسمى عيلة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب؛ إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال؛ حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها<sup>(١)</sup>.

● وجاء في مفاتيح الغيب للرازي:

(في تفسير العائل قولان: الأول — وهو المشهور — أن المراد هو الفقير، ثم في كيفية الإغناء وجوه...

القول الثاني: في تفسير العائل أنت كنت كثير العيال — وهم الأمة — فكفاك، وقيل فأغناهم بك؛ لأنهم فقراء بسبب جهلهم وأنت صاحب العلم، فهداهم على يدك<sup>(٢)</sup>.

● وجاء في تاج العروس بشرح القاموس المحيط:

(يقال: عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]، ويقال: قد عالي أمرك يعولني إذا أهمني، ويقال: قد عال أمر القوم إذا اشتد وتفاقم، ويقال: قد عال الرجل في الأرض يعيل فيها إذا ضرب فيها، ويقال: قد عال الرجل في حكمه يعول إذا مال، وقد عال ميزانه يعول إذا مال، قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] معناه: ألا تَمِيلُوا.

وعال الرجل عياله قام بما يحتاجون إليه من طعام وكساء وغيرهما، فهو عائل، وفي الحديث «وابدأ بمن تعول»<sup>(٣)</sup>، ونقول: أعال الرجل كثر عياله فأثقلوه<sup>(٤)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع — تونس، (١٩٩٧ م)، [٤٠٠/٣٠].

(٢) مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية — بيروت (١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م)، الطبعة الأولى، [١٩٧/٣١].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٣٣٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير، رقم (١٧١٦).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة: عيل [٧٣٦٧/١].

- وقال الأخفش: (وجدك ذا عيال)<sup>(١)</sup>.
- ودليل الثاني: أن معاني الفقر لا تنطبق على حال النبي ﷺ.
- وأورد هنا مرادفات كلمة الفقر ودلالاتها:
- **الفقير**: ليس له ما يكفيه من القوت، ويسأل الناس<sup>(٢)</sup>.
  - **المسكين**: فقير ليس له ما يكفيه، ولا يسأل الناس مظهراً للمسكنة<sup>(٣)</sup>.
  - **المسكين ذا المتربة**: المحتاج المطروح على التراب من شدة احتياجه<sup>(٤)</sup>.
  - **البائس**: الشديد الفقر، وهو أجهد من المسكين والفقير<sup>(٥)</sup>.
  - **السائل**: الفقير المحتاج الذي أُذِنَ له بالسؤال لدفع الحاجة عن نفسه<sup>(٦)</sup>.
  - **المعدم**: الذي لا يجد شيئاً لعدم قدرته على إيجاده<sup>(٧)</sup>.
  - **القانع**: الطامع الذي يسأل أن يُعطى من اللحم، وهو السائل<sup>(٨)</sup>.
  - **المعتر**: الذي يعتري متعرضاً للإعطاء من غير سؤال، ولا يسأله حياء وعفة<sup>(٩)</sup>.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي [٩٩/٢٠].

(٢) ينظر: [فتح القدير ١٥/٢، حاشية ابن عابدين ٥٨/٢، حاشية الدسوقي ٤٩٢/١، حاشية القليوبي ١٩٥/٣، مغني المحتاج ١٠٦/٣، كشف القناع ٢٧١/٢ — ٢٧٢].

(٣) ينظر: [حاشية ابن عابدين ٥٨/٢، مغني المحتاج ١٠٦/٣، حاشية الدسوقي ٤٩٢/١، كشف القناع ٢٧٢/٢].

(٤) ينظر: الفروق اللغوية (ص: ٤١٠).

(٥) ينظر: لسان العرب [٢٠/٦].

(٦) ينظر: لسان العرب [٣١٨/١١].

(٧) ينظر: الفروق اللغوية (ص: ٥٨).

(٨) ينظر: الفروق اللغوية (ص: ٤٣٦).

(٩) ينظر: معجم مقاييس اللغة [٣٤/٤].

- المحتاج: ذو أربٍ أي حاجة لا يقال: محتاج، بل: محتاج إلى مال ونحوه<sup>(١)</sup>.
- ذوالخلّة: (الخلّة) الفرجة، وهو المحتاج أو الفقير أو المشتهي لأمر من الأمور<sup>(٢)</sup>.
- المملق: من يخشى الفقر والحاجة بعد الغنى<sup>(٣)</sup>.
- الصعلوك: الذي لا مال له، ولا يعتمد على أحد في تحصيله<sup>(٤)</sup>.
- المقتر: من ضاق عيشه أي قلّ وافقر<sup>(٥)</sup>.
- المعسر: العاجز عن الوفاء بالدين<sup>(٦)</sup>.

#### والسؤال:

- ◆ هل ينطبق وصفٌ مما تقدم من معاني الفقر على حال النبي ﷺ؟! حاشا وكلا؟!
- ◆ هل يمكن وصف النبي ﷺ بالفقير؟ فيكون قد سأل الناس!!
- ◆ هل يحق له ﷺ أن يسأل الصدقة وهي محرمة عليه؟!

ويبقى بعد ذلك الوصف الوحيد الذي وصف الله به حال نبيه ﷺ المالية، وهو قوله

تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] وما العائل بالفقير؛ ذلك لأمرين:

- ١ — لو شاء الله تعالى هذا المعنى لذكره بذات اللفظ، لا بغيره، كما تبين أن هناك أربعة عشر لفظة تدل كلها على الفقر، وليست هي الفقر.

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص: ٢٩٨).

(٢) ينظر: [المعجم الوسيط ١/٢٥٣، لسان العرب ١١/٢١١].

(٣) ينظر المحكم والمحيط الأعظم [٦/٤٤٤].

(٤) ينظر: لسان العرب [١٠/٤٥٥].

(٥) ينظر: معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٥٢).

(٦) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٤٠).

٢ — لا يوجد مترادفات في القرآن الكريم، وليس هذا من صفة القرآن وبلاغته وإعجازه، فلكل كلمة — بل ولكل حرف — مراد لا يستبدل ولا يغير<sup>(١)</sup>.

وعليه، فالعائل هو: كثير العيال، ومن تغير حاله لكثرة إنفاقه، ومنه (العول) الذي يَرِدُ في علم الفرائض، ويعني الزيادة، أي زيادة الأعباء، وهذا ما كان عليه حال النبي ﷺ.

لذلك فإن الله عز وجل عندما وعد نبيه وفاه حتماً ما وعده، فحين وجده عائلاً أغناه حقيقةً، ويؤكد البحث هذا المعنى: الآية: ﴿فَأَغْنَى﴾، وليس: (ووجدك عائلاً فأفقر!!).

وهنا يجدر التنبيه إلى أن النبي ﷺ كان لنوائبه ما يكفيه، وفي هذا ردُّ على من يعتقد أن النبي ﷺ كان يعيش حالة الفقر، وكان لا يفكر في غدٍ كما يحلو لبعض غلاة المتصوفة أن يزعم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ويعزز ذلك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى في ترجمة قوله تعالى ﴿وَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾، أي: وجدك في حاجة فجعلك في غير حاجة (غير محتاج).

The difference between the parent and the poor

[٩٣، ٨] And find you in want and make you to be free from want?

(٢) منهم الحارث الحاسبي، وأيده الغزالي كما نقل ابن الجوزي في باب ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها، قال:

(أيها المفتون، متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد أزريت بمحمدٍ والمرسلين، وزعمت أن محمداً لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال، وقد علم أن جمعه خير لهم، وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم، وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة وابن عوف في القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً...

وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال: تركه أبر منه!! وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً، فأصابها، فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه، والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يذلها، فأيهما أفضل؟ فقال: بعيد والله ما بينهما، الذي جانبها أفضل كما يبين مشارق الأرض ومغاربها!!

قال المصنف — أي: ابن الجوزي — : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي، ذكره أبو حامد وقال: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشكّ في أن فقد المال أفضل من وجوده، فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتّى لا يبقى له إلا قدر ضرورته، فمن بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل!!

قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل، وسوء فهمٍ للمراد بالمال، ونقد مسالك الصوفية في تجرّدهم). ا.هـ.

ينظر: تلبس إبليس لابن الجوزي، دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥-١٩٨٥) تحقيق: د. السيد الجميلي [٢١٨/١].



## المبحث الثاني:

### مصادر دخله العشرة

#### المطلب الأول:

### تكسبه ﷺ من مزاولة التجارة

النبي ﷺ تاجرٌ قبل البعثة وبعدها<sup>(١)</sup>...

التجارة حرفة النبي ﷺ، وقد كان لجميع إخوته من الأنبياء حِرْفٌ يتعيشون منها، إضافة إلى معجزات الله لهم حتّى لا يكون لأحد فضل على رسل الله الذين لم يعيشوا على موائد أتباعهم لقولهم جميعاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

وليس كما يزعم بعض غلاة المتصوفة من أن التجارة حرام حتّى في حق النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) للاستزادة ينظر كتاب شرف المصطفى لأبي سعد النيسابوري، تحقيق عاصم نبيل الغمري، دار البشائر (ط: ١)، باب تجارته ﷺ.

(٢) في حديث خطير جداً في ترك الكسب يُعزى للنبي ﷺ حين يقول: (قال ﷺ: «ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكن من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين» الإحياء: [٣٥٣/٢].

قال العراقي: (الحديث رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود ﷺ بسند فيه لين. أخرجه ابن عدي من حديث ابن مسعود ﷺ: «ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين...» الحديث، ولأبي نعيم والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث: «لا تجمعوا ما لا تأكلون» وكلاهما ضعيف).

وذكره السبكي [٣٠٠/٦] في الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً.

فقد كان النبي ﷺ قبل النبوة تاجراً، وكذلك بعد النبوة، فنجد أنه ﷺ لم يزل يزاول التجارة، إضافة إلى إكرام الله تعالى له بالغنائم وغيرها من مصادر دخله. وهكذا شأن الأنبياء والمرسلين كلهم<sup>(١)</sup>، فالله تعالى لا يرضى أن يتكسب رسله من فضل الناس<sup>(٢)</sup>.

عن أبي رافع: (أن النبي ﷺ بعث رجلاً على الصدقة من بني مخزوم، فقال لأبي رافع: اصحبني فإنك تصيب منها، قال: حتى آتي رسول الله ﷺ، فأتاه فسأله، فقال: «مولى القوم من أنفسهم، وإنا لا تحل لنا الصدقة»<sup>(٣)</sup>).

ومِمَّا يستدعي التأمل والاهتمام أنه ﷺ كان يزاول البيع والشراء، ويتكسب مع شغله الشَّاعِل بشؤون الدعوة، وما ذاك إلا لأنه هو الأسوة الحسنة للناس، فهو ﷺ أرشد أصحابه إلى أن يأكلوا من عمل أيديهم، وكذا كان دأب الأنبياء والمرسلين — عليهم الصلاة والسلام — .

---

(١) تكررت إجابات الأنبياء لأمتهم بعدم أخذ الأجرة على دعوتهم، وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومثال ذلك في سور: (يونس: ٧٢، هود: ٢٩ و٥١، الشعراء: ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠، ثم سبأ: ٤٧).

(٢) وفي قوله ﷺ: «وإنا لا تحل لنا الصدقة». وجه لهذا المعنى والله أعلم، فلما بعثه الله إلى عباده وعده على تبليغ دينه والصدع بأمره الجنة، وأمره ألا يأخذ من الناس على ذلك أجراً من متاع الدنيا، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]، وكذلك حال سائر الرسل في كتاب الله، كلهم يقول: (لا أسألكم عليه مالا ولا أجراً إن أجري إلا على الله)، ينظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٣٧٧/١٥].

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم، رقم (١٦٥٠)، والترمذي في كتاب الزكاة، باب كراهية الصدقة على النبي ﷺ وآله، رقم (٦٥٧)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب الزكاة، باب مولى القوم منهم، رقم (٢٦١٢).

ففي صحيح البخاري من حديث المقدم عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — أنه قال لرجل جالس عنده وهو يحدث أصحابه: ادنُ مني، فقال له الرجل: أبقاك الله، والله ما أحسن أن أسألك كما سأل هؤلاء، فقال: (ادنُ مني فأحدثك عن الأنبياء المذكورين في كتاب الله، أحدثك عن آدم أنه كان عبداً حراثاً، وأحدثك عن نوح أنه كان عبداً نجاراً، وأحدثك عن إدريس أنه كان عبداً خياطاً، وأحدثك عن داود أنه كان عبداً زراداً، وأحدثك عن موسى أنه كان عبداً راعياً، وأحدثك عن إبراهيم أنه كان عبداً زراعاً، وأحدثك عن صالح أنه كان عبداً تاجراً، وأحدثك عن سليمان أنه كان عبداً آتاه الله الملك)<sup>(٢)</sup>.

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكرياء عليه السلام نجاراً»<sup>(٣)</sup>، فاسترشد الصحابة بخط الأنبياء، واقتدوا بنبيهم ﷺ.

وعند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق...، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عملُ أموالهم...)<sup>(٤)</sup>.

فإذا كانت هذه طريقة الصحابة الكرام في المعاش، فكيف لا يكون النبي ﷺ يعمل، ويأكل من عمل يده؟ وهو قدوتهم وأتقاهم وأخشاهم لله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم (٢٠٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب ذکر الأنبياء، باب ذکر نبي الله وروحه عيسى بن مريم عليه السلام، رقم (٤١٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل زكرياء عليه السلام، رقم (٢٣٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾، رقم (٢٠٤٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل أبي هريرة، رقم (٢٤٩٢).

## استمراره ﷺ في التجارة بعد البعثة:

يدل على استمراره ﷺ في التجارة ما قاله الحافظ ابن القيم في الهدي النبوي: (إن النبي ﷺ باع واشترى وشراؤه أكثر، وأجر واستأجر وإيجاره أكثر، وضارب وشارك، ووكل وتوكل وتوكيله أكثر، وأهدى وأهدي له، ووهب واستوهب، واستدان واستعار، وضمن عامًّا وخاصًّا، ووقف، وشفع فقبل تارة، وردَّ أخرى فلم يغضب، ولا عتب، وحلَفَ واستحلف، ومضى في يمينه عدَّةً وكفَّرَ أخرى، ومازح وورَّى ولم يقل إلا حقًّا، وهو ﷺ القدوة والأسوة...) (١).

وقال الجاحظ (٢): وقد علم المسلمون أنه خيرة الله تعالى من خلقه، وصفوته من عباده، والمؤمن على وحيه، من أهل بيت التجارة، وهي معولهم، وعليها معتمدتهم، وهي صناعة سلفهم، وسيرة خلفهم، وبالتجارة كانوا يعرفون، ولذلك قالت كاهنة اليمن: (لله الديار ولقريش التجار).

وليس قولهم: قرشي كقولهم: هاشمي، وزهري، وتيمي...؛ لأنه لم يكن لهم أب يسمى قریشاً فينتسبون إليه، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقریش، فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم، وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه، وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله، فجعله قرآناً عربياً يتلى في المساجد، ويكتب في المصاحف، ويجهر به في الفرائض، وحظوة على الحبيب والخالص.

ولهم سوق عكاظ، وفيهم يقول أبو ذؤيب:

إذا ضربوا القباب على عكاظ  
وقام البيع واجتمع الألو ف

---

(١) نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتب الإدارية للكتاني ، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم، (ط: ٢)، [٧/٢].

(٢) الجاحظ: العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف، أخذ عن النظام، قال الذهبي: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر، وكان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جداً، مات سنة خمسين ومائتين. [سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١١].

وقد بقي النبي ﷺ برهة — حيناً — من دهره تاجراً، باع واشترى حاضراً، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فأوحى الله إليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات. وهذه الآية تصف تجارة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها.

روى عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اشْتَرَى مِنْ عِمْرِ بَيْعًا، وَلَيْسَ عِنْدَهُ ثَمَنُهُ، فَأَرْبَحَ فِيهِ، فَبَاعَهُ، فَتَصَدَّقَ بِالرَّابِحِ عَلَى أَرَامِلِ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَقَالَ: «لَا أَشْتَرِي شَيْئًا إِلَّا وَعِنْدِي ثَمَنُهُ»<sup>(١)</sup>).

ومما يدل على تجارته أيضاً كثرة الأحاديث التي فيها نصيحة للتجار:

حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يَتَبَايَعُونَ، فقال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»، فاستجابوا، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ وَصَدَّقَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن قيس بن أبي غرزة رضي الله عنه قال: كُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُسَمِّي — قبل أن نُهَاجِرَ — السَّمَّاسَةَ، فَمَرَّ بَنَا يَوْمًا بِالْمَدِينَةِ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فقال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْخَلْفُ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: (لقد خرج أبو بكر رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ تاجراً إلى بصرى، لم يمنع أبا بكر من الضن برسول الله ﷺ وشحه على نصيبه منه من

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب التشديد في الديون، رقم (٣٣٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع، باب التجار وتسمية النبي ﷺ لهم، رقم (١٢١٠).

(٣) أخرجه أحمد (٦/٤)، والحاكم (٥/٢) واللفظ لأحمد، وصححه الحاكم .

الشخص إلى التجارة؛ وذلك لإعجابهم بكسب التجارة، وحبهم التجارة، ولم يمنع رسول الله ﷺ أبا بكر من الشخص في تجارته لحيه صحابته وضنه بأبي بكر، وقد كان لصحابته معجبا لاستحباب رسول الله ﷺ التجارة وإعجابه بها<sup>(١)</sup>.

### وهو الذي أقام السوق في المدينة:

عن أبي أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذهب إلى سوق النبط، فنظر إليه فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثم ذهب إلى سوق، فنظر إليه، فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثم رجع إلى هذا السوق، فطاف فيه، ثم قال: «هذا سوقكم، فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج»<sup>(٢)</sup>.

هذا لفظ ابن ماجه، ولفظ الطبراني: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، إني قد رأيت موضعاً للسوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: «بلى»، فقام معه حتى جاء موضع السوق، فلما رآه أعجبه، وركضه برجله، ثم قال: «نعم سوقكم هذا، فلا ينتقص، ولا يضربن عليه خراج»<sup>(٣)</sup>. وهذا يؤكد حرص النبي ﷺ على تأسيس أهم ركني الدولة: الأمن والاقتصاد، وهذا سببته خطوات عملية تهيئ لقيام نظام اقتصادي متميز في أول دولة إسلامية.

### سُمي بالأمين لأمانته التجارية وغيرها:

كان رسول الله ﷺ صادقاً في أخباره، وأميناً في معاملاته المالية، وكان من شدة ثقة قومه به وبأمانته يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم وذلك قبل البعثة — لتسميته بالأمين قبل البعثة — وبعدها — وقد ترك علياً رضي الله عنه في مكة عند الهجرة لرد الودائع —، حتى سموه بالصادق الأمين، ليس كما يزعم بعضهم أن تسميته بالأمين نسبة لأمه آمنة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) أخرجه ابن عساکر في تاريخه [٢٧٠/٣٣]، والطبراني في الكبير [٣٠٠/٢٣]، وقال الهيثمي في

المجمع [١٠٦/٤]: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير ثقات).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، رقم (٢٢٣٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير [٢٦٤/١٩].

(٤) جاء في دائرة المعارف البريطانية في ترجمة حياته ﷺ أن تسميته بالأمين مأخوذة من اسم أمه (آمنة)، وإن كان العرب لا يجعلون علاقة بينهما في هذه التسمية، هذا ما زعمه كاتب الترجمة في دائرة المعارف

جاء في السيرة الحلبية عند الحديث على اختلاف قريش على وضع الحجر الأسود في الكعبة: (فكان أول داخل منه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد؛ أي لأنهم كانوا يتحاكمون إليه في الجاهلية، لأنه كان لا يداري ولا يماري)<sup>(١)</sup>.

### شبهة ورد:

يشكل على بعضهم أن قوامة الرجل إنما كانت بإنفاقه على زوجته، وبغياب هذا الإنفاق تزول القوامة<sup>(٢)</sup>، ولكن السيدة خديجة هي التي كانت تنفق، فهل كانت القوامة لها على رسول الله ﷺ؟!<sup>(٣)</sup>

---

البريطانية فهو يريد أن يقول: إن العرب لم يسموه أميناً لأمانته بل لأن اسم والدته آمنة، فلا فخر ولا فضل، والحقيقة التاريخية هي أنه صلى الله عليه وسلم سمي أميناً لأمانته، ولذا استخدمته خديجة في تجارتها فربحت ربحاً طائلاً ثم تزوجته لثقتها به، وكانوا يستأمنونه على ودائعهم وقد جعله قومه حكماً بينهم في بناء الكعبة عن طيب نفس، قال المسيو سيديو Sedillot في كتابه تاريخ العرب: (ولما بلغ محمد من العمر خمساً وعشرين سنة استحق بحسن سيرته واستقامة سلوكه مع الناس أن يلقب بالأمين). وقال موير Muir: (إنه لقب بالأمين بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه). وكتب لفظة أمين بالإنجليزية هكذا: Faithful.

وكان أهل مكة يستأمنونه ﷺ ويودعون عنده ودائعهم إلى أن هاجر إلى المدينة وترك علياً مكانه، فبقي حتى رد الودائع إلى أربابها ثم هاجر.

(١) السيرة الحلبية [٣١٥/١].

(٢) وهذه المسألة فيها تفصيل عند الفقهاء يراجع في كتب الفقه.

(٣) جاء في كتاب دثريي يا خديجة، للدكتورة سلوى بالحاج صالح العايب، دار لبنان (١٩٩٩م): (خديجة

هي زوجة محمد الأولى، وهي التي أخرجته من الفقر، كما يشير إلى ذلك القرآن: ﴿وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾).

وفي مقال لنورا محمد بعنوان: محمد القصة الحقيقية، مركز الأبحاث العلمانية: [www.ssrcaw.org](http://www.ssrcaw.org): (والحقيقة أن محمداً أخلص لخديجة مضطراً، فقد اشترطت عليه في عقد الزواج ألا يتزوج عليها، وكانت أكبر منه سناً، وكانت غنية تنفق عليه أموالها، وكانت شخصيتها

قوية ومسيطرة عليه، فخاف أن يغضبها، وكان فقيراً لا يستطيع الزواج، ولن تسمح له خديجة أن يأخذ أموالها ليصرفها على ضررها).

وفي مقال لكامل النجار بعنوان: المفاهيم الخاطئة مركز الأبحاث العلمانية: [www.ssrcaw.org](http://www.ssrcaw.org) (فعند ظهور القرآن كانت خديجة متقدمة على محمد في الكسب والقوامة، فهي التي كانت توظفه).

تقول ناهد متولي في الخديجة الكبرى: (خدعونا وقالوا لنا: لو كان رسول الإسلام رجلاً شهوانياً محباً للنساء وكل همه جمع الجميلات في بيت النبوة ما كان مكث مع أولى زوجاته خديجة — والتي كانت تكبره بأكثر من عشرين عاماً — خمساً وعشرون سنة دون أن يفكر أن يتزوج بأخرى، أو أن يطلقها، وكانت نعم الزوجة له، وعاش طيلة فترة زواجهما خادماً يعمل في تجارتها بكل أمانة.. ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً، ولنسرد ما جاء في كتب السيرة النبوية الشريفة، وكان محمد رسول الإسلام مجرد أجير يعمل عند سيده، نقلته من مرتبة الأجير إلى الزوج، نعم كان زوجاً ولكن لم يستطع محمد أن ينسى أن زوجته هي سيده التي تمد له يدها الحنون لئلا يأخذ منها، وهي صاحبة المال والكلمة، وجميعنا يعلم جيداً سلطان المال.. قالت له خديجة في يوم من الأيام وهذه المقولة مكتوبة في جميع كتب السيرة: الحمد لله الذي ألبسك الحرير وأطعمك الفطير، والمعنى واضح، حتى القرآن وإله الإسلام فرحا بزواج الرسول اليتيم الفقير المعدم من خديجة ذات الشرف والمال، كما جاء في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ بمعنى أن الله أعطى رسول الإسلام عطايا كثيرة ليرضيه، أنه كان يتيمًا لا عائل له أوجد له المأوى وعوضه عن فقدان والديه، وكان ضالاً فهده إلى طريق الحق، وكان عائلاً فأغنى.

يقول القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن [٧٤٣٨/١٠] في تفسير هذه الآية ما يلي: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ أي فقيراً لا مال لك، ﴿فَأَغْنَى﴾ أي: فأغناك بخديجة — رضي الله عنها — .

هذا ما قاله إله الإسلام في القرآن: إنه أغنى محمداً بزواجه من خديجة ذات المال، وبعد كل ما تقدم أسأل علماء المسلمين والشيوخ الأفاضل الذين يلوون عنق الحقيقة الواضحة، هل كان يجروء محمد رسول الإسلام أن يفكر — مجرد تفكير — بالزواج من أخرى إلى جوار خديجة صاحبة المال؟؟ هل بعد أن أغناه إله الإسلام بالزواج منها يتزوج بأخرى حتى يطرد من منزلها ويحرم من ارتداء الحرير وأكل الفطير..؟

يا مضلين يا مزيفي الحقائق هل كان محمد ذا مال حتى يكون حر التصرف كما كان بعد موت خديجة؟ وهنا أقف وأتأمل مرة أخرى ما بين الخديجة والحقيقة، وكيف استطعتم يا مشايخنا الأفاضل ويا علماء الإسلام أن تخدعوا ملايين البشر.. أين الضمير؟



فالرجل هو رب الأسرة، وهو المسؤول عنها، وتقوم قوامته على أمرين اثنين: تفضيل الله تعالى له، وإنفاقه على أهل بيته، قال الله تعالى: **بَدَلِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]**.

جاء في تفسير الطبري<sup>(١)</sup>: (قال أبو جعفر: ... ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، يعني: بما فضل الله به الرجال على أزواجهم: من سَوَّقَهُمْ إِلَيْهِنَّ مَهْرَهُنَّ، وَإِنْفَاقَهُمْ عَلَيْهِنَّ أَمْوَالَهُمْ، وَكَفَايَتَهُمْ إِيَّاهُنَّ مُؤَنَّهُنَّ. وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهن، ولذلك صاروا قَوَّامًا عليهن، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن).  
وجاء في المبسوط للسرخسي<sup>(٢)</sup>، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي<sup>(٣)</sup>: (فهم الجمهور من قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أنه متى عجز عن نفقتها لم يكن قواماً عليها، وإذا لم يكن قواماً عليها كان لها فسخ العقد؛ لزوال المقصود الذي شرع لأجله النكاح. وفيه دلالة واضحة من هذا الوجه على ثبوت فسخ النكاح عند الإعسار بالنفقة والكسوة، وهو مذهب مالك والشافعي).

### وَيُرد ذلك:

١ - ما تقدم ذكره في باب تكسبه ﷺ بالتجارة الذي يستخلص منه:

أ. كان النبي ﷺ تاجراً قبل خديجة ومع خديجة وبعد خديجة، وذلك من خلال اختيارها له لمهارته في التجارة وإعطائه ضعف ما تعطي لما أكسبها من ربح وفيه كعادته، وكان تاجراً مضارباً معها ولم يكن أجيئاً ولم يتوقف عن العمل بعد زواجه.

---

post - nekabs.blogspot.com/٢٠٠٩/٠٨/blog - http://hegabs

شبكة اللادينيين العرب.

(١) تفسير الطبري [٨٤/٣٤].

(٢) المبسوط [٢٠٧/١٧].

(٣) تفسير القرطبي [١٦٩/٥].

ب. إثبات تجارته ﷺ.

ت. إعانته عمه أبا طالب عندما كان الناس في أزمة وكان ﷺ وعمه العباس أيسر الناس.

٢- بقول خديجة نفسها — رضي الله عنها —:

(فدخل ﷺ على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الرُّوع، فقال لخديجة — وأخبرها الخبر — : «لقد خشيتُ على نفسي»، فقالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصلُ الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(١)</sup>، وفي رواية: (وتؤدي الأمانة)<sup>(٢)</sup>).

فهذه الصفات الخمس الأخيرة كلها صفات مالية تدل على الكرم والجود، وهذا ما تشهد به أقرب الناس إليه، فكيف يقوم هذا الكرم على الفقر والعوز؟! ما لهم كيف يحكمون!!!؟

وفي فتح الباري تفصيل ذلك، قال: (فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ عَلَى مَا أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ بِأَمْرِ اسْتِقْرَائِي وَصِفَتِهِ بِأَصُولِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّ الْإِحْسَانَ إِمَّا إِلَى الْأَقْرَبِ أَوْ إِلَى الْأَجَانِبِ، وَإِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِالْمَالِ، وَإِمَّا عَلَى مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ أَوْ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِيمَا وَصَفْتَهُ بِهِ، وَ(الْكُلُّ) — بفتح الكاف — : هُوَ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ [النحل: ٧٦]، وَقَوْلُهَا: (وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ) بضم أوله، والكسب هو الاستفادة، فكأنها قالت: إذا رغب غيرك أن يستفيد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم (١٦٠).

مالاً موجوداً رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزاً فتعاونته، وقال قاسم بن ثابت في الدلائل: قوله: (يُكْسِب) معناه: ما يعدمه غيره ويعجز عنه يصيبه هو ويكسبه).

وفي رواية: (وَتَكْسِب) بفتح أوله، قال عياض: وهذه الرواية أصح. قلت: قد وجهنا الأولى، وهذه الراجحة، ومعناها: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، فحذف أحد المفعولين، ويقال: كسبت الرجل مالاً وأكسبته بمعنى.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ تَكْسِبُ الْمَالَ الْمَعْدُومَ وَتُصِيبُ مِنْهُ مَا لَا يُصِيبُ غَيْرَكَ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَتِمَادِحُ بِكَسْبِ الْمَالِ، لَا سِيَّمَا قُرَيْشٌ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ الْبُعْثَةِ مَحْظُوظًا فِي التَّجَارَةِ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ هَذَا الْمَعْنَى إِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَعَ إِفَادَتِهِ لِلْمَالِ يَجُودُ بِهِ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْمَكْرُمَاتِ، وَقَوْلُهَا: وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، هِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِأَفْرَادِ مَا تَقَدَّمَ<sup>(١)</sup>.

قال النووي: (ويدخل في حَمَلِ الْكَلِّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، وتكسب المعدوم: بفتح التاء في الأشهر، وروي بضمها، وعليه فالمعنى: تكسب غيرك المال المعدوم، أي: تعطيه إياه تبرعاً، فحذف أحد المفعولين، وقيل: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، وأما الفتح فقليل معناه كالضم، وقيل: معناه: تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لا سيما قريش، وكان النبي ﷺ محظوظاً في تجارته<sup>(٢)</sup>.

٣- الله الذي يرزقه: قال الله تعالى: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢]

٤- قَدِّمْتُ — رضي الله عنها — ما لها في زمن عسرة للرسالة، وكان رد المعروف مذهلاً:

(١) فتح الباري [٢٤/١].

(٢) ينظر: [شرح النووي على مسلم ٤٢٢/١٨].

تضبط لنا السيرة زمن تقديم السيدة خديجة مالا للنبي ﷺ وهو في أواخر أيام الحصار كما تقدم في مصادر الدخل الداخلية زمن الحصار.

٥- أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة — رضي الله عنها — قالت: (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها. قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها: قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بماها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»<sup>(١)</sup>.

ويظهر للباحث في هذا الحديث أمران:

١ — أن السيدة خديجة قد أعطت النبي ﷺ من مالها على حين منع قريش النبي ﷺ من التجارة والتكسب، وذلك في أيام حصار الشعب كما تقدم دليل ذلك من عرضها المال عليه ﷺ هدية إن شاء أمسكه وإن شاء فرقّه.

٢ — يقرأ من قوله ﷺ: «وواستني بماها إذ حرمني الناس» أن مواساتها له ﷺ كانت في حال عسرة ولم يكن ذلك الحال اعتيادياً منها في الإنفاق عليه ﷺ كما يحلو لبعضهم أن يزعم.

قال ابن تيمية في منهاج السنة: (قوله عن خديجة — رضي الله عنها — : «ما أبدلني الله بخير منها»؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه مقامها، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [٢١٥/٥٤] برقم (٢٥٦٠٦).

(٢) [١٤٢/٤]، وكذا قال في مال أبي بكر ﷺ: (وقوله كان النبي ﷺ قبل الهجرة غنياً بمال خديجة ولم يحتج إلى الحرب، والجواب أن إنفاق أبي بكر ﷺ لم يكن نفقة على النبي ﷺ في طعامه وكسوته، فإن الله قد أغنى رسوله عن مال الخلق أجمعين، بل كان معونة له على إقامة الإيمان، فكان إنفاقه فيما يحبه الله ورسوله لا نفقة على نفس الرسول) [٢٩٥/٨].

**إِذْن:** إن قوامة بيت النبوة كانت بيد النبي ﷺ طيلة حياته مع السيدة خديجة، وأما ما كان من مواساتها وقت الحاجة فهو موقف لا ينكره أحد، وقد ردَّ النبي ﷺ هذا المعروف لها بخير منه.

نستنتج ممَّا سبق أنَّ النبي ﷺ زاول التجارة قبل النبوة وبعدها، ومن أدلة ذلك أيضاً ما جاء في صحيح البخاري من حديث جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال له: «أتبيني جَمَلَك؟» قلت: نعم، فاشتره مني بأوقية<sup>(١)</sup>.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رجلاً أعتق غلاماً له عن دُبر<sup>(٢)</sup>، فاحتاج، فأخذه النبي ﷺ فقال: «مَن يشتريه مِنِّي؟» فاشتره نعيم بن عبد الله بكذا وكذا، فدفعه إليه<sup>(٣)</sup>.

وقال جابر رضي الله عنه: (باع النبي ﷺ المُدَبِّر<sup>(٤)</sup>).

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر — رضي الله عنهما — قال: (كنا مع النبي ﷺ، ثمَّ جاء رجل مشركٌ مُشْعَانٌ طويلٌ بغنمٍ يسوقها، فقال النبي ﷺ: «أَيُّعَا أَمْ عَظِيَّةٌ؟» أو قال: «أو هِبَةٌ؟» قال: لا، بل بيعٌ، فاشترى منه شاة<sup>(٥)</sup>).

ومنها أنَّه ﷺ دفع ديناراً إلى عُرْوَةَ الْبَارِقِي رضي الله عنه لِيَشْتَرِيَ بِهِ شاةً، فَاشْتَرَى بِهِ شَاتَيْنِ، وَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَ بِشاةٍ وَدِينَارٍ، فَقَالَ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي صَفْقَةٍ يَمِينُكَ»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمير، رقم (٢٠٩٧).

(٢) العبد المُدَبِّر: هو العبد الذي علَّقَ مالكة عتقه بموت مالكة، سُمي بذلك لأن الموت دُبر الحياة. [فتح الباري: ٥٣١/٤].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع المزايدة، رقم (٢١٤١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع المدبر، رقم (٢٢٣٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب من أكل حتَّى شبع، رقم (٢٢١٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف، رقم (٢٠٥٦)، ومعنى مُشْعَانٌ: طويل شعْتُ الشَّعر. فتح الباري [٥١٨/٤].

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع والإجازات، باب في المضارب يخالف، رقم (٣٣٨٤)، وأخرجه الترمذي في كتاب البيوع، باب رقم (١٢٥٨)، وابن ماجه في كتاب البيوع، باب رقم (٢٤٠٢).

عن سويد بن قيس رضي الله عنه قال: (جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ الْعَبْدِيِّ بَرًّا مِنْ هَجَرَ<sup>(١)</sup>)، فَأَتَيْنَا بِهِ مَكَّةَ، فَجَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فساوَمَنَا سَرَائِيلَ، فَبِعْنَا مِنْهُ، فَوَزَنَ ثَمَنَهُ، وَقَالَ لِلَّذِي يَزُنُ: «زَنْ وَأَرْجِحْ»<sup>(٢)</sup>.

خلاصة:

إِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ صِنَاعَاتٌ وَتِجَارَاتٌ يَتَكَسَّبُونَ مِنْهَا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ تاجراً فِي أُمَّةِ التِّجَارَةِ.

\* \* \*

---

(١) هجر: بفتح أوله وثانيه، قيل: معناها: القرية، و يقال أيضاً: «الهجر» بالتعريف كما في البخاري. وعند ياقوت: هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين .. أقول: وليست من البحرين المعروفة الآن سياسياً، في داخل الخليج العربي، ولكن البحرين كانت تطلق على المنطقة الشرقية من السعودية وقاعدتها هجر .. وهي الإحساء.

أما القلال المحجرية، فقالوا: إنها منسوبة إلى هجر الإحساء، وقيل: منسوبة إلى قرية قرب المدينة، كانت تعمل فيها القلال. [آثار البلاد وأخبار العباد للقسوي (١/١١٢)، المعالم الأثرية في السنة والسيارة، (ص: ٢٩٣)].

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب الرجحان في الوزن، رقم (٣٣٣٦)، والترمذي في كتاب البيوع، باب الرجحان في الوزن، رقم (١٣٠٥)، والنسائي في كتاب البيوع، باب الرجحان في الوزن، رقم (٤٥٩٢).

## المطلب الثاني:

### ميراثه ﷺ من والديه

ذكر بعض العلماء أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَرَكَ بعض الأموال الوقفية وغيرها من أراضي ومزارع ومستغلات متنوعة مِمَّا ورثه عن والديه، ومِمَّا أفاء الله تعالى عليه في الغزوات والفتوحات الجهادية في بقاع شتى في المدينة المنورة وما جاورها من القرى، فقد ذَكَرَ الإمامان أبو يعلى الحنبلي الفراء<sup>(١)</sup> والإمام أبو الحسن الماوردي الشافعي في كتابيهما في الأحكام السلطانية<sup>(٢)</sup> عن الواقدي<sup>(٣)</sup> ما نصُّه:

(إنَّ رسول الله ﷺ ورث من أبيه عبد الله أمَّ أيمن الحبشِيَّة، واسمُها بَرَكة، وخمسة أجمالٍ وقِطعةً من غنم، وقيل: ومولاه شُقْران وابنه صالحاً، وقد شَهِدَ بدرًا، وورث من أمِّه أمانة بنت وهب الزُّهريَّة دارها الَّتِي وُلِدَ فيها في شِعبِ بني عَلِيٍّ، وورث من

---

(١) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي (٣٨٠ — ٤٥٨هـ): فقيه أصولي قاضي، شيخ الحنابلة في عصره، سمع علي بن عمر الحربي، وإسماعيل بن سويد، وحدث عنه: أبو الخطاب الكلوزاني، وأبو الوفاء بن عقيل، ومن مؤلفاته: التعليقة الكبرى، والأحكام السلطانية. [المقصد الأرشد ٣٩٥/٢، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٨، تذكرة الحفاظ ١١٣٤/٣].

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، والأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي، وكلاهما توفي في القرن الخامس الهجري (٤٥٠هـ).

(٣) الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواسطي (١٣٠ — ٢٠٧هـ): مولاهم المدني، الحافظ البحر، ولي قضاء بغداد وكان له رئاسة وجمالة وصورة عظيمة، وهو من أوعية العلم ورأس في المغازي والسير على ضعفه وعدم إتقانه الحديث، فقد كذَّبه أحمد، وتركه ابن المبارك وغيره، وقال النسائي وابن معين: ليس بثقة. [تذكرة الحفاظ ٣٤٨/١، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٩، طبقات الحفاظ ١٤٩/١].

زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ — رضي الله عنها — دَارَهَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الصَّفَا<sup>(١)</sup> وَالْمَرْوَةِ<sup>(٢)</sup> خَلْفَ سُوقِ الْعِطَّارِينَ وَأُمُومَالًا<sup>(٣)</sup>.

وقال بعض الرواة: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْتَقَ أُمَّ أَيْمَنَ حِينَ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، فَتَزَوَّجَهَا عُبَيْدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَوُلِدَتْ لَهُ أَيْمَنُ<sup>(٤)</sup>.

وقال آخرون: وَرَثَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّ أَيْمَنَ مِنْ أُمِّهِ، فَأَعْتَقَهَا.

وقال غيرهم: وَرَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَاعَهَا مِنْ أَبِيهِ.

وقال قوم: كَانَتْ لِأُمِّهِ، فَأَعْتَقَهَا<sup>(٥)</sup>.

وَوَرَّثَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أُمِّهِ آمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ دَارَهَا الَّتِي وُلِدَ فِيهَا بِمَكَّةَ، فِي شَعْبِ بَنِي عَلِيٍّ.

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ ﷺ وَرَثَ مِنْ أَبِيهِ أَيْضًا سَيْفًا مَأْثُورًا، وَوَرَقًا<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الصفا: بالفتح والقصر. والصفا، والصفوان والصفواء، كله العريض من الحجارة الملس، والصفا هنا: وهي أكمة صخرية، هي بداية المسعى من الجنوب ومنها يبدأ السعي. وكانت الصفا متصلة بجبل أبي قبيس، فشق بينهما مجرى للسيل في عهد الدولة السعودية عند توسعة الحرم الجديدة، فنجر الجبل حتى صار الماء يجري بين المسجد والجبل. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ١٥٩)].

(٢) المروة: أكمة صخرية، هي نهاية المسعى من الشمال، وعندها نهاية السعي بين الصفا والمروة، بعد سبعة أشواط. [المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ٢٥١)].

(٣) ينظر: [الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي (ص: ٢٩٥ — ٢٩٦)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء (ص: ٢٠٢)]. وينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٥٠/١، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢/٢٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى (٢٢٣/٨)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٥٠/١)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم [٢/٢٤٤].

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل — بيروت، ط ١، (١٤١٢هـ — ١٩٩٢م) [٢/٥٩٨، ٧/٣٤٢].

(٦) تاريخ المدينة المنورة لابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت، ط ١، (١٣٨٦هـ)، [١/١١٦]، والمختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ [ص ٢١].



ومن البدهي أن نقول: إن ما ورثه النبي ﷺ من والديه لم يكن كافياً للعيش الرغيد، ولعلّ ذلك كان ضمنَ القدر الإلهي الذي سيتكفّل لاحقاً بإعداد جُملة مصادر لدخل النبي ﷺ المالي، فالعناية الإلهية التي عوضته عن يتم الأب وحنان الأم ستعوضه عن إنفاق الأب وإشرافه، وفي هذا مَلَمَح هام أنّ الله عز وجل لم يدع نبيه ﷺ يعيش أبدَ الدَّهر على موائد أقاربه أو أتباعه، كما غمز بعض الكُتّاب بذلك فقال: (ولقد مرّت على النَّبي ﷺ أوقاتٌ عصيبة، وهو الذي لم يتَّخذ لنفسه عملاً، بل عاش على كرم المهاجرين والأنصار، وكثيراً ما كان يأوي إلى فراشه جائعاً أو يسكن جوعه بما لا يزيد عن بضع حَبّات من التمر)<sup>(١)</sup>.

ولو قرأ القائل ما قاله النبي ﷺ للأنصار والذين عتبوا عليه إعطاءه المهاجرين من ماله الخاص وليس من مال الدولة، لعلم من الذي يمتنُّ على من، ففي الخطبة المشهورة:

«يا معشر الأنصار، ألم أجِدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم مُتفرِّقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟»<sup>(٢)</sup>.

وعليه: كانت حال النبي ﷺ المالية قبل البعثة درساً يضاف إلى هذه الشَّخصية التي من شروط التَّأسي بها أن تعيش كل ما يُمكن أن يمر به الإنسان من أحوال ودروس، ودرس اليُتم كان أبلغها، وحسب العاقل أنه لا يحكم على جزء من الصورة أو القصة من دون معرفة فصولها وخاصة الخاتمة.

\* \* \*

---

(١) ينظر: مقال (بداية اقتصادية على أموال اليهود...؟) مصطفى حقي الحوار المتمدن - العدد (١٧٦٧) [١٧/١٢/٢٠٠٦].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، رقم (٤٣٣٣)، (٤٣٣٤)، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم، رقم (١٠٦١) واللفظ له.

## المطلب الثالث:

### ميراثه ﷺ من خديجة - رضي الله عنها - :

خديجة أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم، ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ، وأول من آمن به وصدّقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة<sup>(١)</sup>.

ومما سبق من الحديث عن ميراثه ﷺ من السيدة خديجة نتلمس الدرس الثاني الذي شاءت العناية الإلهية أن يتعلمه النبي ﷺ، وهو أن العمل المتقن والأمانة هما أساس الربح، فسمعة النبي ﷺ تاجراً سبقت نبوته إلى خديجة - رضي الله عنها - ، وهذا درس للمتواكلين والجبريين الذين يعتقدون أن الظروف تصنعهم، وأنهم ريشة في مهب الريح<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك دروساً كثيرة وأحكاماً جمّة تؤخذ من سيرة السيدة خديجة التاجرة ومضاربتها مع الرجال، مما يدعونا للتفكير مرة أخرى في ما نسمع عن منع المرأة من الاشتغال بالتجارة - عند حاجتها للعمل بشروطه - .

\* \* \*

---

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة [٧٠٠/٦]، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله

ابن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النشر: دار الجليل،

بيروت، سنة النشر (١٤١٢هـ)، ط ١ [١٨١٩/٤ - ١٨٢٠].

(٢) العقيدة الطحاوية [٩٨٥/١].

## المطلب الرابع:

### الأنفال والغنائم

لَمَّا كَانَتِ الْأَنْفَالُ وَالْغَنَائِمُ مِنْ مَصَادِرِ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَجِبَ بَيَانُ مَا وَصَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَنْفَالِ، ثُمَّ مِنْ خُمْسِ هَذِهِ الْغَنَائِمِ، وَسَيَبِّحُهَا الْبَحْثُ هُنَا كَمَا وَنوعاً.

لكن هناك كلمة لابد منها، وهي أن غزوات النبي ﷺ وسراياه يجب أن تُفهم في سياقها التاريخي، فالغزوات أو السرايا ليست لأخذ أموال الآخرين بالقوة، ولا هي انتشاراً للدعوة بالسيف — كما يصوّر بعض المستشرقين أو أتباعهم —<sup>(١)</sup>، ولكن كانت هناك ظروف موضوعية تناسب كل غزوة أو سرية مما هو مفصّل في كتب السيرة وتفصيلاتها وأسبابها.

أما الأنفال فهي مصدر من مصادر دخل الرسول ﷺ، جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِتَمَامِهِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا شَاءَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]

---

(١) ومن ذلك ما كتب مصطفى حقي في الحوار المتمدن فقال: (كانت الطريقة التقليدية التي تتبعها القبائل العربية في تلك المدة لزيادة ثروتها هي غزو القبائل الأخرى والاستيلاء على بمائتها وسوى ذلك من ممتلكاتها، وما كان من الممكن للمسلمين الذين في المدينة آنذاك أن يتبينوا أي سبيل آخر، ولذلك راحوا يتخذون الغزو سبيلاً، وكلمة الغزوة تعني: هجوماً مباغتاً على قافلة أو على قبيلة أخرى بقصد الاستيلاء على الممتلكات، وسبي النساء، مما يخفف من ضنك العيش في الجزيرة العربية. [ينظر: بداية اقتصادية على أموال اليهود لمصطفى حقي، الحوار المتمدن، العدد (١٧٦٧)، (١٧/١٢/٢٠٠٦م)].

## أولاً - الغنائم:

### مقدمة:

من أوسع مصادر دخل النبي ﷺ الغنائم، وهي تخصيص للأنفال التي بدأت بعد معركة بدر الكبرى.

### تعريفها:

الْغَنِيمَةُ لغة: أصلها من غَنِمَ الشَّيْءُ غُنْمًا: أي حازه وربحه، والغنائم: جَمْعُ غَنِيمَةٍ، والمغانم جَمْعُ مَغْنَمٍ.

ومعناها في الاصطلاح: اسم لما يُؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة وفهر الكفرة<sup>(١)</sup>. فالفرق بين الغنيمة والفيء<sup>(٢)</sup>: أن الغنيمة ما أُخذ من أهل الحرب عنوة<sup>(٣)</sup> حال قيام الحرب، والفيء: ما أُخذ من أهل الحرب من غير قتال ولا إيجاب خيل. ثم إن الفيء لا يخمس كما تخمس الغنيمة<sup>(٤)</sup>.

### مشروعية الغنيمة:

الغنيمة مشروعة أحلها الله تعالى لهذه الأمة، وحلّها مختصّ بهذه من بين أمم الأنبياء السابقين، قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ

---

(١) ينظر: [لسان العرب مادة (غنم) ١٣٣/١٠، المعجم الوسيط: (ص ٦٦٤)، المغرب في ترتيب المعرب: ١٤٤/٢، الصحاح: ١٩٩٩/٥، أنيس الفقهاء: (ص: ١٨٣)، شرح العناية على الهداية: ٤٦٩/٥، تحرير ألفاظ التنبيه: (ص: ٣١٦)، المبسوط: ٧/١٠، تحفة الفقهاء: ٥١٠/٣].

(٢) ينظر في تعريفه وأحكامه المبحث الرابع، (ص ٢٣٢).

(٣) عنوة: أي قسرًا، يقال: فُتِحَتْ هَذِهِ الْبَلَدُ عَنْوَةً: أي بِالْقِتَالِ. ينظر: [لسان العرب: مادة (عنا)، والمعجم الوسيط: (ص: ٦٣٣)].

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي: (ص ٢٤١ — ٢٤٢).

بالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبَعَثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»<sup>(١)</sup>.

وكانت الغنيمة في أوّل الإسلام لرسول الله ﷺ خاصّةً، يصنع فيها ما يشاء، ثمّ نسخ ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فجعل خمسها مقسوماً على هذه الأسهم الخمسة، وجعل أربعة أخماسها للغانمين؛ لأنّ الله تعالى أضاف الغنيمة إلى الغانمين في قوله: ﴿غَنِمْتُمْ﴾، وجعل الخمس لغيرهم، فدلّ ذلك على أنّ سائرهم لهم<sup>(٢)</sup>.

ومن أدلة مشروعيتها من كتاب الله قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠].

وأما من السنة فأحاديث عدة، منها:

— عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سِوَدِ الرَّؤُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب قول النبي ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا»، رقم (٣٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب باب، رقم (٥٢١).

(٢) ينظر: [حاشية ابن عابدين: ٣/٣٥٢، مغني المحتاج: ٣/٩٩، المذهب: ٢/٢٤٤].

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال رقم (٣٠٨٥) وقال: (حسن صحيح غريب).

ما يعتبر من أموال الغنينة وما لا يعتبر منها:

أ. الأموال المنقولة:

يعدّ من الغنينة ما أُخذَ من الحربيّ من أموال منقولة قهراً بقتال؛ لأنّه مالٌ أُخذَ في دار الحرب بقوة الجيش، فكلّ مالٍ يصل إلى يد جيش المسلمين في دار الحرب باعتبار قوّتهم فهو غنينة، لا ما أخذَ من أموال أهل الذمّة من جزية وخراج ونحوه، ولا ما جُلّوا عنه وتركوه فزعاً، ولا ما أخذَ منهم من العُشر إذا اتّجروا إلينا ونحوه<sup>(١)</sup>.

ب. الأرض:

وهي على ثلاثة ضروب:

أولاً — ما فُتِحَ عنوةً: اختلف الفقهاء في قسَم الأرض الّتي فُتِحَت عنوةً، أو عدم قسَمها: فذهب أبو حنيفة — رحمه الله — إلى أنّ الإمام مخيّرٌ بين أن يقسمها على المسلمين المقاتلين، أو يضرب على أهلها الخراج ويقرّها بأيديهم.

وذهب مالك — رحمه الله — إلى أنّها لا تُقسَم، وتكون وقفاً على المسلمين.

وذهب الشافعيّ إلى قسَمها بين المقاتلين كما يقسم المنقول.

وروي عن أحمد ما يوافق رأي كلّ من أبي حنيفة ومالك<sup>(٢)</sup>.

ثانياً — ما جَلّا أهلها عنها خوفاً: وهذه تصير وقفاً؛ لأنّها ليست غنينةً، فيكون حكمها حكم الفيء<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً — ما صولحوا عليه من الأرض، وهو ضربان:

---

(١) ينظر: آثار الحرب، (ص: ٦١٣).

(٢) ينظر: [المبسوط: ١٥/١٠، حاشية ابن عابدين: ٣١٦/٣، حاشية الخطاب: ٣٦٦/٣، بداية المجتهد: ٣٨٨/١، الأم: ١٠٣/٤، المحرر: ١٧٨/٢].

(٣) ينظر: [بداية المجتهد: ٣٨٩/١، المهذب: ٢٤٧/٢، مغني المحتاج: ٩٩/٣].

- أحدهما: أن يصالحهم الإمام أو نائبه على أن الأرض لنا ونقرّها معهم بالخراج، فهذه الأرض تصير وفقاً كآلتى قبلها.

- والضرب الثاني: أن يصالحوا على أن الأرض لهم، ويضرب عليها خراج يؤدّونه عنها، وهذا الخراج في حكم الجزية، متى أسلموا سقط عنهم<sup>(١)</sup>.  
ج. المال المأخوذ باتفاق:

ما يؤخذ من فدية الأسارى غنيمة، لأنّه ﷺ قسم فداء أسارى بدر بين الغانمين؛ ولأنّه مالٌ حصل بقوة الجيش أشبه بالسّلاح.

وما أهده الكفار لبعض الغانمين في دار الحرب هو غنيمة للجيش؛ لأنّ ذلك فعلٌ خوفاً من الجيش، فيكون غنيمَةً، كما لو أخذه غيرها، فلو كانت الهدية بدارنا فهي لمن أُهديت إليه.  
د. السّلب:

السّلب من الغنيمة، ولا اختلاف على تخميس الغنيمة، لكن اختلف في سلب القاتل، وأكثر أهل العلم على أنّه لا يُخمس، لقول النّبي ﷺ: «من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه»<sup>(٢)</sup>، وهذا يقتضي أنّه له جميعاً، ولو خُمس لم يكن جميعه له، ولقول عمر ﷺ: (كنّا لا نُخمس السّلب)<sup>(٣)</sup>.

هـ. السبي:

يُقصد بالسبي: سبي النساء والأطفال الذين يأسرهم المسلمون في الحرب، وللإمام في السبي واحدة من خمسة: القتل، أو الاسترقاق، أو المنّ، أو الفداء، أو ضرب الجزية عليهم،

---

(١) ينظر: [حاشية ابن عابدين: ٥٣/٢، تبين الحقائق: ٢٧٤/٣، حاشية الدسوقي: ١٧٥/٢، الأم: ١٠٣/٤، المغني: ٥٤٢/١٠].

(٢) ينظر: (ص ٢٠٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (١١٨٠)، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٣٣/٥]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: [٥٩٧/٥]: (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح).

يقول الله تعالى: ﴿.. فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا..﴾ [محمد: ٤]، وفي أرض المعركة يشدُّ وثاق الأسير، وبعدها يطلق سراحه، إما بالافتداء بالمال وتبادل الأسرى، وإما بالمنِّ عليه بإطلاق سراحه من دون مقابل، وقد منَّ رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، سيد اليمامة<sup>(١)</sup>، فأسلم<sup>(٢)</sup>. كما منَّ على أهل مكة حين قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطَّلَقَاء»<sup>(٣)</sup>، وإن طابت نفس الأسير بما يدفعه من مال الافتداء، فإن الله تعالى يعده بتعويض أفضل وبغفران أشمل إن كان في قلبه خير<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

أما القتل فيمنع في النساء والأطفال إلا إذا كانت النساء والأطفال قد اشتركوا في الحرب، فيحقُّ قتلهم أثناء القتال، وذلك لدفع الشرِّ عن المسلمين.

إذن: السبي مال، قال محمد بن مسلمة: (ابْتَعْتُ يَوْمئِذٍ مِنَ السَّبْيِ ثَلَاثَةَ — امرأة معها ابناها — بخمسة وأربعين ديناراً، وكان ذلك حقي وحق فرسي من السبي والأرض، وغيري كهيتي، وكان أسهمٌ للفارس ثلاثة أسهم: له سهم، ولفرسه سهمان)<sup>(٥)</sup>.

(١) هو ثمامة بن أثال أبو أمامة ابن النعمان اليمامي (١٢هـ)، من فضلاء الصحابة، وسيد أهل اليمامة، أسلم قبل فتح مكة، وقاتل المرتدين مع العلاء بن الحضرمي، فلما ظفروا، اشترى ثمامة حلة كانت لكبير المرتدين، فراها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة، فظنوا أنه هو الذي قتلَه وسلبه، فقتلوه، وله أحاديث في البخاري. [الإصابة ١/١٣٦].

(٢) الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، (٤٦٢)، وفي كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، عن عبد الله بن يوسف، (٤٣٧٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير، رقم (١٧٦٤).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، رقم (١٨٧٣٩)، وابن إسحاق في السيرة [٣/٣٨٦].

(٤) كما في قصة العباس رضي الله عنه عند الحاكم في المستدرک برقم (٥٤٠٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) مغازي الواقدي [١/٥٢٥].



وهنا تساؤل: كيف تُفهم إباحة السلب وتحريم الغلول؟!

الجواب ما جاء في شرح معاني الآثار للطحاوي، قال: (عن القاسم بن محمد عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: كنت جالساً عنده، فأقبل رجل من أهل العراق<sup>(١)</sup>، فسأله عن السلب، فقال: (السلب من الثفل، وفي الثفل الخمس) فهذا ابن عباس — رضي الله عنهما — قد جعل في السلب الخمس وجعله من الأنفال، وقد كان علم من رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، أي: السلب يكون بعد رأي الإمام وإجازته على عكس الغلول.

تعليق: إن التفريق بين السلب والغلول هام جداً لأن المستشرقين ربّما يجدون في ذلك مدخلاً للطعن في أموال النبي ﷺ.

\* \* \*

---

(١) العراق: الإقليم المعروف من بلاد العرب. وهو البلاد التي يمر فيها نهر دجلة والفرات ثم شط العرب إلى البحر، وكان يقسم إلى عراق العرب، وهو ما غرب دجلة والشط، وعراق العجم، وهو ما شرق دجلة والشط، وعندما فتح المسلمون العراق في عهد عمر أصبح منطلقاً لفتوحات عظيمة شملت فارس والسند وبعض بلاد الهند وأذربيجان وما وراء النهرين — سيحون وجيحون — وعمر المسلمون مدينة الكوفة فاتخذها الإمام علي — كرم الله وجهه — عاصمة للخلافة، ولما قامت الدولة العباسية اتخذت العراق مقراً لها وعمرت بغداد فكانت عاصمة دولة الإسلام. ويعتبر العراق من البلدان الغنية بثرواتها المائية والبترونية. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٠٢)].

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي، باب الرجل يقتل قتيلاً في دار الحرب [٢٣١/٣] بتحقيق محمد زهري النجار ط. دار الكتب العلمية.

## ثانياً . الأنفال:

### تعريف الأنفال:

الأنفال لغة: جَمَعَ نَفْلٌ، والنَّفْلُ: بالتَّحْرِيكِ الغنيمة والهبة، وَنَفَلَهُ وَأَنْفَلَهُ وَنَفَّلَهُ: أعطاه، والنَّفْلُ الزَّيَادَةُ<sup>(١)</sup>.

وفي الشَّرْع: زيادة تزداد على سهم الغازي<sup>(٢)</sup>. ويقال: نَفَلَ الإمام فلاناً إذا خَصَّهُ بشيء زائد على حصَّته في الغنيمة.

والأنفال هي جماع الغنائم<sup>(٣)</sup>، وتعني: كلَّ نيلٍ يناله المسلمون من أعدائهم في الحرب كما عرّفه أبو عبيد في كتاب الأموال، ويشمل الغنائم، والأسلاب، وفداء الأسرى، والأراضي...، وغيره.

وسبب نزول الآية كان في غزوة بدر لما اختلف المسلمون في كيفية توزيع الغنائم، فأعطى الله للنبي ﷺ هذه الأنفال كاملة، فأنفقها على المسلمين، وأخذ نصيبه كواحدٍ منهم، إلى أن فصل الله عز وجل كيفية التقسيم في آية الغنائم، وبين خمس النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) لسان العرب، مادة (نفل).

(٢) الأم [٤٣/٤].

(٣) كتاب الأموال للقاسم بن سلام، ط ١، دار الكتب العلمية (ص: ٣١٧).

قال أبو عبيد: (فالأنفال أصلها جماع الغنائم، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب، وجرّت به السنته، ومعنى الأنفال في كلام العرب: كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه، فكذلك النَّفْل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم، إنما هو شيء خصّهم الله به تطولاً منه عليهم، بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم، فنفلها الله عز وجل هذه الأمة).

(٤) كتاب الأموال (ص: ٣٢٦). قال أبو عبيد: (وفي غير حديث سفيان بهذا الإسناد، قال: قال عبادة: لما التقى الناس ببدر هزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبّت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ أن لا يصيب العدو منه غرة، حتّى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال

ثُمَّ صار لفظ الأنفال على كل ما يتصرف به النبي ﷺ خارج قسمة الغنائم، ولقد بين أبو عبيد في الأموال أن النبي ﷺ استخدم أربعة طرق في توزيع الأنفال<sup>(١)</sup> فمنها ما كان يفعله كإمام وقائد، ومنها ما كان ينفقه كماله الشخصي.

### الحكمة من النفل:

والحكمة من مشروعية النفل التحريض على القتال<sup>(٢)</sup>، والتحريض على القتال مأمور به أمير الجيش — القائد — وليس هو من مهام الأفراد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

---

الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو، وهزمناه، وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، فشغلنا به، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قال: فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين، قال: وكان إذا كان في أرض العدو نفل الربع، وإذا أقبل راجعاً — وكل الناس معه — نفل الثلث، وكان يكره الأنفال، وكان يقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم» [أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٨١٤)، والحاكم في المستدرک، كتاب المغازي والسير (٤٣٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩٧/٧]: (رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات)]. قال أبو عبيد: قوله: (على فواق): هو من التفضيل، يقول: جعل بعضهم فيه أفوق من بعض.

(١) قال في الأموال (ص: ٣١٩). (في هذا النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع، لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى. فإحدهن في النفل الذي لا خمس فيه. والثانية: في النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس. والثالثة: في النفل الذي يكون من الخمس نفسه. والرابعة: في النفل من جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء، فأما الذي لا خمس فيه فإنه السلب، وذلك أن ينفرد الرجل بقتل المشرك، فيكون له سلبه مسلماً، من غير أن يخمس أو يشركه فيه أحد من أهل العسكر، وأما الذي يكون من الغنيمة بعد الخمس فهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب، فتأتي السرايا بالغنائم، فيكون للسرية مما جاءت به الربع، أو الثلث بعد الخمس. وأما الثالث: فإن تحاز الغنيمة كلها ثم تخمس، فإذا صار الخمس في يدي الإمام نفل منه على قدر ما يرى. وأما الذي يكون من جملة الغنيمة فما يعطى الأداء على عورة العدو، ورعاء الماشية والسواق لها، وذلك أن هذا منفعة لأهل العسكر جميعاً، وفي كل ذلك أحاديث واختلاف).

(٢) شرح السير الكبير (١٢١/٢)، وبداية المجتهد (٤٠٠/١)، والمغني (٥٧/١٣).

حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴿[الأنفال: ٦٥]﴾، وهذا خطاب للنبي ﷺ ولكلِّ مَنْ قام مقامه من أُمته<sup>(١)</sup>.

جاء في بدائع الصنائع: (الحاجة تدعو إلى التنفيل لاختصاص بعض الغزاة بزيادة شجاعة؛ لأنه لا ينقاد طبعه لإظهارها إلا بالترغيب بزيادة من المصاب بالتنفيل)<sup>(٢)</sup>. فيحسُن بالإمام أو قائده أن ينفل من الغنيمة ما يرى أن فيه مصلحة للمسلمين.

### صورة النَّفل:

كان النَّفل يعطى من الغنيمة، كأن يقال مثلاً: خذ يا فلان هذا الدينار أو البعير، أو مِمَّا سيغنم من الكفار، كأن يقال: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»<sup>(٣)</sup>، أو: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا، وهذا من باب إعطاء الحوافز في الشريعة الإسلامية.

وإذا تقرر هذا فإن الفقهاء — رحمهم الله تعالى — اختلفوا في مسألتين:

- (١) المسألة الأولى: هل النَّفل من أربعة أخماس الغنيمة، أو من الخمس؟<sup>(٤)</sup>
- (٢) المسألة الثانية: ما مقدار النَّفل؟

### وهذا بياهما:

هل النَّفل من أربعة أخماس الغنيمة أو من خُمسها فقط؟

---

(١) شرح السير الكبير (٢/١٢٢).

(٢) بدائع الصنائع (٦/٨٩).

(٣) أخرجه البخاري [٢٤٧/٦]، كتاب فرض الخمس: باب من لم يخمس الأسلاب رقم (٣١٤٢)، ومسلم

[١٣٧٠/٣]، كتاب الجهاد والسير: باب استحقاق القاتل سلب القاتل رقم (١٧٥١).

(٤) ذكر في شرح صحيح مسلم [٢٩٩/١١] ثلاثة أقوال، هي: (النفل من كامل الغنيمة أم من أربعة أخماس

الغنيمة أم من الخمس؟ وبعضهم قال: هل النفل من أربعة أخماس الغنيمة أو من الخمس أو من خُمس

الخمس؟ والذي يظهر أن الخلاف ينحصر في قولين: هما: النَّفل من أربعة أخماس الغنيمة أو من

الخمس؟ وهذا الذي تؤيده الأدلة).

اختلف الفقهاء — رحمهم الله تعالى — على قولين:

- القول الأول: أن النَّفل من أربعة أخماس الغنيمة:

وبهذا قال الحنفية قبل إحراز الغنائم<sup>(١)</sup>، والحنابلة<sup>(٢)</sup>، وابن حزم<sup>(٣)</sup>، واستدلوا بحديث عبادة وحبيب بن سلمة أن النبي ﷺ (نفل الربع والثالث بعد الخمس)<sup>(٤)</sup>.

ووجه الدلالة: أن الربع والثالث لا يتصور إخراجها من الخمس<sup>(٥)</sup>، فلزم أن يكون النَّفل من أربعة أخماس الغنيمة.

- القول الثاني: أن النَّفل يكون من الخمس.

وبهذا قال الحنفية إذا أحرزت الغنائم، وهو قول المالكية<sup>(٦)</sup>، والصحيح من أقوال الشافعية<sup>(٧)</sup>، واستدلوا بما جاء عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: (بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد<sup>(٨)</sup>)، فكنتُ فيها، فبلغتُ سهامنا اثنا عشر بغيراً، ونفلنا بغيراً بغيراً، فرجعنا بثلاثة عشر بغيراً<sup>(٩)</sup>.

---

(١) ينظر: [فتح القدير ٢٤٩/٥، والبحر الرائق ١٥٨/٥، وشرح السير الكبير ١٢١/٢].

(٢) المغني [٦٠/١٣].

(٣) المحلى بالآثار [٤٠٦/٥].

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [١٨/٤]، رقم (٣٥٢٣).

(٥) المغني [٦٠/١٣].

(٦) ينظر: [المدونة ٣٠/٢، والكافي في فقه أهل المدينة المالكي ٤٧٦/١، والمعونة ٦٠٧/١].

(٧) ينظر: [روضة الطالبين ٣٦٩/٦، والأم ١٤٣/٤، ومشارك الأشواق ١٠٥٠/٢].

(٨) نجد: بفتح النون وسكون الجيم ثم دال مهملة كل ما علا من الأرض فهو نجد . وأصقاع نجد المعروفة في أيامنا: الرياض وما حولها، والقصيم، وسدير، والأفلاج واليمامة، والوشم، وحائل، والقدماء قد يعدّون ما كان على مسافة مائة كيل من شرقي المدينة: نجداً. [المعالم الأثيرة في السنة والسيارة (ص: ٢٨٦)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣١٢)].

(٩) أخرجه البخاري [١١٤١/٣]، رقم (٢٩٦٦)، مسلم [١٣٦٩/٣]، رقم (١٧٥٠).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أعطى كلاً منهم سهمه من الغنيمة ثم نفلهم من الخمس بغيراً بغيراً.

ونوقش استدلالهم بحديث ابن عمر — رضي الله عنهما — أن ذلك مَحْمُول على أنه نفلهم من أربعة أخماس الغنيمة وليس من الخمس، ويتعين حمل الخبر على هذا؛ لأنه لو أعطى جميع الجيش لم يكن ذلك نفلاً، وكان قد قسم لهم أكثر من أربعة أخماس الغنيمة، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾ [الأنفال: ٤١]، وخلاف الأخبار الدالة على أن للجنود أربعة أخماس الغنيمة<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر صحة القولين، أحدهما: أن النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة، وقد فعله النبي ﷺ كقائد له حق التصرف فيما فيه مصلحة الجيش، والآخر: وهو أنه نفل من خُمسه — نصيبه — هبة يتنغي به الأجر من الله، ولكل أدلته كما سبق.

#### ما هو مصدر مال النفل؟

كان النبي ﷺ يعطي ما ينفله من ماله، أي: من الخمس الذي قسمه الله له فيما لا يكون عاماً للجنود، وفي هذا تأكيد على أهمية أمرين:

- أحدهما عدم الغلول الذي هو أخذ شيء من الغنائم قبل توزيعها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كِرْكِرَةُ، فمات، فقال رسولُ الله ﷺ: «هو في النار»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا)<sup>(٢)</sup>.

- والآخر: أن النبي ﷺ في هذا كأي رجل من المسلمين، لم يكن ليتصرف في مال الغير من دون إذنه؛ لأن الغنائم حق المجاهدين جميعاً.

قال الشافعية أن النفل لا يكون إلا من الخمس، أو من خمس الخمس<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: [المغني ٦٠/١٣، ومعالم السنن ٢٧٠/٢].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب القليل من الغلول، رقم (٣٠٧٤).

(٣) الأم [١٥٠/٤].

خاتمة:

صار واضحاً أن النبي ﷺ إنما أنفق من خُمسه وليس من مال الدولة أو من مال أصحابه وهذا يضيف لبنة أخرى في التأكيد على استقلالية كسبه وإنفاقه ﷺ.

\* \* \*

## خُمس الخمس، وعدد غزواته ﷺ:

والذي يعيننا في الغنائم هو نصيب رسول الله ﷺ من كل ما ذكر.  
قال أصحابُ الشَّافِعِيِّ: (خُمْسُ الْخُمْسِ لِلرَّسُولِ ﷺ<sup>(١)</sup>)، والأربعةُ أْخْمَاسٍ مِنَ الْخُمْسِ  
لِلْأَرْبَعَةِ أَصْنَافِ الْمُسَمَّيْنَ معه، وله سَهْمٌ كَسَائِرِ سَهَامِ الْغَانِمِينَ إِذَا حَضَرَ الْغَنِيمَةَ<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ فَرِيضَةُ الْخُمْسِ فِي الْمَغْنَمِ، فَلَمَّا  
نَزَلَتْ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ [الأنفال: ٤١] تَرَكَ النَّفْلَ الَّذِي كَانَ  
يَنْفُلُ، وَصَارَ ذَلِكَ فِي خُمْسِ الْخُمْسِ مِنْ سَهْمِ اللَّهِ وَسَهْمِ النَّبِيِّ ﷺ.  
[أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب قسم الفيء، رقم (١٣١٩١)، وعبد الرزاق في مصنفه:  
(٤٢٥/١٢)، رقم (٣٣٩٥٩)].

(٢) أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء  
التراث العربي، بيروت، (١٤٠٥هـ)، [٢٩٠/١]، أحكام القرآن لابن العربي [٧٩/٤].

(٣) الغزوة: يطلق كُتَّابُ السَّيَر — غالباً — على كُلِّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَرَجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِيَلْقَى  
عَدُوَّهُ غَزْوَةً، سِوَا حَدَثٍ فِيهَا قِتَالٌ أَوْ لَمْ يَحْدَثْ، وَسِوَا كَانَ عَدَدُهَا كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا.

السَّرِيَّةُ: وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْسِلُهَا النَّبِيُّ ﷺ لِعَارِضِ عَدُوٍّ، وَقَدْ يَحْدُثُ فِيهَا قِتَالٌ  
وَقَدْ لَا يَحْدُثْ، وَقَدْ تَكُونُ لِرِصْدِ أَخْبَارِ عَدُوِّهِ أَوْ غَيْرِهِ، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ عَدَدُ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي  
السَّرَايَا قَلِيلًا؛ لِأَنَّ مَهْمَتَهُمْ مُحَدَّدَةٌ فِي مَنَاوِشَةِ الْعَدُوِّ وَإِخَافَتِهِ وَإِرْبَاكِهِ.

الْبُعُوثُ: مِنْهَا بُعُوثٌ لِحِبَايَةِ الزَّكَاةِ، وَأُخْرَى لَتَنْفِيزِ الْحُدُودِ، وَبُعُوثٌ قَضَائِيَّةٌ، وَأُخْرَى تَعْلِيمِيَّةٌ، وَدَعْوِيَّةٌ،  
وَتُطْلَقُ عَلَى الْغَزَوَاتِ أَيْضًا كَبُعْثِ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عدد الغزوات والسرايا والبُعُوثُ: اختلف أهل العلم من أصحاب المغازي وغيرهم في عدد السرايا  
والبُعُوث التي بعثها النبي ﷺ منذ إعلان الحرب على قريش حتى توفاه الله عز وجل، فكانت عند ابن  
إسحاق في ذلك ثلاث روايات:

رواية نقلها الطبري والمسعودي، ذكرا فيها عنه أن عددها كان خمسا وثلاثين سرية وبعثا. [تاريخ  
الرسول والملوك لمحمد بن جرير الطبري [١٥٤/٣]، التنبيه والأشراف للمسعودي (ص: ٢٧٨)]، بينما



ذكر ابن هشام في روايته عنه أنَّها كانت ثمانية وثلاثين بعثاً وسريّة، أورد منها سبعة وعشرين وحسب. [السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٩/٤ — ٦١١ — ٦١٢ — ٦٢١].

أما ابن حجر فذكر أنه عدَّ ستّاً وثلاثين سرية وبعثاً. [فتح الباري ٢٨١/٧].

وكذلك الواقدي — رحمه الله — نُقلت عنه روايتان متقاربتان، حيث ذكر المسعودي، وابن حجر عنه أنَّها كانت ثمانية وأربعين. [التنبيه والإشراف للمسعودي (ص: ٢٧٨)، فتح الباري (٢٨١/٧)]، وذكرها هو في المغازي [٧/١] سبعة وأربعين سرية وبعثاً، وقد وافقه في ذلك كاتبه ابن سعد في روايته عن جمع من شيوخه منهم الواقدي. ينظر: [الطبقات الكبرى: ٥/٢ — ٦. قال ابن سعد: (كان عدد مغازي رسول الله ﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات: (بدر القتال، وأحد، والمريسع، والخندق، وقریظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف)، فهذا ما اجتمع لنا عليه، وفي بعض روايتهم: أنه قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلًا خاصة، وقاتل في غزوة وادي القرى منصرفه من خيبر، وقتل بعض أصحابه، وقاتل في الغابة). ينظر: غزوات الرسول وسراياه لابن سعد (ص: ١)].

وعدَّ خليفة بن خياط في كتابه التاريخ (ص: ٦١ — ٩٢) إحدى وثلاثين سرية.

وأورد العامري ثلاثة أقوال: (الأول: أنَّها كانت ستّاً وخمسون سرية، وقيل: خمسون، وقيل: ثمانية وثلاثون). [هجرة المخاض وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمال للعامري ١٧٣/٢].

وحكى ابن الجوزي: ستّاً وخمسين سرية. [الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي (ص: ٢٧٩)].

أما المسعودي فكانت عنه عدّة روايات، حيث رُتب في كتابه التنبيه والإشراف ثلاثاً وسبعين سرية وبعثاً، ونقل عن بعضهم أنَّها ستّ وستون، وعن آخرين: نيف وخمسين، ونقل عنه ابن حجر والشامي: أنه عدَّ ستين بعثاً وسرية. [التنبيه والإشراف للمسعودي (ص: ٢٧٨)].

واختلف ابن حجر والشامي في نقلهم عن أبي الفضل العراقي، فذكر ابن حجر أنه أبلغها في نظم السيرة زيادة على السبعين، بينما ذكر الشامي أنه أبلغها إلى الستين وحسب. فتح الباري لابن حجر [١٥٤/٨]، وقال الشامي: (ونقل المسعودي عن بعضهم أنَّها ستون، وعلى ذلك جرى الحافظ أبو الفضل العراقي — رحمه الله تعالى — في ألفية السيرة). [سُبُل الهدى والرشاد: ١٠/٦].

وروى الحاكم عن الثقة من أصحابه ببخارى أنه قرأ في كتاب محمد بن نصر: (السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين). [نقل ذلك الحاكم في كتابه الإكليل المفقود، ورواه عنه كلٌّ من ابن حجر في فتح الباري [١٥٤/٨]، والشامي في سُبُل الهدى والرشاد [١١/٦]].

وقد انفرد الحاكم بجعل البعوث والسرايا زيادة على المائة، قال العراقي: (ولم أجد هذا القول لأحد سواه)، وقال الحافظ ابن حجر: (لعله أراد ضم المغازي إليها). [سُبُلُ الهدى والرشاد ١١/٦]، وفتح الباري لابن حجر [١٥٤/٨].

وقال الشامي: (والذي وقفتُ عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين). [سُبُلُ الهدى والرشاد ١٢/٦].

وذكر مغلطاي: أنَّ مجموع الغزوات والسرايا مائة [علاء الدين مغلطاي قلع التركي (٧٦٢هـ)، الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم [٢٣/٢٣]. نسخة مخطوطة موجودة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. قال ابن حجر: (وهو كما قال). [فتح الباري ١٥٤/٨].

هذا فيما يتعلق بأهل المغازي، أما غيرهم من أهل العلم فقد روى ابن كثير تعليقاً عن بريدة. [أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤١/٣]، والإمام أحمد بن حنبل بسند جيد، والحاكم، كلاهما عن قتادة، وعبد الرزاق بسند ضعيف؛ لأن في سنده عثمان الجزري، وهو مستور. المصنّف لعبد الرزاق [٢٩٥/٥]، رقم (٩٦٦٠)، وينظر: [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٧٤/٦]، والعلل لابن حنبل ١٣٢/١ عن مقسم — بكسر أوله — ابن بُجْرَة — بضم الموحدة وسكون الجيم — ويقال: نَجْدَة — بفتح النون وبدال — أبو القاسم، مولى عبد الله بن الحارث، ويقال له: مولى ابن عباس؛ لزومه له، ثقة يرسل، وما له في البخاري سوى حديث واحد. ينظر: [تهذيب التهذيب ٢٥٦/١٠]، الجرح والتعديل ٤١٤/٨ — : أنها كانت أربعاً وعشرين سرية.

كما روى الذهبي تعليقاً عن قتادة قال: (جميع غزوات النبي ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون). [تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، قسم المغازي (٧٤)].

قال المسعودي: (وأرى أن السبب الذي أوجب هذا التنازع المتفاوت في أعداد هذه السرايا أن منهم من يعتدُّ بسرايا لا يعتدُّ بها آخرون، وذلك أنه كانت سرايا في جملة مغازٍ فأفردوها بعضهم واعتدَّتْ بها، وبعض جعلها في جملة تلك المغازي؛ لأن رسول الله ﷺ قد وجَّه في كثير من غزواته سرايا إلى ما يلي البلاد التي حلَّها بعد هزيمة المشركين بخيبر في الطلب على ما قدَّمنا، ووجَّه بعد فتح مكة سرايا لهدم الأصنام التي حول مكة، فوقع هذا التنازع لأجل ذلك). [التنبيه والإشراف للمسعودي (ص: ٢٧٨ — ٢٧٩)]

وأُضيفُ إلى ما قاله المسعودي: إنَّ السرايا والبعوث النبوية لو جُمِعَت كُلُّها لفاق عددها العدد الذي ذكره أهل المغازي وغيرهم بكثير، وذلك لوجود سرايا وبعوث لأغراض غير قتالية، كالتي كانت لجباية الزكاة، وأخرى لتنفيذ الحدود، وبعوث قضائية، وأخرى تعليمية، ودعوية، وغير

ذلك، والكثير من السرايا المبهمة المثورة بين طيات كتب الحديث وكتب معاجم الصحابة، ومعاجم البلدان، والمعاجم اللغوية وغيرها.

إنَّ ورود كثير من أخبار هذه السرايا عرضاً في سياق الأحداث، وإشارات مختصرة — بل وخاطفة في بعض الأحيان — ، وورود بعضها ضمن بعض الكتب والمصادر غير المتخصصة بالمغازي ككتب الفقه، والتفسير، وأسباب النزول، وكتب الأدب وغيرها، كلُّ ذلك أدى إلى هذا التنازع والاختلاف في عدد السرايا والبعوث النبوية.

وبعد أن بدأت قريش بإعلان حالة الحرب بينها وبين دولة الإسلام في المدينة، ونزل الإذن من الله تعالى بالقتال صار من الطبيعي أن تتعامل دولة الإسلام في المدينة مع قريش حسب ما تقتضيه حالة الحرب هذه، فقد اتجه نشاط الرسول ﷺ من أجل توطيد مكانة هذه الدولة، والردَّ على قريش في إعلانها الحرب على الإسلام في المدينة، فاتجه نشاطه ﷺ نحو إرسال السرايا، والخروج في الغزوات فكانت تلك السرايا والغزوات التي سبقت بدر الكبرى. [الجهاد والقتال في السياسة الشرعية الدكتور محمد خير هيكل، دار البيارق، عمان، بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ — ١٩٩٣م)، (١/٤٧٧)].

هذا والذي يتبين مما سبق أن رسول الله ﷺ قد قاد سبعاً وعشرين غزوة. [في ظلال السيرة غزوة بدر لأبي فارس (ص ١٢)].

قال ابن القيم — رحمه الله تعالى — : (كانت غزواته ﷺ كلها وبعوثه وسراياه بعد الهجرة في مدة عشر سنين، فالغزوات سبع وعشرون، وقيل: خمس وعشرون، وقيل: تسع وعشرون، وقيل غير ذلك، قاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. وقيل: قاتل في بني النضير، والغابة، ووادي القرى من أعمال خيبر. وأما سراياه وبعوثه، فقريب من ستين، والغزوات الكبار الأمهات سبع: (بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك). [زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ١٢٥].

أما الغزوات والسرايا قبل بدر فلا يوجد فيها غنائم إلا سرية نخلة، وكان القاسم المشترك لها هو استعادة ما اغتصبته قريش من أموال المهاجرين عند هجرتهم: ودليل أخذ قريش أموال المهاجرين ما أخرجه الحاكم عن صهيب ؓ قال: (قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، سَبَخَةَ بَيْنَ ظَهْرَانِي حَرَّةً، فَإِذَا أَنْ تَكُونُ هَجْرًا أَوْ تَكُونُ يَثْرِبَ»، قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر ؓ، وكنت قد هممت بالخروج معه فصلدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً، فقاموا، فلحقني منهم ناس بعدما سرتُ بريداً ليردوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتفنون لي، فتبعهم إلى مكة، فقلت لهم:

## سرية سيف البحر<sup>(١)</sup>:

قدم رسول الله ﷺ المدينة حين هاجر من مكة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول — وهو المجمع عليه — ، فكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة

احفروا تحت أسكفة الباب، فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين، وخرجت حتّى قدمت على رسول الله ﷺ قبل أن يتحول منها — يعني قباء — ، فلما رأي قال: «يا أبا يحيى، ربح البيع — ثلاثاً — » فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. [أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب صهيب بن سنان ؓ، رقم (٥٧٠٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير [٣١/٨]، رقم (٧١٩٦)].

- وعند ابن حبان عن أبي عثمان النهدي [واسمه عبد الرحمن بن مل ويقال مل وأصله كوفي وصار إلى البصرة بعد وهو من العرب وقد أدرك الجاهلية وهاجر إلى المدينة بعد موت أبي بكر ووافق استخلاف عمر [تهذيب الكمال ٤٢٧/١٧] أن صهيباً ؓ حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً فكثرت مالك عندنا، وبلغت ما بلغت، ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم: أرايتم إن أعطيتكم مالي، أتخلون سبيلي؟ فقالوا: نعم، فقال: أشهدكم أي قد جعلت لهم مالي، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب». [أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم (٧٠٨٢)]

- وعن أنس ؓ قال: (لَمَّا قَدِمَ المهاجرون من مكة إلى المدينة ، قَدِمُوا وليس بأيديهم شيء ، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، وَيَكْفُونَهُم العملَ والمؤونة...). [أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنية، رقم (٢٤٨٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم، رقم (١٧٧١)].

- قال ابن إسحاق: (وهاجر جميع بني جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها، قال بعضهم: إنه باعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي، فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً في الجنة خيراً منها؟» قال: بلى، قال: «فذلك لك». [سبل الهدى والرشاد ٢٢٥/٣]، وأخرج صدره ابن إسحاق في سيرته [٤٩/٢].

(١) سيف البحر: ساحله من ناحية العيص، والعيص: مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ٢٠٤)].

ابن عبد المطلب ﷺ في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان أبيض، وحمله أبو مرثد كَنَاز بن حصين الغنوي.

وخرج حمزة في رمضان من السنة الأولى للهجرة يعترض لغير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل ابن هشام، في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر — يعني ساحله — من ناحية العيص، فالتقوا حتى اصطَفُوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا، فتوجه أبو جهل في أصحابه وعيهره إلى مكة وانصرف حمزة بن عبد المطلب في أصحابه إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

### سرية عبيدة بن الحارث ﷺ:

ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب ﷺ إلى بطن رابغ<sup>(٢)</sup> في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ، عقد له لواء أبيض، كان الذي حمله مسطح بن أثانة، بعثه رسول الله ﷺ في ستين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، فلقي أبا سفيان بن حرب — وهو في مائتين من أصحابه — فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يسطفوا للقتال، وإنما كانت بينهم المناوشة، إلا أن سعد بن أبي وقاص ﷺ قد رمى يومئذٍ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام، ثم انصرف الفريقان. وفي رواية ابن إسحاق: أنه كان على القوم عكرمة بن أبي جهل<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: [السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٩/١، الرحيق المختوم (ص ١٨٧)، جوامع السيرة (ص ١٠١)، تاريخ الطبري ٤٠٤/٢ — ٤٠٥، طبقات ابن سعد ٧/٢، سيرة ابن هشام ٥٩٥/٢].

(٢) رابغ: بلدة حجازية ساحلية بين جدة وينبع، على مسافة (١٥٥) كيلاً شمال جدة، وعلى بعد (١٩٥) كيلاً جنوب ينبع، وبصدر رابغ لقي عبيدة بن الحارث غير قريش حين بعثه رسول الله ﷺ، وفيهم أبو سفيان بن حرب... وترد في السيرة (بطن رابغ). [المعالم الأثرية في السنة والسيرة (ص: ١٢٤)].

(٣) ينظر: [السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٩/١، الرحيق المختوم (ص ١٨٧)، طبقات ابن سعد ٧/٢].

## سرية الخرار<sup>(١)</sup>:

ثمَّ سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرسله رسول الله ﷺ إلى الخرار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ، عقد له لواءً أبيض حمَّله المقداد بن عمرو البهراني، وبعثه في عشرين رجلاً من المهاجرين يعترض لعيير قريش تمرَّ به، وعهد إليه أن لا يُجاوز الخرار.

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكُنَّا نكمن النهار ونسير الليل حتَّى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مرت بالأمس فانصرفنا إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

## غزوة الأبواء<sup>(٣)</sup>:

ثمَّ غزوة رسول الله ﷺ إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، حتَّى بلغ الأبواء يعترض لعيير قريش فلم يلق كيداً، وهي غزوة ودان<sup>(٤)</sup>، وكلاهما قد ورد، وبينهما ستة أميال [والميل: (١٨٤٨م)] وهي أول غزوة غزاها بنفسه ﷺ.

عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ أول غزوة غزاها الأبواء)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الخرار: موضع بالحجاز قرب الجحفة. [مرصد الاطلاع ١/٤٥٥، المعالم الأثرية في السنة والسيارة (ص١٠٨)].

(٢) ينظر: [الرحيق المختوم (ص١٨٨)، طبقات ابن سعد (٧/٢)].

(٣) قيل: سُميت بذلك لما فيها من الوباء. [السيرة النبوية للصلاحي ١/٦٢٨].

(٤) ودان: بالفتح والتشديد: موضع بين المدينة ومكة، بالقرب من مدينة مستورة، على بعد اثني عشر كيلاً منها، بينها وبين ثنية هرشي. وجاء ذكره في غزوة الأبواء، وتبعد عن المدينة (٢٥٠) كيلاً. [المعالم الأثرية في السنة والسيارة (ص:٢٩٦)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (ص:٣٣٣)].

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٨١/٦]، (٢٢٠٦). وينظر: [السيرة النبوية للصلاحي ١/٦٢٨، الرحيق المختوم (ص١٨٨)].

## غزوة بواط<sup>(١)</sup>:

ثم غزوة رسول الله ﷺ بواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش فيها أمية بن خلف الجمحي، ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بغير، فبلغ بواط، وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى<sup>(٢)</sup>، فلم يلق رسول الله ﷺ كيداً فرجع إلى المدينة<sup>(٣)</sup>.

## غزوة سفوان<sup>(٤)</sup>:

(١) بواط: بضم الموحدة وبعد الواو ألف ثم طاء مهملة: جاء في النص: ثم غزا رسول الله في شهر ربيع الأول يريد قريشاً، حتى بلغ بواط، من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. وبواط: بواطن، واديان أحدهما يصب في إضم غرب المدينة على قرابة ( ٥٥ ) كيلاً، والآخر يقاسمه الماء من رأسه ويصب في فرعة ينبع غرباً، ورأساهما ينحدران من ريع يسمى ريع بواط، يأخذه طريق بين المدينة وينبع، مختصر وأقرب كثيراً من طريق المدينة إلى ينبع مروراً بوادي الصفراء، وهو غير صالح لسير الثقال. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ٥٤)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٥٣)].

(٢) رضوى: بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة، وبالقصر: وهو جبل ضخيم شامخ يضرب إلى الحمرة، يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع، ثم يشرف على الساحل ليس بينه وبين البحر شيء من الأعلام، وإذا كنت في مدينة ينبع البحر رأيت رضوى رأي العين شمالاً شرقياً، سكانه جهينة، وله أودية كثيرة، يصب معظمها في وادي ينبع. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (ص: ١٤١)، المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ١٢٨)].

(٣) ينظر: [الرحيق المختوم (ص ١٨٨)، طبقات ابن سعد ٨/٢، السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٩/١].

(٤) سفوان: بفتح السين المهملة وسكون الفاء، وعلى صيغة التثنية. جاء في النص: أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان، من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، وهي غزوة بدر الأولى. ولا يعرف اليوم موضع باسم سفوان، إنما هناك واد يسمى سفا بين المدينة وبدر في منتصف المسافة على

في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته، حتّى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كرزاً وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى غزوة بدر الأولى<sup>(١)</sup>.

### غزوة العشيرة<sup>(٢)</sup>:

وفيها غزا ﷺ قريشاً، وسُمّيت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثمّ رجع إلى المدينة، وذلك أن العير التي خرجت لها الغزوة قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام، فساحلت على البحر<sup>(٣)</sup>.

### سرية عبد الله بن جحش الأسدي ﷺ إلى بطن نخلة:

ثمّ سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة<sup>(٤)</sup>، في رجب على رأس سبعة عشر شهراً

---

الطريق بينهما قرب الروحاء ، فلعله هو تُنّي، ولكنه بعيد عن بدر حيث نسبت الغزوة إلى بدر، فقليل:

غزوة بدر الأولى. [معجم المعالم الجغرافية(ص:١٥٩)، المعالم الأثيرة (ص:١٤٠)].

(١) ينظر: [الرحيق المختوم (ص١٨٩)، جوامع السيرة (ص١٠٤)، طبقات ابن سعد ٤/٢].

(٢) العشيرة: موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع. [مراصد الاطلاع ٩٤٣/٢].

(٣) ينظر: [طبقات ابن سعد ١٠/٢، الرحيق المختوم (ص١٨٩)].

(٤) نخلة: بلفظ النخلة شجرة التمر: جاء في ذكر سرية عبد الله بن جحش: (فلما سار عبد الله بن جحش

يوميّن فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، فترصد بها

قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم). وهما نخلتان: الشامية واليمانية، والمقصود في هذه الرواية نخلة اليمانية؛

لأنها على الطريق القديم بين مكة والطائف، وما كانت القوافل تسير بينهما إلا فيها. والنخلتان.

متجاورتان في المنبع والمصب، فكلاهما تأخذ أعلى مساقط مياهها من السراة الواقعة غرب

الطائف، ثم تتحدران شمالاً ثم غرباً، حتى تجتمعا في ملقى كان يسمى: بستان ابن معمر ثم يكونان وادي

مر الظهران. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية(ص:٣١٧)، المعالم الأثيرة في السنة

والسيرة (ص:٢٨٧)].



من مهاجر رسول الله ﷺ بعثه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين يتعاقبان بعيراً إلى بطن نخلة، وهو بستان ابن عامر الذي قرب مكة، وأمره أن يرصد بها عير قريش، فوردت عليه، فهاهم أهل العير وأنكروا أمرهم، فحلق عكاشة بن محصن الأسدي رأسه، فأمنوا وقالوا: هم عمار لا بأس عليكم منهم، فسرخوا ركاهم وصنعوا طعاماً وشكوا في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا ؟

ثم تشجعوا عليهم فقاتلوهم، فخرج واقد بن عبد الله التميمي يقدم المسلمين، فرمى عمرو بن الحضرمي فقتله، وشد المسلمون عليهم فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة، واستاقوا العير، وكان فيها خمر وأدم وزبيب جاؤوا به من الطائف<sup>(١)</sup>، فقدموا بذلك كله على رسول الله ﷺ فوقفه وحبس الأسيرين.

وقد توقف النبي ﷺ في هذه الغنائم حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فلما نزل القرآن الكريم قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وفي سرية عبد الله هذه غنم المسلمون أول غنيمة، وعمرو بن

---

(١) الطائف: مدينة غنية عن التعريف، تقع شرق مكة مع ميل قليل إلى الجنوب، على مسافة تسعة وتسعين كيلاً، وترتفع عن سطح البحر (١٦٣٠) متراً، وطريق الرسول ﷺ إليها من حين على النخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢١٤)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٧٠)].

الحضرمي أول قتيل قتله المسلمون، وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون<sup>(١)</sup>.

وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه الغزوات في سبيل استعادة أموال المهاجرين، وهذا يؤكد أهمية الجانب المالي في حياته ﷺ.

### غزوة بدر<sup>(٣)</sup> الكبرى:

وكانت في اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة، وسببها أن النبي ﷺ ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش العائدة من الشام إلى مكة، ولم يكن يريد قتالاً، ولكن القافلة التي كان يقودها أبو سفيان نجت بعد أن كان أرسل إلى قريش يستنفرها لحماية القافلة، فخرجت قريش في نحو من ألف مقاتل، منهم ستمائة دارع — لابس للدرع — ، ومائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة، وسبعمائة بغير، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ويغنيين بهجاء المسلمين.

أما المسلمون فكانت عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً، وأكثرهم من الأنصار، وكان معهم سبعون جملًا، وفرسان أو ثلاثة أفراس فحسب، وكان يتعاقب النفر اليسير على الجمل الواحد مرة بعد أخرى.

---

(١) ينظر: [سيرة ابن هشام ٦٠٣/٢، السيرة النبوية للصلابي ٦٣١/١، الرحيق المختوم (ص ١٩٠)].

(٢) غزوات الرسول وسراياه لابن سعد [٣/١].

(٣) بدر: اسم بئر وعندها المعركة المشهورة الفاصلة بين الإيمان والكفر. وهي الآن بلدة كبيرة عامرة بأسفل وادي الصفراء على بعد حوالي (١٥٠) كيلاً من المدينة المنورة وعن مكة (٣١٠) أكيال، وتبعد عن سيف البحر قرابة ٤٥ كيلاً، وكل من جاء حاجاً من جهة الشام كان يمرّ بها لأنها كانت في الطريق إلى مكة، ثم افتتح الطريق المزدوج (طريق الهجرة) فلم يعد المسافر إلى مكة يمرّ بها. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٤١)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٤٤)].

ولما التقى الجمعان، أخذ الرسول ﷺ يسوي صفوف المسلمين، ويحرضهم على القتال، ويرغبهم في الشهادة، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وقد قُتل من المشركين نحواً من السبعين، فيهم أكفرهم أبو جهل وبعض زعمائهم، وأسر منهم نحو السبعين، ثم أمر ﷺ بدفن القتلى جميعاً، وعاد إلى المدينة، ثم استشار أصحابه في أمر الأسرى، فأشار عليه عمر رضي الله عنه بقتلهم، وأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه أن يمن عليهم، فقبل الرسول ﷺ منهم الفداء، وافتدى المشركون أسراهم بالمال<sup>(١)</sup>.

قال ابن هشام: (كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف درهم إلا من لا شيء له، فمن رسول الله ﷺ عليه<sup>(٢)</sup>).

**قلت: فإذا كان عدد الأسرى سبعين، فكيف يكون فكاكهم.**

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وقسم التَّغْل — ونلاحظ هنا أن التسمية كانت نَفْلاً وليس غنيمة؛ ذلك لأن آية الخمس لم تكن نزلت بعد — وكانت مائة وخمسين من

---

(١) ينظر: [السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي (ص ٥٢)، البداية والنهاية ٣/٣١١، محمد رسول الله لعرجون ٣/٤٧٤، السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/١٦٤، السيرة النبوية للصلاحي ١/٦٧٩]. وكان من بين الأسرى العباس عم النبي ﷺ وصنو أبيه، قال له رسول الله ﷺ: «افد نفسك يا عباس، وابني أخويك: عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو بمائة أوقية، وكل واحد بأربعين أوقية».

ينظر: [السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٦٠، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى لحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عنيّت بنشره مكتبة القدس بالقاهرة، سنة ١٣٥٦ هـ): (ص ١٩١)، السيرة النبوية لابن كثير ١/٩٨٩].

والأوقية: معيار للوزن، والجمع أواق، ويختلف مقدارها باختلاف الموزون. والأوقية من غير الذهب والفضة أربعون درهماً (يعني: ١٢٧ غراماً)، وأوقية الفضة: أربعون درهماً، ولكن درهم الفضة يساوي: (٢، ٩٧٥ غراماً)، وعلى هذا فأوقية الفضة تساوي: (١١٩ غراماً)، وأوقية الذهب سبعة مثاقيل ونصف مثقال، وهي تساوي: (٧٥، ٢٩ غراماً). معجم لغة الفقهاء (ص ٩٧).

(٢) سيرة ابن هشام [٢/٢١٢].

الإبل، وعشرة أفراس، ومتاعاً، وسلاحاً وأنطاعاً، وثياباً، وأدماً كثيراً حمّله المشركون للتجارة، ونادى منادي رسول الله ﷺ: «من قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ، ومن أَسَرَ أَسِيرًا فَهُوَ لَهُ»، وتنقّل رسول الله ﷺ زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار، وجَمَلَ أبي جهل<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

ومِمَّا يَجْدُر ذكره في هذه الغزوة — مما يدل على حرص النبي ﷺ على توزيع الأنفال، وعدم تَخْيِير شيء لنفسه — الحادثة التي جَرَتْ مع صهره أبي العاص الأسير، حيث تقدّم عمرو بن الربيع، فقال للمصطفى ﷺ: بعثني زينب بهذا في فداء زوجها، أخي: أبي العاص ابن الربيع، وأخرج من ثيابه صرة وضعها بين يدي الرسول ﷺ، ففتحتها فإذا فيها قلادة لم يكد يراها حتى رقّ لها رقّة شديدة، وخفق قلبه للذكرى: لقد كانت قلادة خديجة — رضي الله عنها — أهدتها ابنتها زينب يوم عرسها، حين زُفّت إلى أبي العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد.

(١) محمد رسول الله ﷺ: (ص ٢٢١).

(٢) قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: (أمّا الأموال المنقولة فهي الغنائم المألوفة، وقد كان رسول الله ﷺ يقسمها على رأيّه، ولما تنازع فيها المهاجرون والأنصار يوم بدر جعلها الله عزّ وجلّ ملكاً لرسوله يضعها حيث شاء، وروى أبو أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن الأنفال — يعني: عن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (فيما أصحاب بدر أنزلت حين اختلفنا في النّفْل، فسألت فيه أخلاقنا، فانترعه الله سبحانه من أيدينا فجعله إلى رسوله، فقسمه بين المسلمين على سواء، واصطفى من غنيمة بدر سيفه ذا الفقار، وكان سيف منبه بن الحجاج، وأخذ منها سهمه ولم يحمسها إلى أن أنزل الله عز وجل بعد بدر قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فتولى الله سبحانه قسمة الغنائم كما تولى قسمة الصدقات، فكان أول غنيمة حمسها رسول الله ﷺ بعد بدر غنيمة بني قينقاع). ينظر: [الأحكام السلطانية (ص: ٢١١)، ومسند أحمد (٣٢٢/٥)].

وأطرق أصحاب المصطفى ﷺ خشعاً وقد أخذوا بهذا الموقف! قلادة الحبيبة، تبعثها بنت النبي ﷺ إلى أبيها في فداء زوج حبيب! وتكلم النبي ﷺ الأب بعد مدة صمت فقال: «إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها ما لها، فافعلوا».

أجابوا جميعاً: نعم يا رسول الله. والشاهد: أن النبي ﷺ على عظيم حنوه ومحبة لابنته وذكرى زوجه لم يجبر أحداً على كسب مغنم شخصي له<sup>(١)</sup>.

### غزوة بني سليم:

غزا النبي ﷺ بعد سبع ليال من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكُدْر<sup>(٢)</sup> في ديار بني سليم الذين قصدتهم بغزوته هذه، غير أنه لم يلق حرباً، فأقام ثلاث ليال على الماء ثم رجع إلى المدينة.

كان سبب تلك الغزوة تجمع أفراد بني سليم لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم بعد معركة بدر مباشرة، ولكن رسول الله ﷺ فاجأهم بهجوم سريع غير متوقع، فهرب بنو سليم وتفرقوا على رؤوس الجبال، وبقيت إبلهم مع راعٍ لها يدعى يسار، فاستاق رسول الله ﷺ الإبل مع راعيها، وعند موضع صرار، على ثلاثة أميال من المدينة، قسم النبي ﷺ الإبل التي كان عددها خمسمائة بغير على أصحابه، فأصاب الواحد منهم بغيرين، ونال النبي ﷺ خمسها، أي: مئة بغير، وكان يسار من نصيبه، ولكنه أعتقه بعد ذلك<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: [صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ — ١٩٩٨م)، (ص: ٢٦١)، مع المصطفى ﷺ للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (١/٢٥٠)، السيرة لابن هشام (٢/ ٣٠٨)، محمد رسول الله ﷺ لعرجون (٣/ ٤٨٧، ٤٨٠)].

(٢) كُدْر: بضم الكاف، وسكون الدال. جاء ذكره في غزاة إلى بني سليم، قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً. ويقال: قرقرة الكدر. نقل في معجم البلدان عن الواقدي، قوله: بناحية المعدن قرية من الأرحضية، بينها وبين المدينة ثمانية برد. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٦٢)، المعالم الأثرية (ص: ٢٣١)].

(٣) ينظر: [سيرة ابن هشام ٢/ ٤٤، موسوعة نضرة النعيم ١/ ٢٩٦، التاريخ السياسي والعسكري، (ص: ٢٧٧)].

## سرية زيد بن حارثة إلى القردة<sup>(١)</sup>:

أخذ مشركو مكة بعد هزيمتهم في بدر يبحثون عن طريق أخرى لتجارهم إلى الشام، فأشار بعضهم إلى طريق نجد العراق، فسلكوها، وخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزّي، ومعهم فضة وبضائع كثيرة — بما قيمته مائة ألف درهم — ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب لاعتراض القافلة، فلقبها زيد عند ماء يقال له القردة، وهو ماء من مياه نجد، ففرّ رجالها مذعورين، وأصاب المسلمون العيرَ وما عليها، وأسروا دليلها فُرات بن حيّان الذي أسلم بين يدي النبي ﷺ، وعادوا إلى المدينة، فخمسها رسول الله ﷺ، فبلغت قيمة الخمس عشرين ألف درهم، ووزع الباقي بين أفراد السرية<sup>(٢)</sup>.

## غزوة ذي قرد<sup>(٣)</sup>:

وسببها أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة — وهي ذوات اللبن، القرية العهد بالولادة — ترعى بالغابة، وكان أبو ذرّ فيها، فأغار عليهم عُيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء، في أربعين فارساً، فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذرّ.

---

(١) القردة: بفتح القاف والراء والdal المهملة، وآخره تاء مربوطة: جاء في النص: (وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة)، ماء من مياه نجد. واحتلف المتقدمون في ضبطه، وأجمعوا على أنه ماء بنجد أو بين المدينة والشام مما يلي نجداً. وهذا الماء على طريق تمر من مكة إلى الشام جاعلة المدينة يسارها، وهذا يعني أنه في المنطقة الواقعة شمال شرقي المدينة؛ لأن مياه هذا الطريق معروفة حتى يصل إلى نخل، ثم تفرق الطرق، ويبدو أن هذه هي الطريق التي تجعل خيبر يسارها أيضاً، وتمر بسلاح المعروفة اليوم بالعشاش، على مرحلة شمال خيبر. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٤٨)].

(٢) ينظر: [سيرة ابن هشام ٥٦/٣، السيرة النبوية للصلاحي ٤٩/٢، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٢٣١)].

(٣) قرد (ذو قرد): بفتح الأول و الثاني و آخره Dal مهملة. جاء ذكره في غزوة ذي قرد، حين أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله ﷺ بالغابة. وقرد: جبل أسود بأعلى وادي النقي شمال شرقي المدينة، على قرابة (٣٥) كيلاً. [معجم المعالم الجغرافية (ص: ٢٥١)، المعالم الأثيرة (ص: ٢٢٤)].

ونودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها، وركب رسول الله ﷺ في خمسمائة، وقيل: سبعمائة، وخلف سعد بن عباد في ثلاثمائة، وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه، وقال له: «امض حَتَّى تَلْحَقَكَ هَذِهِ الْخِيُولُ، وَأَنَا عَلَى أَثَرِكَ»، فأدرك أخريات العدو، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْع — يعني: هلاك اللثام — .

وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حَتَّى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرَد، فاستنقذوا عشر لقاح، وأفَلَتَ القوم بما بقي، وهي عشر.

وصلَّى رسول الله ﷺ بذي قَرَد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة ورجع.

وقد غاب خمس ليال، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها<sup>(١)</sup>.

### غزوة بني قينقاع:

قَيْنَقَاع: اسم لشعب من اليهود كانوا بالمدينة، أُضيف إليهم سوقٌ كانت بها، ويُقال سوق بني قَيْنَقَاع، وهم من موالي الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت ؓ وعبد الله بن أبي بن سلول، وكان عددهم قليلاً وصناعتهم الصياغة، وهم أغنى سكان المدينة<sup>(٢)</sup>.

لم يلتزم يهود بني قينقاع بالمعاهدة التي أبرمها النبي ﷺ معهم، ولم يوفوا بالتزاماتهم التي حدّدوها، ووقفوا من الرسول ﷺ والمسلمين مواقف عدائية، فأظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون في بدر، وجأهروا بعداوتهم للمسلمين، وقد جمعهم النبي ﷺ في سوقهم بالمدينة ونصّحهم، ودعاهم إلى الإسلام، وحذّرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشاً في بدر، غير أنهم واجهوا النبي ﷺ بالتحدي والتهديد رغم ما يُفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة لبنود المعاهدة التي جعلتهم تحت رئاسته، ثم حاصرهم رسول الله ﷺ خمس

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام [٢١١/٣]، وسير ابن كثير [٢٨٩/٣]، وإمتاع الأسماع [٣٨٠/٨].

(٢) ينظر: محمد رسول الله ﷺ (ص: ٢٢٧).

عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد، حتَّى نزلوا على حكمه ﷺ، وكان عددهم أربعمئة حاسرٍ، وثلاثمئة دارعٍ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يُخلى سبيلهم وأن يُجْلُوا من المدينة، وأنَّ لهم النساء والذرية، ويجعلوا بقية الأموال للنبي ﷺ، ومنها الحلقة — التي هي السلاح — ، ولم يكن لهم نخيل ولا أرض تزرع إنما كانوا صيَّاغين، فصالحهم على ذلك، فنزلوا، فخمست أموالهم وآلة صياغتهم، جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين، وخمساً له ﷺ فكان أول خمس قبضه رسول الله ﷺ، وقد وُجد في منازلهم سلاح كثير، فأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي: قوساً تدعى: الكتوم — لا يسمع لها صوت إذ رمى بها — كُسِرَتْ بأحد، وقوساً تدعى: الروحاء، وقوساً تدعى: البيضاء، وأخذ درعين، درعاً يقال لها: السعدية، يقال: إنَّها درع داود — عليه السلام — التي لبسها حين قُتل جالوت، والأخرى يُقال لها: فضة، وثلاثة أرماح، وثلاثة أسياف، ووهب درعاً لمحمَّد بن مسلمة رضي الله عنه، ودرعاً لسعد بن معاذ رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

### غزوة المريسيع - أو: غزوة بني المصطلق :

المريسيع <sup>(٢)</sup>: ماء لبني خزاعة، وتسمى هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة، وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة، وسببها: أن الحارث بن ضرار الخزاعي كان قد جمَعَ الجموع لمحاربة النبي ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها، وكان معه ثلاثون من الخيل: عشرة للمهاجرين

(١) ينظر: [سيرة ابن هشام ٥٦/٣، المغازي للواقدي ١٧٦/١، طبقات ابن سعد ٢٨، ٢٩/٢، السيرة النبوية الصحيحة ٢٩٩/١، تاريخ الطبري ٤٨١/٢، اليهود في السنّة المطهرة ٢٧٦/١، السيرة النبوية للصلابي ٤٩/٢، محمَّد رسول الله ﷺ (ص ٢٢٩)].

(٢) المريسيع: بالضم ثم الفتح وياء ساكنة ثم سين مهملة مكسورة وياء أخرى، وآخره عين مهملة، كأنه تصغير المرسوع: وهو الذي انسلقت عينه من السهر. جاء ذكره في غزوة بني المصطلق من خزاعة: وهو حَزَع من وادي حورة، أحد روافد ستارة، وستارة وقديد واد واحد، وهو بعيد عن الساحل في الداخل بما يقرب من ثمانين كيلاً عن سيف البحر. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٩٠) — (٢٩١)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٥١)].



وعشرون للأنصار، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه — مولاة — ، وقيل: أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، وخرجت معه عائشة وأم سلمة — رضي الله عنهما — ، وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاسوساً للمشركيين، وبلغ صلى الله عليه وسلم المريسيع من ناحية قديد<sup>(١)</sup> إلى الساحل، وصف أصحابه للقتال، ودفع راية المهاجرين لأبي بكر رضي الله عنه، وراية الأنصار لسعد بن عباد رضي الله عنه، وحمل المسلمون على المشركين فقتلوا عشرة، وأسروا باقيهم، وكانوا أكثر من سبعمائة، وسبوا الرجال والنساء والذرية، وساقوا النعم والشاء، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صباب رضي الله عنه، وقد قتل خطأ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عباد بن الصامت رضي الله عنه وهو يرى أنه من العدو<sup>(٢)</sup>.

قال المقرئ في إمتاع الأسماع: (وفرق السبي فصار في أيدي الرجال، وقسم المتاع والنعم والشاء، وعدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت رثة المتاع فيمن يزيد، وأُسهم للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وللراجل سهم، وكانت الإبل ألفي بغير وخمسة آلاف شاة، وكان السبي مائتي أهل بيت)<sup>(٣)</sup>.

### غزوة بني قريظة:

جمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم التي خلفها بنو قريظة، فكانت كما يلي:

• من السيوف ألفاً وخمسمائة سيف.

(١) قديد: بضم القاف وفتح الدال المهملة ومثناة تحت ودال أخرى: تردد ذكره في السيرة، في طريق هجرته صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة المريسيع، وغيرها. وقديد واد فحل من أودية الحجاز التهامية ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة ذرة فيسمى أعلاه ستارة، وأسفله قديداً، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على نحو من (١٢٥) كيلاً، ثم يصب في البحر عند القضيمة، فيه عيون وقرى كثيرة لحرب وبني سليم. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٤٩)، المعالم الأثرية في السنة والسيرة (ص: ١٧٤)].

(٢) ينظر: [محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص: ٢٧٦ — ٢٧٧)، السيرة النبوية للصلاحي ٤٩/٢، صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٢٩)، حديث القرآن عن غزوات الرسول ٣١١/١، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص: ٤٣٣)، صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي (ص: ٣٣٢)].

(٣) ينظر: إمتاع الأسماع للمقرئ [٢٠٣/١].

- ومن الرماح ألفي رمح.
- ومن الدروع ثلاثمائة درع.
- ومن التروس ألفاً وخمسمائة ثرس وجحفة.
- كما تركوا عدداً كبيراً من الشياه والإبل، وأثاثاً كثيراً، وآنية كثيرة.
- ووجد المسلمون دنائاً من الخمر.

فوزعت الغنائم — وهي الأموال المنقولة كالسلاح والأثاث وغيرها — بين المحاربين من أنصار ومهاجرين ممن شهدوا الغزوة، فأعطى ﷺ أربعة أخماس الغنائم لهم، إذ جعل للفرس سهمين، وللراجل سهماً، فالفارس يأخذ ثلاثة أسهم لهم ولفرسه، وغير الفارس يأخذ سهماً واحداً له، والخمس المتبقي هو سهم الله ورسوله المقرر في كتابه تعالى.

فكانت أسهم القسمة (٣٠٧٢) سهماً؛ لأن المسلمين (٣٠٠٠)، والخيـل (٣٦)، للفرس سـهـمان ولصاحبه سهم، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم منها خيلاً وسلاحاً<sup>(١)</sup>.

وروي أن النبي ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالت الأنصار في ذلك، فقال: «إنكم في منازلكم»، وقال عمر رضي الله عنه: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ قال: «لا، إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس»، قال: رضينا بما صنع الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

### سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء:

كانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة الأنصاري في ثلاثين راكباً إبلاً وخيلاً، وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار،

(١) ينظر: [السيرة النبوية للصلاحي ٢/٢٩٨، الصراع مع اليهود ٢/٩٧، ٩٦، اليهود في السنة المطهرة ١/٣٧٥، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٢٩٩)].

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل [٣/٥٤٢].

وأن يشن الغارة عليهم، ففعل ما أُمر به، فلما أغار عليهم هرب باقيهم بعد مَنْ قتل، وكان المقتول منهم عشرة، وقيل: نحو العشرين، واستاق خمسين ومائة بغير، وثلاثة آلاف شاة، فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم<sup>(١)</sup>.

### **سرية الغمر أو سرية عكاشة بن محصن الأسدي:**

خرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلاً، فنذر به القوم، فهربوا، فنزلوا على بلادهم، فوجدوا ديارهم خالية لهربهم، فبعث المسلمون طليعة، فأروا أثر النعم قريباً فقصدوها، فأصابوا رجلاً منهم، فأمنوه فدلّهم على نعم لبني عم لهم، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بغير، وأطلقوا الرجل، وقدموا بالإبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا حرباً<sup>(٢)</sup>.

### **سرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى ذي القصة<sup>(٣)</sup>:**

في شهر ربيع الثاني سنة ست من الهجرة خرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه في عشرة من المسلمين حتّى وردوا عليهم ليلاً، فأحرق بهم القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثمّ حملت عليهم الأعراب بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة رضي الله عنه جريحاً، ولم يتمكن من العودة إلا بعد أن مرّ به رجل من المسلمين، فحمله حتّى ورد به المدينة.

---

(١) ينظر: [صحيح السيرة النبوية (ص ٣٨٦)، السيرة الحلبية ٢/٢٩٨، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٣٠٢)].

(٢) ينظر: [تاريخ الطبري ٢/٦٤٠، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص ٣٠٦)].

(٣) القصة (ذو القصة): بفتح الأول وتشديد الصاد المهملة وآخره تاء مربوطة. سمي بذلك لقصة في أرضه، والقصة: الجص. له ذكر في مواضع متعددة من السيرة، ومنها غزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة ...، وهو على الطريق من المدينة إلى العراق المار بالقصيم، وربما كان الموقع قريباً من بلدة الصويدة اليوم، حيث كانت ديار غطفان التي غزاها أبو عبيدة. وذو القصة أيضاً: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو في طريق الربرة، وإلى هذا الموضع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى بني ثعلبة بن سعد .. وإلى أحد المكانين خرج أبو بكر لعقد الألوية. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٥٥)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٢٧)].

وعلى الأثر بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح في أربعين رجلاً إلى منازلهم، فأغار عليهم فلم يجد أحداً، ووجد نعماً وشاء فساقه، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم، فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه، وشيئاً من متاعهم وقدم به المدينة<sup>(١)</sup>.

### سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم:

في شهر ربيع الآخر كانت سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى بني سليم بالجموم<sup>(٢)</sup>، فأصابوا نعماً وشاء، ووجدوا جماعة منهم فأسروهم<sup>(٣)</sup>.

### سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى العيص:

وكانت في جمادى الأولى سنة ست، وسببها: أنه ﷺ بلغه أن عيراً قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة ﷺ ومعه سبعون راكباً ليتعرّض لها، فأدركها وأخذها وما فيها، وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف، وأسر منهم ناساً: منهم أبو العاص بن الربيع، وأمه أم هالة بنت خويلد أخت خديجة، وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانة، وهو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، فدخلت زينب على رسول الله ﷺ، فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه، فقبل، وقال لها: أكرمي مثواه ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له، ثم ذهب أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي مالٍ ماله ثم أسلم، وخرج فقدم المدينة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) السيرة النبوية للصلاحي [٣٣٣/٢].

(٢) الجموم: بفتح الجيم وضم الميم: أرض لبني سليم، بها كانت إحدى غزوات النبي ﷺ، وبعث زيد بن حارثة إلى بني سليم فسار حتى ورد الجموم ناحية بطن نخل ..، وبطن نخل يسمى الآن الحناكية. تقع على الطريق بين المدينة والقصيم على مسافة مائة كيل عن المدينة النبوية، وليست هي الجموم المعروفة بالقرب من مكة، على طريق المدينة من مكة، على مسافة اثنين وعشرين كيلاً. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٨٦)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٩٢)].

(٣) ينظر: [السيرة الحلبية ٥٠١/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٣٣٨/٣].

(٤) محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٠٧).

## سرية زيد بن حارثة الثالثة إلى حِمْيَ (١):

هذه السرية إلى حِمْيَ أرض ينزلها جزام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست.

وسببها: أن رسول الله ﷺ كان قد أوفد دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه بكتاب إلى قيصر يدعو به إلى الإسلام، فأعطاه جائزة وكساه، فلقيه الهنيد بن عارض في الطريق وهو عائد، فقطعوا عليه الطريق، وأصابوا كل شيء كان معه عند حِمْيَ، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب — رهط رفاعة بن زيد الجذامي — ممن كان أسلم، فاستنقذوا ما كان في أيديهم وردوه على دحية.

قدم دحية رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار، ومعه دليل من بني عذرة، فأقبل بهم حتى هجموا على القوم، فأغاروا عليهم، وأكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه، وأخذوا ماشيتهم ونساءهم، فأخذوا من الإبل ألف بعير، ومن الشاة خمسة آلاف، ومن السبي مائة من النساء والصبيان، ولا شك أن هذا الإحصاء تقريبي كما يستدل عليه من الأرقام (٢).

## سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر:

خرج علي رضي الله عنه ومعه مائة رجل إلى بني سعد بن بكر في شعبان سنة ست، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أنهم ساعون في جمع الناس لإمداد يهود خيبر، فأغاروا على نعم وشاء

---

(١) حِمْيَ: بالكسر ثم السكون، آخره ألف: من سلسلة جبال شرقي الأردن، وتقع جنوبي جبال الشراة، وتمتد حتى حدود الحجاز، وفيها جبل رمّ أو إرم، أعلى قمة في جنوبي بلاد الشام، يعلو (١٧٥٤) متراً عن سطح البحر، ويقع على مسافة (٢٥) ميلاً للشرق من العقبة، تتوفر فيه المياه الغزيرة. وقمة جبل أم عشرين (١٧٥٣) متراً، وتقع شرقي رمّ. [المعالم الأثيرة في السنة والسيارة (ص: ١٠٠)].

(٢) محمد رسول الله ﷺ (ص ٣٠٧ — ٣٠٨).

كثيرة، وهرب الرعاء، وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير ومائتي شاة،  
وقدم عليّ ﷺ ومن معه المدينة<sup>(١)</sup>.

### غزوة خيبر:

خيبر واحة كبيرة جهة الشام من المدينة، وسكان خيبر يهود، وهي ذات حصون  
ومزارع ونخل كثير، وكان سكانها غير مجتمعين في صعيد واحد، بل كانوا  
متفرقين في الوديان المجاورة، ويقطنون بيوتاً حصينة وسط النخيل وحقول القمح، وكانت  
خيبر مركزاً لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها.

وحصون خيبر الأساسية ثلاثة، وكل واحد منها مؤلف من عدة حصون وهي كالاتي:

١. حصون النطاة<sup>(٢)</sup>، وهي أربعة: (النعام — الصعب — الكتيبة — بقلة).

٢. حصون الشق<sup>(٣)</sup>، اثنان: (حصن أبيّ — وحصن البري).

٣. حصون الكتيبة<sup>(٤)</sup> وهي ثلاثة: (حصن القموص — الوطيح — سُلام).

كانت غزوة خيبر من أكثر غزوات الرسول ﷺ غنيمة، من حيث الأراضي، والنخيل،  
والثياب، والأطعمة...، وغير ذلك، ومن خلال وصف كتب السيرة نلاحظ الغنائم  
تتكون من:

---

(١) ينظر: [السيرة النبوية للصلاحي ٢/٣٣٤، التاريخ السياسي والعسكري (ص: ٣٣٠)].

(٢) النطاة: حصن كان بخيبر، وقيل: اسم عين ماء. و هي اليوم من قرى خيبر شمال شرقي الشريف،  
قرب الطريق منخفض الوادي. [المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٨٨)].

(٣) الشق: يروى بكسر الشين وفتحها: من حصون خيبر أو واد بخيبر، وكان في سهم النبي صلى الله  
عليه وسلم الذي قسم الشق والنطاة، قال البلادي: ويعرف اليوم بوادي الصوير. [معجم المعالم الجغرافية  
في السيرة النبوية (ص: ٩٦)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٥١)].

(٤) الكتيبة: باسم الكتيبة، القطعة من الجيش: حصن من حصون خيبر، التي فتحها الله على المسلمين.  
يعرف اليوم باسم أبو وشيع، واد من واديين هما عمود أودية خيبر. [معجم المعالم الجغرافية في  
السيرة النبوية (ص: ١٥٦)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٣٠)].

● الطعام: غنم المسلمون كثيراً من الأطعمة من حصون خيبر، فقد وجدوا فيها الشحم والزيت والعسل والسمن، وغير ذلك، فأباح رسول الله ﷺ الأكل من تلك الأطعمة، ولم يَحْمَسْها.

● السلاح<sup>(١)</sup>، والثياب، والأثاث، والإبل، والبقر، والغنم، لقد أخذ رسول الله ﷺ خمسها، ووضعها فيما وضعه الله فيه، ووزع أربعة أخماسها على المحاربين.

● السبي: لقد سبي رسول الله ﷺ كثيراً من نساء اليهود، ووزع السبي على المسلمين، فهو غنيمة ويأخذ حكم الغنيمة.

● أما الأراضي والنخيل فقد قسمها النبي ﷺ إلى ستة وثلاثين سهماً، جمع كل سهم مائة سهم، فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ ولللمسلمين النصف من ذلك، وهو ألف وثمان مائة سهم، ووزع النصف الآخر، وهو ألف وثمان مائة سهم لنوابه وما ينزل به من أمور المسلمين.

● وكان مما غنم المسلمون من يهود خيبر عدّة صحف من التوراة، فطلب اليهود ردّها، فأمر بتسليمها إليهم<sup>(٢)</sup>.

وقد أبقى رسول الله ﷺ يهود خيبر فيها على أن يعملوا في زراعتها، وينفقوا عليها من أموالهم، ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متى أرادوا، وكان

---

(١) فقد كان السلاح كثيراً جداً؛ لأن عدد المقاتلين من أهل خيبر يزيد عن (عشرة آلاف) مقاتل، فمثلاً: وجد المسلمون في حصن الوطيح وحصن سلام مائة درع، وأربعمائة سيف، وألف رمح، وخمسمائة قوس عربية بجعابها. ينظر: [محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٤٨)].

(٢) نعم، لم يصنع النبي ﷺ ما صنع الرومان حينما فتحوا القدس وأحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بأرجلهم، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا — كذلك — صحف التوراة، ولا ما فعل اليهود والأمريكان في غزة وفي العراق عند احتلالهما لها.

اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبي ﷺ، وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم، فوافق على ذلك بعد أن همّ بإخراجهم منها.

قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر، فأعطى الرجل سهماً، والفارس ثلاثة أسهم، بعد أن خَمَسَهَا خمسة أجزاء، ثُمَّ دفع ﷺ لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع، وقال لهم: «إنا إذا شئنا أن نُخْرِجَكُم أَخْرَجْنَاكُم»، ثُمَّ استمرَّ على ذلك إلى خلافة عمر رضي الله عنه إلى أن وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار في ذلك الصحابة — رضي الله عنهم — (١).

### صلح أهل فدك (٢):

فَدَكْ بلدة يهودية بالقرب من خيبر، لما علم أهلها بانحزام خيبر خافوا، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقَدِمَتْ عليه رُسُلُهُم، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، فكان ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوج منها أئمتهم، ولما مات رسول الله ﷺ وولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، سألته فاطمة — رضي الله عنها — أن يجعلها أو نصفها لها، فأبى، وأجابه أن رسول الله ﷺ قال: «إنا لا نُورَث، ما تركنا صَدَقَةً»، أي: وقف على أهل بيته، والباقي للسلاح والكراع (٣).

---

(١) ينظر: [زاد المعاد ٣/٣٢٣، السيرة الحلبية ٣/٣٩، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص: ٥٠٤)، السيرة النبوية للصلاحي ٢/٤١٧ — ٤١٨، الطبقات لابن سعد ٢/١٠٦، الصراع مع اليهود لأبي فارس ٣/٩٦].

(٢) فَدَكْ: بالتحريك وآخره كاف: وهي قرية أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً: وهي اليوم بلدة عامرة كثيرة النخل والزرع والسكان في شرق خيبر، وتسمى اليوم: الحائط. [معجم المعالم الجغرافية (ص: ١٥٦)، المعالم الأثيرة (ص: ٢٣٥)].

(٣) ينظر: [مغازي الواقدي ٢/٦٩٩، السيرة الحلبية ٢/٧٢٦، السيرة النبوية المسمى: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لمحمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس (٦٧١ — ٧٣٤ هـ)، مؤسسة عز الدين بيروت — لبنان، طبعة جديدة مصححة (١٩٨٦م)، ١/٥٧٦].



ولأنّ لفدك أثراً في انقسام بعض طوائف المسلمين سأتوقف على قصتها بالتفصيل  
لأبين أمرين جوهريين:

- أحدهما: أنّ ما تركه النبي ﷺ من أراضٍ كان وقفاً يُحبس أصله ويُستفاد من ثمره،  
وهو ما سيرد في مبحث وقفه ﷺ.

- والآخر: أنّ الخلاف بين السيدة فاطمة — رضي الله عنها — وسيدنا أبي بكر  
ﷺ كان على الاستفادة من الأرض، أي: من يكون ناظر الوقف لا على أصل الأرض.

### غزوة وادي القرى:

وادي القرى<sup>(١)</sup>، وادٍ بين الشام والمدينة وهو بين تيماء<sup>(٢)</sup> وخيبر، فيه قرى كثيرة  
وبها سُمي وادي القرى، نزلها اليهود وزرعوها.

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر نزل وادي القرى أصيلاً مع الغروب وأهله  
يهود، فدعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فحاصرهم أربعة أيام، وهياً أصحابه للقتال، فقتل  
منهم أحد عشر رجلاً، وفتحها رسول الله ﷺ عنوة، وغنمه الله أموالهم، وأصاب  
المسلمون أثاثاً ومتاعاً كثيراً، وقسم رسول الله ﷺ ما أصاب على أصحابه، وترك  
الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها، وولاهها عمرو بن سعيد بن العاص، وصالحه  
أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى، وولاهها يزيد بن أبي سفيان، وكان  
إسلامه يومَ فتحها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وادي القرى: سُمي بذلك لكثرة قراه، وهو بين المدينة وتبوك، وأعظم مدنه اليوم: مدينة العلا شمال  
المدينة، على مسافة (٣٥٠) كيلاً، ويعرف اليوم: وادي العلا الذي يصب في وادي الجزل، ثم يصب  
الجزل في وادي الحمض يضم وتمر في هذا الوادي سكة حديد الحجاز المعطلة. وقد قامت فيه مدينة العلا  
مكان قرح، وكانت قرح سوقاً من أسواق العرب. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية  
(ص: ٣٣٠)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٢٤)].

(٢) تيماء: مدينة حجازية تقع شمال المدينة على (٤٢٠) كيلاً. ويعرفها كلٌّ من أتى المدينة بطريق السيارات  
من ديار الشام. [المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٧٤)].

(٣) محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٥٤).

## سرية بشير بن سعد إلى يمن<sup>(١)</sup> وجناب:

وهي أرض لغطفان، ومعه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان، واعدتهم عينة بن حصين للإغارة على المدينة، فلما بلغهم مسير بشير هربوا، وأصاب لهم نعماً كثيرة غنمها<sup>(٢)</sup>.

## سرية غالب بن عبد الله الليثي:

وكانت إلى أهل المنيعه بناحية نجد في مائة وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم في وسط محالهم، وقتلوا كثيراً منهم، واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة<sup>(٣)</sup>.

## سرية أخرى لغالب بن عبد الله الليثي:

لما رجع غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه من سرية الأولى بعثه رسول الله ﷺ إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك — وقد تقدم ذكر سرية بشير — ومعه مائتا رجل، وذلك في شهر صفر سنة ثمان، وقد نجحت هذه السرية نجاحاً تاماً، فقد قاتل المسلمون ساعة ووضعوا السيف، وقتلوا منهم قتلى، وأصابوا منهم نعماً وشاء وذرية، فساقوها وعادوا إلى المدينة<sup>(٤)</sup>.

## سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى جمع من هوازن:

يُقال لهم: بنو عامر، وكان مع شجاع أربعة وعشرون رجلاً، فأصابوا نعماً كثيرة وشاء، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) يمن: بفتح أوله، ويروى بضمه: ماء لغطفان بين تيماء وفيد، كانت إليه سرية سنة سبع من الهجرة. [المعالم الأثيرة في السنة والسياسة (ص: ٣٠١)].

(٢) ينظر: [محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٥٥)، جوامع السيرة (ص: ١٨)].

(٣) ينظر: [السيرة الحلبية ١٩١/٣، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط ١ (١٩٩٠م)، (ص: ١٨)].

(٤) المرجع السابق (ص: ٣٥٩).

(٥) المرجع السابق نفسه.

## غزوة حنين:

بعد معركة حامية الوطيس انتصر المسلمون على عدوهم، وكانت غنائم المسلمين كما يأتي:

أسر من العدو خلق كثير، ومن النساء نحو ستة آلاف، وغنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألف بغير، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية.

— تقسيم الغنائم:

الخمس للنبي ﷺ، ومنه أعطى المؤلف قلوبهم، وأربعة أخماس الغنائم للجيش<sup>(١)</sup>.

## سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى الفلّس:

بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ إلى الفلّس — صنم كان بنجد تعبده طيّئ — ليهدمه، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة من خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بغير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلّس وخرّبوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء والفضة، وفي السبي سفانة بنت حاتم الطائي، وأخت عدي بن حاتم<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض الغزوات والسرايا، فلو قمنا بعملية حسابية لحساب خمسها — نصيب النبي ﷺ — لوجدنا أرقاماً كبيرة جداً، فهل بعد هذا كله يأتي من يقول: كان النبي ﷺ فقيراً؟؟؟

---

(١) هذا للرد على من يعتقد أن النبي ﷺ كان يعطي المؤلف قلوبهم على حساب أصحاب الغنائم من الجيش: (أعطى محمد أغنياء قريش مائة بغير لكل رجل، كي يستميلهم إلى الإسلام. مع العلم أن محمدًا كان يوجد بما ليس له، فالإبل التي وزعها على المؤلف قلوبهم لم تكن إبله وإنما إبل الذين غزاهم) ينظر: خرافة العصر الذهبي في صدر الإسلام كامل النجار.

<http://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?t=٢&aid=١٩٦٧٢٢>

(٢) محمد رسول الله ﷺ (ص ٤١٦)، المغازي (ص: ٦٢٤).

وقبل الفراغ من هذا المبحث لا بد من الإجابة على بعض الأسئلة التي تتعلق بالموضوع، وهي:

- ١- ما مصير الخمس بعد وفاة النبي ﷺ، وهل يستمر لآل النبي ﷺ؟  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : (وبنو هاشم إذا مُنعوا من خمس الخمس جاز لهم الأخذ من الزكاة، وهو قول القاضي يعقوب<sup>(١)</sup> وغيره من أصحابنا، وقاله أبو يوسف، والإصطخري من الشافعية؛ لأنه محل حاجة وضرورة)<sup>(٢)</sup>.
- وقال الشيخ ابن عثيمين — رحمه الله — : (فإذا مُنعوا أو لم يوجد خمس — كما هو الشأن في وقتنا هذا — فإنهم يُعطون من الزكاة دفعاً لضرورتهم إذا كانوا فقراء وليس عندهم عمل، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — ، وهو الصحيح)<sup>(٣)</sup>.
- ٢- من هم آل النبي ﷺ؟ (بنو عبد المطلب وعبد مناف وأزواجه ومواليه).  
القول الصحيح في المراد بآل بيت النبي ﷺ الذين تحرّم عليهم الصدقة، وهم أزواجه، وذريته، وكلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف.  
قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: (وُلد لهاشم بن عبد مناف شبيبةٌ — وهو عبد المطلب — ، وفيه العمود والشرف، ولم يبقَ لهاشم عقبٌ إلا من عبد المطلب فقط)<sup>(٤)</sup>.
- ويدلُّ على دخول بني أعمامه ﷺ في أهل بيته ما أخرجه مسلم من حديث عبد المطلب ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: (أنّه ذهب هو والفضل بن عباس إلى رسول الله ﷺ

---

(١) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بحير الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة. قال الذهبي: (الإمام المجتهد العلامة المحدث)، توفي سنة (١٨٢هـ) وقيل: سنة (١٨١هـ). من مؤلفاته النوادر، والخراج. [سير أعلام النبلاء ٨ / ٥٣٥، والبداية والنهاية ١٠ / ٢٠٥، تاج التراجم، ص ٥٤، والفوائد البهية، ص ١٦٣].

(٢) الفتاوى الكبرى [٥ / ٣٧٤].

(٣) الشرح الممتع [٦ / ٢٥٧].

(٤) انظر: [عقب عبد المطلب في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص: ١٤)، والتبيين في أنساب القرشيين لابن قدامة (ص: ٧٦)، ومنهاج السنة لابن تيمية ٧ / ٣٠٥، وفتح الباري لابن حجر ٧ / ٧٨].

يطلبان منه أن يُؤليهما على الصَّدقة لِيُصَيَّا مِنَ الْمَالِ مَا يَتَزَوَّجَان بِهِ، فَقَالَ لَهُمَا ﷺ: «إِنَّ الصَّدقة لَا تَبْغِي لآلِ مُحَمَّدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ»، ثُمَّ أَمَرَ بِتَزْوِيجِهِمَا وَإِصْدَاقِهِمَا مِنَ الْخُمْسِ<sup>(١)</sup>.

وقد أُلْحِقَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ — مِنْهُمْ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ — بَنِي الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بِنِي هَاشِمٍ فِي تَحْرِيمِ الصَّدقة عَلَيْهِمْ؛ لِمِشَارَكَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي إِعْطَائِهِمْ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ؛ وَذَلِكَ لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، الَّذِي فِيهِ: (أَنَّ إِعْطَاءَ النَّبِيِّ ﷺ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ دُونَ إِخْوَانِهِمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلٍ لِكَوْنِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ شَيْئًا وَاحِدًا)<sup>(٢)</sup>.

وَتَخْصِيصُ النَّبِيِّ ﷺ يُدْرَجُ زَوْجَاتُهُ تَحْتَ لَفْظِ الْآلِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدقة لَا تَحُلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ»، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُنَّ يُعْطَيْنَ مِنَ الْخُمْسِ، ثُمَّ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مِصْنَفِهِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: (أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — بِبَقْرَةٍ مِنَ الصَّدقةِ فَرَدَّتْهَا، وَقَالَتْ: إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا تَحُلُّ لَنَا الصَّدقة)<sup>(٣)</sup>.

وَمِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ جَلَاءَ الْأَفْهَامِ لِلَاِحْتِجَاجِ بِقَوْلِ الْقَائِلِينَ بِدُخُولِ أَزْوَاجِهِ ﷺ فِي آلِ بَيْتِهِ قَوْلُهُ: (وَيَا اللَّهَ الْعَجَبُ! كَيْفَ يَدْخُلُ أَزْوَاجُهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوَاتًا»<sup>(٤)</sup>)، وَقَوْلُهُ فِي الْأُضْحِيَّةِ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»<sup>(٥)</sup>، وَفِي قَوْلِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ، بَابِ تَرْكِ اسْتِعْمَالِ آلِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الصَّدقة، رَقْمُ (١٠٧٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ فِرَاضِ الْخُمْسِ، بَابِ وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمْسَ لِلْإِمَامِ، رَقْمُ (٣١٤٠).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مِصْنَفِهِ [٢١٤/٣].

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابِ كَيْفَ كَانَ عِيشُ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ (٦٠٩٥)، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ

الزَّكَاةِ، بَابِ الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ، رَقْمُ (١٠٥٥).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ [٢١٧/١٧]، بِرَقْمِ (٩٢١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ

[١٩/٤]: (رَجَالُهُ ثِقَاتٌ)، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ بِنَحْوِهِ مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عائشة — رضي الله عنها — : (ما شبع آل رسول الله ﷺ من خُبز بُرٍّ)، وفي قول المصلي: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ)، وَلَا يَدْخُلْنَ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»<sup>(١)</sup>، مع كونها من أوساخ الناس، فأزواجُ رسولِ الله ﷺ أولى بالصَّيَانَةِ عنها والبُعدِ منها؟!<sup>(٢)</sup>

ويدلُّ على تحريم الصَّدَقَةِ على مَوَالِي بني هاشم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث رجلاً على الصَّدَقَةِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فقال لأبي رافع: (اصْحَبْنِي فَإِنَّكَ تُصِيبُ مِنْهَا)، قال: حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ، فقال: «مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وهنا يجد البحث الإجابة على السؤال الكبير من أن أين كان ينفق النبي ﷺ هذا الإنفاق الذي لا يخشى الفقر معه، وحرصه على الإنفاق أولى على أهله وقرباته.

وكذلك رضح النبي ﷺ لبعض النساء من خمسِه وفيته:

قال ابن إسحاق: (وشهد خبير مع رسول الله ﷺ من نساء المسلمين، فرضخ لهن من الفِءِ، ولم يضرب لهن بسهم)<sup>(٤)</sup>.

وروى أبو داود، والإمام أحمد عن امرأة من غفار — بكسر الغين المعجمة — قالت: (أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلن: يا رسول الله، قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا — وهو يسير إلى خيبر — فنداوي الجرحى، ونعين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة، رقم (١٠٧٢)، وأبو داود في كتاب الخراج، باب مواضع قسم الخمس، رقم (٢٩٨٥).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ٣٣١ — ٣٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم، رقم (١٦٥٠)، والترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في كراهية الصدقة للنبي ﷺ، رقم (٦٥٧)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب مولى القوم منهم، رقم (٢٦١٢)، واللفظ لأبي داود.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام [٢٩٦/٣].

المسلمين ما استطعنا، فقال: «على بركة الله تعالى»، قالت: فخرجنا معه، فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر رضخ لنا من الفيء<sup>(١)</sup>.

خاتمة:

إن بيان مصادر دخل النبي ﷺ من هذه المصادر تدعونا لإجراء مقارنات ومقاربات بين ما يقال عن فقره وجوعه وبين ما خصّه الله به، وحرّي بنا إعادة النظر فيما نكرر ونردد عن الجانب المالي في حياته ﷺ.

\* \* \*

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الطهارة، باب الاغتسال من الحيض، برقم (٣١٣)، وأخرجه الإمام أحمد عن امرأة من بني غفار، برقم (٢٧٨٩٧)، وابن سعد [٢١٤/٨]، ويُنظر: البداية والنهاية [٢٠٤/٤].

## سرايا وغزوات قبل بدر:

اسم السرية أو الغزوة	هدفها وعدد رجالها	المراجع
سرية سيف البحر	ثلاثون رجلاً إلى عير لقريش قادمة من الشام وعلى رأسها أبو جهل.	السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٩/١، الرحيق المختوم (ص١٨٧)، جوامع السيرة (ص١٠١)، تاريخ الطبري ٤٠٤/٢-٤٠٥، طبقات ابن سعد ٧/٢، سيرة ابن هشام ٥٩٥/٢
سرية عبدة ابن الحارث	ستون رجلاً لرد عدوان المشركين وعلى رأسهم أبو سفيان.	السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٩/١، الرحيق المختوم (ص١٨٧)، طبقات ابن سعد ٧/٢
سرية الخرار	عشرون رجلاً إلى عير لقريش	الرحيق المختوم (ص١٨٨)، طبقات ابن سعد (٧/٢)
غزوة الأبواء	مائتي رجل، وادع النبي ﷺ فيها بني ضمرة.	السيرة النبوية للصلاحي ٦٢٨/١، الرحيق المختوم (ص١٨٨)
غزوة بواط	مائتي رجل إلى عير لقريش وعلى رأسها أمية بن خلف.	الرحيق المختوم (ص١٨٨)، طبقات ابن سعد ٨/٢، السيرة النبوية، للصلاحي ٦٢٩/١
غزوة سفوان	سبعون رجلاً لرد ما نهب المشركون من مواشٍ في مراعي المدينة.	الرحيق المختوم (ص١٨٩)، جوامع السيرة (ص١٠٤)، طبقات ابن سعد ٤/٢
غزوة العُشيرة	غزا فيها النبي ﷺ قريشاً، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة.	طبقات ابن سعد ١٠/٢، الرحيق المختوم (ص١٨٩)
سرية عبد الله ابن جحش الأسدي إلى نخلة	ثمانية رهط للاستطلاع والتعرف على أخبار قريش، وقد ظفروا بقافلة تجارية لقريش، وقتلوا قائدها، وأسروا اثنين من رجالها.	سيرة ابن هشام ٦٠٣/٢، السيرة النبوية للصلاحي ٦٣١/١، الرحيق المختوم (ص١٩٠)



## غزوة بدر وما بعدها

اسم الغزوة	هدفها و عدد رجالها	المغنم	المراجع
غزوة بدر الكبرى	ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً إلى عير لقريش كان على رأسها أبو سفيان.	أسر من المشركين نحو السبعين أفتدوا بالمال، ومائة وخمسين من الإبل، وعشرة أفراس، ومتاع، وسلاح وأنطاع، وثياب، وأدم كثير حملة المشركون للتجارة.	السيرة النبوية دروس وعبر للسباعي (ص ٥٢)، البداية والنهاية ٣/٣١١، محمد رسول الله لعرجون ٣/٤٧٤، السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/١٦٤، السيرة النبوية للصلاحي ١/٦٧٩.
غزوة بني سليم	مائتي رجل لرد بني سليم الذين اجتمعوا لمقاتلة المسلمين بعد بدر مباشرة، ولكن رسول الله ﷺ فاجأهم بمحوم سريع، فهربوا وتفرقوا على رؤوس الجبال.	خمسائة بغير.	السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤٤، موسوعة نظرة النعيم ١/٢٩٦، التاريخ السياسي والعسكري (ص ٢٧٧).
سرية زيد بن حارثة إلى القردة	مائة راكب لاعتراض قافلة لقريش على طريق نجد العراق.	فضة وبضائع كثيرة قيمتها مائة ألف درهم.	سيرة ابن هشام ٣/٥٦، السيرة النبوية للصلاحي ٢/٤٩، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٢٣١)

غزوة بني قينقاع	تأديب اليهود لعداوتهم للمسلمين ومجاهرتهم بذلك وتحديهم لهم.	سيرة ابن هشام ٥٦/٣، طبقات لابن سعد ٢٨، ٢٩/٢، السيرة النبوية الصحيحة ٢٩٩/١، تاريخ الطبري ٤٨١/٢، اليهود في السنة المطهرة ٢٧٦/١، محمد رسول الله ﷺ (ص ٢٢٩)
غزوة المريسيع أو: غزوة بني المصطلق	خرج النبي ﷺ لرد الحارث بن ضرار الخزاعي الذي جمع الجموع لمحاربة النبي ﷺ.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٢٧٦)، السيرة النبوية للصلاحي ٤٩/٢، صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٢٩)، صحيح السيرة النبوية للعلي (ص: ٣٣٢)
غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف من المسلمين.	من السيوف ألفاً وخمسمائة سيف، ومن الرماح ألفي رمح، ومن الدروع ثلاثمائة درع، ومن التروس ألفاً وخمسمائة ترسٍ وجحفة، كما تركوا عدداً كبيراً من الشياه والإبل، وأثاثاً كثيراً، وآنية كثيرة، ووجد المسلمون دناناً من الخمر.
سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء	ثلاثين راكباً إبلاً وخيلاً.	صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٨٦)، السيرة الحلبية ٢٩٨/٢، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٠٢)
سرية محمد بن مسلمة إلى بني القرطاء	خمسين ومائة بعير، وثلاثة آلاف شاة.	صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٨٦)، السيرة الحلبية ٢٩٨/٢، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٠٢)

سرية الغمر أو سرية عكاشة بن محصن الأسدي	أربعين رجلاً	مائي بغير	تاريخ الطبري ٢/٦٤٠، محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٠٦)
سرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى ذي القصة	خرج عشرة من المسلمين فأصيبوا، ثم بعث النبي ﷺ أربعين رجلاً.	شيئاً من المتاع ونعماً وشاء.	السيرة النبوية للصلاحي [٣٣٣/٢].
سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم		نعماً وشاء، وأسروا جماعة منهم.	السيرة الحلبية ٣/٥٠١، السيرة النبوية ٣/٣٣٨.
سرية زيد بن حارثة إلى العيص	سبعون راكباً للتعرض لغير قادمة من الشام لقريش.	فضة كثيرة لصفوان ابن أمية ، وأسر من المشركين ناس.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٠٧)
سرية زيد بن حارثة الثالثة إلى حسمى	خمسائة رجل للرد على الهنيد بن عارض الذي تعرض لدحية الكلبي في طريق عودته بجوائز وكسوة من قيصر، فقطعوا عليه الطريق.	من الإبل ألف بغير، ومن الشاة خمسة آلاف، ومن السبي مائة من النساء والصبيان.	المرجع السابق (ص: ٣٠٧- ٣٠٨).
سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بني سعد ابن بكر	مائة رجل، بلغ رسول الله ﷺ أنهم ساعون في جمع الناس لإمداد يهود حبير.	خمسائة بغير ومائتي شاة	السيرة النبوية للصلاحي ٢/٣٣٤، التاريخ السياسي والعسكري (ص: ٣٣٠)

غزوة خيبر		طعام كثير، وسلاح، وثياب، وأثاث، وإبل، وبقر، وغنم، وسي وأراض، ونخيل، وعدة صحف من التوراة، فطلب اليهود ردّ الصحف، فأمر بتسليمها إليهم.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٤٨).
صلح أهل فدك	لما علم أهلها بانهزام خيبر خافوا، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك		مغازي الواقدي ٦٩٩/٢، السيرة الحلبية ٧٢٦/٢.
غزوة وادي القرى	لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر نزل وادي القرى أصيلاً مع الغروب وأهله يهود دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا، فحاصروهم.	أثاثاً ومتاعاً كثيراً.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٥٤).
سرية غالب بن عبد الله الليثي	مائة وثلاثين راجلاً.	استاقوا نعماً وشاء.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٥٥).
سرية بشير بن سعد إلى يمين وجناب	ثلاثمائة رجل لرد من تجمعوا بأرض غطفان للإغارة على المدينة.	نعماً كثيرة.	محمد رسول الله ﷺ (ص: ٣٥٥)، جوامع السيرة (ص: ١٨).

سرية أخرى لغالب بن عبد الله الليثي:	مائتي رجل.	نعماً وشاء وذرية.	المرجع السابق (ص: ٣٥٩).
سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى جمع من هوازن:	أربعة وعشرون رجلاً.	نعماً كثيرة وشاء.	المرجع السابق نفسه.
غزوة حنين:		أسر من العدو خلق كثير، ومن النساء نحو ستة آلاف، وغنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية.	السيرة النبوية لابن هشام ٨٨/٤.
سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفلّس:	خرج علي بن أبي طالب عليه السلام في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفلّس - وهو صنم كان بنجد تعبده طيّئ - ليهدمه.	سي ونعم وشاء وفضة.	محمد رسول الله ﷺ (ص ٤١٦)، المغازي (ص: ٦٢٤).

\* \* \*

## المطلب الخامس:

### الفِيء: (أموال بني النضير، وحصون خيبر)

#### تعريف الفيء:

الْفَيْء لغةً: الرُّجوع. وقد سُمِّيَ هذا المال فيئاً؛ لأنَّه رجع إلى المسلمين من أموال الكفار عفواً بلا قتال.

وعلى هذا يكون الفيء اصطلاحاً هو: (المال الحاصل للمسلمين من أموال الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب).

وعُرِّفَ أيضاً بأنَّه: (ما نيل من الكفار بعد أن تَضَع الحرب أوزارها وتصير الدَّار دار إسلام)<sup>(١)</sup>.

#### قسمة الفيء بين المجاهدين<sup>(٢)</sup>:

اختلف الفقهاء — رحمهم الله تعالى — في الجهة التي يُصَرَف فيها الفيء إلى قولين:

◆ **القول الأول:** أن الفيء لجميع المسلمين ويدخل الجنود فيه دخولاً أولاً فيعطون منه ما يكفيهم، وهذا قول الجمهور<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: [لسان العرب مادة (فيأ) ٣٦١/١٠ — ٣٦٢، المعجم الوسيط (ص: ٧٠٧)، أنيس الفقهاء (ص: ١٨٣)، حاشية الطحاوي ٤٤٦/٢، ٤٤٠، شرح فتح القدير ٤٤٣/٥، بدائع الصنائع ١١٦/٧].

(٢) ما كان في زمن النبي ﷺ والخلفاء بعده ومن جاء بعدهم من سلف الأمة حين كان الجهاد قائماً والمسلمون يتطوعون للجهاد في سبيل الله وقبل وجود التنظيمات العسكرية الموجودة الآن. ينظر: [العلاقات الدولية في الإسلام، وهبة الزحيلي (ص: ٨٣)].

(٣) ينظر: [بدائع الصنائع ٨٨/٦، الهداية ٤٢٣/٢، شرح فتح القدير ٥٠٧/٥ — ٥٠٨، المعونة ٦١٨/١، بداية المجتهد ٤٠٦/١، روضة الطالبين ٣٥٨/٦، الأحكام السلطانية (ص: ٢٢٨)، كشف القناع ٤٢٠/٢، الشرح الممتع ٤٤/٨، حاشية الروض المربع ٢٩١/٤، ٢٩٣].

واستدلّوا بما يلي:

(١) قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٦ - ٧].

قال سيدنا عمر رضي الله عنه لما قرأ هذه الآيات: (استوعبت المسلمين)<sup>(١)</sup>.

وقال أحمد — رحمه الله — : (فيه حقٌّ لكل المسلمين)<sup>(٢)</sup>.

(٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ مما لم يُوجِف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان ينفق على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله)<sup>(٣)</sup>.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ اختص بأموال الفيء، أنفق منها على نفسه وأهله، وجعل الباقي في مصالح المسلمين من تأمين السلاح وعدة القتال في سبيل الله، وهكذا من ولي أمر المسلمين يأخذ منها نفقته، ويجعل الباقي في مصالح المسلمين.

♦ القول الثاني: أن الفيء يُخمس كالغنيمة، فخمس يصرف في مصرف خمس الغنيمة، كما جاءت بذلك الآية في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

(١) كشف القناع [٤٢٠/٢]، والكافي في فقه الإمام أحمد [١٩٥/٤].

(٢) كشف القناع [٤٢٠/٢].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجن ومن يتترس بترس صاحبه، رقم (٢٧٤٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، رقم (١٧٥٧).

وأربعة أخماس الفيء للجنود لا يشاركهم فيه أحد.

وهذا أظهر الأقوال عند الشافعية <sup>(١)</sup>، وقول عند الحنابلة <sup>(٢)</sup>.

واستدلوا بما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

ووجه الدلالة: أن هذه الآية مطلقة وآية الغنيمة مقيدة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

فيحمل المطلق على المقيد جمعاً بينهما لاتحاد الحكم، وهو رجوع المال من المشركين إلى المسلمين، وإن اختلف السبب بالقتال وعدمه، كما حملت الرقبة في الظهار على المؤمنة في كفارة القتل <sup>(٣)</sup>.

(٢) ولأن المقاتلة أولى الناس بالفيء؛ لأنه لا يحصل إلا بهم <sup>(٤)</sup>.

ويمكن مناقشة هذا بما يلي:

- إن الغنيمة تختلف عن الفيء، فالغنيمة مال أُخذ بالقتال والقهر والغلبة، والفيء من دون كل ذلك.

- أن الله تعالى أضاف الفيء إلى أهل الخمس، كما أضاف خُمس الغنيمة إلى أهله، فيإيجاب الخمس في الفيء فيه منع لما جعله الله لهم من غير دليل <sup>(٥)</sup>.

---

(١) ينظر: [أروضة الطالبين ٣٥٥/٦، والأحكام السلطانية (ص: ٢٢٧)، ومغني المحتاج ١٤٩/٤].

(٢) ينظر: [كشف القناع ٤٢١/٢، وحاشية الروض المربع ٢٩٣/٤، والشرح الكبير ٥٨٥/٥].

(٣) معنى المحتاج [١٤٦/٤].

(٤) حاشية الروض المربع [٢٩٣/٤].

(٥) كشف القناع [٤٢٠/٢].



والذي يظهر: أنَّ الجميع متفقون على إعطاء المجاهدين من الفياء، إلا أنَّ الجمهور يعطونهم اشتراكاً مع عامة المسلمين، ويقدمونهم على غيرهم في العطاء بالأولوية. أمَّا الشافعية — في الأظهر عندهم ورواية عند الحنابلة — فإنهم خصصوا لهم أربعة أخماس الفياء دون غيرهم.

وقول الجمهور أقرب إلى الرجحان، لاختلاف الفياء عن الغنيمة ولحديث عمر رضي الله عنه في صحيح البخاري: (أنَّ أموال بني النضير ممَّا أفاء الله على رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم، فكانت له خاصة)<sup>(١)</sup>.

ولو كان الفياء يُحمَّس لفعله النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم.

ولقد لخص الإمام الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية الحديث عن أموال الفياء والغنائم، فقال:

(هي ما وصل من المشركين أو كانوا سبب وصولها، ويختلف المالان في حكمهما، وهما مخالفان لأموال الصدقات من أربعة أوجه:

♦ أحدها: أن الصدقات مأخوذة من المسلمين تطهيراً لهم، والفياء والغنيمة مأخوذان من الكفار انتقاماً منهم.

♦ والثاني: أن مصرف الصدقات منصوص عليه ليس للأئمة اجتهاد فيه، وفي أموال الفياء والغنيمة ما يقف مصرفه على اجتهاد الأئمة.

♦ والثالث: أن أموال الصدقات يجوز أن ينفرد أربابها بقسمتها في أهلها، ولا يجوز لأهل الفياء والغنيمة أن ينفردوا بوضعه في مستحقه حتَّى يتولاه أهل الاجتهاد من الولاة.

---

(١) تقدم ذكره آنفاً ص ٢٣٠.

#### • والرابع: اختلاف المصرفين.

أما الفيء والغنيمة فهما متفقان من وجهين، ومختلفان من وجهين:

فأما وجهها اتفاقهما:

- فأحدهما: أن كل واحد من المالين أصله محاربة الكفر

- والثاني: أن مصرف خمسهما واحد.

وأما وجهة افتراقهما:

- فأحدهما: أن مال الفيء مأخوذ عفواً، ومال الغنيمة مأخوذ قهراً.

- والثاني: أن مصرف أربعة أخماس الفيء مخالف لمصرف أربعة أخماس الغنيمة.

**مال الفيء:** إنَّ كلَّ مالٍ وصل من المشركين عفواً من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية، وأعشار متاجرهم، أو كان واصلاً بسبب من جهتهم كمال الخراج ففيه إذا أخذ منهم أداء الخمس لأهل الخمس مقسوماً على خمسة، فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية:

- **سهم منها:** كان لرسول الله ﷺ في حياته، ينفق منه على نفسه وأزواجه، ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين.

- **والسهم الثاني:** سهم ذوي القربى، يسوى فيه بين صغارهم وكبارهم وأغنيائهم وفقرائهم، ويفضل فيه بين الرجال والنساء للذكر مثل حظ الأنثيين؛ لأنهم أعطوه باسم القرابة، ولا حقَّ فيه لمواليهم ولا لأولاد بناتهم، ومن مات منهم بعد حصول المال وقبل قسمه كانت سهامه منه مستحقاً لورثته.

- **والسهم الثالث:** لليتامى من ذوي الحاجات.

- **والسهم الرابع:** للمساكين، وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم من أهل الفيء، لأنَّ مساكينَ الفيءِ يَتَمَيِّزُونَ عن مساكين الصَّدقاتِ لاختلافِ مصرفِهما.

- وَالسَّهْمُ الْخَامِسُ: لِبَنِي السَّيْلِ، وَهُمْ الْمَسَافِرُونَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ.

وأما أربعة أخماسه ففيها قولان:

■ أحدهما: أنها للجيش خاصة، لا يشاركون فيها غيرهم ليكون معداً لأرزاقهم.

■ والقول الثاني: أنها مصروفة في المصالح التي منها أرزاق الجيش وما لا غنى للمسلمين عنه<sup>(١)</sup>.

جاء في كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي: (والفيء هو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت سنة رسول الله ﷺ في قرى عرينة التي أفاءها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله ﷺ خاصة دون المسلمين، يضعه رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى)<sup>(٢)</sup>.

### أموال بني النضير بالمدينة المنورة من الفيء:

من مصادر دخل النبي ﷺ أموال بني النضير، والنضير اسم قبيلة من اليهود، كانوا بالمدينة، وكانوا هم وقريظة نازلين بظاهر المدينة في حدائق وآطام لهم.

خرج رسول الله ﷺ يوم السبت فصلّى في مسجد قباء<sup>(٣)</sup>، ومعه نفر من أصحابه المهاجرين والأنصار، ثم أتى بني النضير، فكلمهم أن يعينوه في دية الكلبين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٢٤١ - ٢٤٢) بتصرف يسير.

(٢) أحكام القرآن للإمام الشافعي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ١٣٨.

(٣) قباء - اليوم - بلدة عامرة تطيف بذلك المسجد، كثيرة البساتين والسكان، وتكاد تتصل بالمدينة عمرانياً، بل اتصلت المدينة بها، مسجدها جنوب المسجد النبوي بستة أكيال، وهي واقعة في حرة تسمى حرة قباء، وهي الجزء الشرقي من حرة الوبرة. وهناك قباء آخر: قرب الجموم. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٤٩)].

جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعض، وهُمُوا بالغدر به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله لِيُخَبِّرَنَّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، وجاء رسول الله ﷺ الخبيرُ بما هموا، فنهض سريعاَ كأنه يريد حاجة، فتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه.

ثُمَّ بعث إليهم رسول الله ﷺ محمد بن مسleme رضي الله عنه: «أن اخرجوا من بلدي — يعني المدينة — فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه».

فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون، ثُمَّ حَمَلُوا أمتعتهم على ستمائة بعير، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً لكونهم إخوانهم، وقبض رسول الله ﷺ ما تركوه من الأموال والدروع والأسلّاح، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضة — وهي الخوذة — ، وثلاث مائة وأربعين سيفاً، فكانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ، فكان ينفق منها على أهله، ويَدَّخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب، وما فضل جعله في السلاح والكرّاع، وأرضه من أموال بني النضير بالمدينة هي أوّل أرض أفاءها الله تعالى على رسوله ﷺ، فأجلاهم عنها، وكفّ عن دمائهم، وجعل لهم ما حَمَلَتْه الإبل من أموالهم إلا الحلقة — وهي السّلاح — ، فخرجوا بما استقلّت إبلهم إلى خيبر والشام، وخلصت أرضهم كلها لرسول الله ﷺ إلا ما كان ليامين بن عمير وأبي سعد بن وهب، فإنهما أسلما قبل الظفر، فأحرزا أموالهما، ثُمَّ قسم رسول الله ﷺ ما سوى الأرضين من أموالهم على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة — سماك بن خرشة — ، فإنهما ذكرا فقراً فأعطاهما، وحبس الأرضين على نفسه، فكانت من صدقاته يضعها حيث يشاء، وينفق منها على أزواجه، ثُمَّ سلّمها عمر إلى العباس وعلي — رضوان الله عليهم — ليقوما بمصروفها<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: [الأحكام السلطانية للفراء (ص: ١٩٩ — ٢٠١)، وللماوردى ٢٩٣ — ٢٩٥].

آلت أموال بني النضير إلى النبي ﷺ بعد غزوة بني النضير، فهي مما أفاء الله على رسوله من المشركين مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت أموالهم خالصة للنبي ﷺ، وهذه بعض الآثار الواردة في ذلك:

١- أخرج الإمام البخاري حديثاً طويلاً في مخاصمة العباس وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- في ولاية أموال النبي ﷺ، ومما جاء فيه: (قال عمر رضي الله عنه: قال جل ذكره: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]، فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، ثم — والله — ما احتازها دونكم، ولا استأثرها عليكم، لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل ذلك رسول الله ﷺ في حياته... الحديث<sup>(١)</sup>.

٢- وأخرج الإمام أبو داود من حديث مالك بن أوس بن الحدثان قال: (كان فيما احتج به عمر رضي الله عنه أنه قال: كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفدك. فأما بنو النضير فكانت حبساً لنوائبه، وأما فدك فكانت حبساً لأبناء السبيل، وأما خيبر فجزأها رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاء: جزأين بين المسلمين، وجزءاً نفقة لأهله، فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين)<sup>(٢)</sup>.

٣- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث بني النضير، رقم (٤٠٣٣) وانظر: [فتح الباري (٣٣٤/٩)]، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفبيء، رقم (١٧٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال، رقم (٢٩٦٧)، وسكت عنه، وكذلك سكت عنه المنذري، وينظر: تركة النبي ﷺ، (ص: ٨٠).

(٣) تقدم تخريجه في (ص: ٢٣٠)، وينظر: [الأموال لأبي عبيد (ص: ١١)، وتركته النبي ﷺ، (ص: ٨٣)].

## أموال خيبر وفدك وقرى حول المدينة المنورة:

حصون الكتيبة والوطيح والسلام ثلاثة حصون من خيبر، وكانت خيبر ثمانية حصون: (ناعم، والقَموص<sup>(١)</sup>، وشق، والنطاة، والكتيبة، والوطيح، والسلام<sup>(٢)</sup>)، وحصن الصعب بن معاذ، وكان أول حصن فتحه رسول الله ﷺ منها ناعم...، ثُمَّ القموص، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ومن سببه اصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب — رضي الله عنها —، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وجعل عتقها صداقها. ثُمَّ حصن الصعب بن معاذ، وكان أعظم حصون خيبر، وأكثرها مالاً وطعاماً وحيواناً. ثُمَّ الشق والنطاة والكتيبة، فهذه الحصون افتتحت عنوة.

فكم كان يجني منها المصطفى ﷺ من الثمار والمال؟<sup>(٣)</sup>

---

(١) القَموص: على وزن صبور، بالصاد المهملة: جبل بخيبر كان عليه أبو الحقيق اليهودي، أو هو حصن من حصون خيبر اليهودية، حاصرهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٠٠)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٢٢٨)].

(٢) السلام: بضم أوله، لام وبعد الألف لام مكسورة، وهو حصن بخيبر، كان من أحصنها وآخرها فتحاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال له اليوم: سليم. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٠٠)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٤٢)].

(٣) أخرج الواقدي في المغازي عن الزهري، قال: (الكتيبة خمس رسول الله ﷺ، قال: فكان رسول الله ﷺ يطعم من أطعم في الكتيبة، وينفق على أهله منها). قال ابن واقد: (والثابت عندنا أنها خمس النبي ﷺ من خيبر؛ لأن رسول الله ﷺ لم يطعم من الشق والنطاة أحداً، وجعلها سهماناً للمسلمين، وكانت الكتيبة التي أطعم فيها. كانت الكتيبة تخرص ثمانية آلاف وسق تمر، فكان لليهود نصفها أربعة آلاف، وكان يزرع في الكتيبة شعير، فكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع، فكان للنبي ﷺ نصفه: ألف وخمسمائة صاع شعير، وكان يكون فيها نوى، فربما اجتمع ألف صاع فيكون لرسول الله ﷺ نصفه، فكل هذا قد أعطى منه رسول الله ﷺ المسلمين من الشعير والتمر والنوى. [مغازي الواقدي ٦٩٢/٢ — ٦٩٣].

ثُمَّ افْتَتَحَ الْوُطَيْحَ وَالسَّلَامَ، وَهِيَ آخِرُ فَتْوحٍ خَيْرٍ — صَلْحاً — بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُمْ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَمَلَكَ مِنْ هَذِهِ الْحَصُونِ الثَّمَانِيَةِ، ثَلَاثَةَ حَصُونٍ: (الْكُتَيْبَةُ، وَالْوُطَيْحُ، وَالسَّلَامُ).

أَمَّا الْوُطَيْحُ وَالسَّلَامُ: فَهُمَا مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ فَتَحَهُمَا صَلْحاً، وَصَارَتْ هَذِهِ الْحَصُونُ الثَّلَاثَةُ بِالْفِيءِ وَالْخُمْسِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَصَدَّقَ بِهَا وَكَانَتْ مِنْ صَدَقَاتِهِ<sup>(١)</sup>.

١ — أَطْنَبَ الْإِمَامُ ابْنُ شُبَّهٍ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَمْوَالِ خَيْرٍ وَقِسْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَسَأَكْتَفِي بِالشَّاهِدِ مِنْهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: (إِنْ الْمَقَاسِمُ عَلَى أَمْوَالِ خَيْرٍ عَلَى الشَّقِّ وَالنُّطَاةِ فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ الْكُتَيْبَةُ خُمْسَ اللَّهِ، وَسُهِمَ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، وَطَعِمَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَطَعِمَ رِجَالٌ مَشَوْا بَيْنَ أَهْلِ فِدْكَ بِالصَّلْحِ...، فَكَانَتْ الْكُتَيْبَةُ مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَارَتْ فِي صَدَقَاتِهِ)<sup>(٢)</sup>.

٢ — وَذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ شُبَّهٍ بِسَنَدِهِ عَنْ حَسِيلِ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ:

(بَعَثَ يَهُودَ فِدْكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْرٍ: أَعْطَانَا الْأَمَانَ مِنْكَ وَهِيَ لَكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَحِيصَةَ بْنِ حَرَامٍ ﷺ، فَقَبَضَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً.

وَصَالَحَهُ أَهْلُ الْوُطَيْحِ وَسَلَامٍ مِنْ أَهْلِ خَيْرٍ عَلَى الْوُطَيْحِ وَسَلَامٍ، وَهِيَ مِنْ أَمْوَالِ خَيْرٍ، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً، وَخَرَجَتْ الْكُتَيْبَةُ مِنَ الْخُمْسِ، وَهِيَ مِمَّا يَلِي الْوُطَيْحَ وَسَلَامٍ، فَجَعَلْتُ شَيْئاً وَاحِداً، فَكَانَتْ مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ صَدَقَاتِهِ، وَفِيمَا أَطْعَمَ أَزْوَاجَهُ).

---

(١) ينظر: [الأحكام السلطانية للفراء (ص: ١٩٩ — ٢٠١)، وللماوردي (٢٩٣ — ٢٩٥)]. زاد المعاد ٣/٣٢٣ — ٣٢٤، السيرة الحلبية ٣/٣٩، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص: ٥٠٤)، السيرة النبوية للصلاحي ٢/٤١٧ — ٤١٨، الطبقات لابن سعد ٢/١٠٦، الصراع مع اليهود لأبي فارس ٣/٩٦].

(٢) أخبار المدينة [١/١٨٧].

لما فتح النبي ﷺ خيبر جاءه أهل فذك فصالحوه — بسفارة محيصة بن مسعود — على أن له نصف أرضهم ونخلهم يعاملهم عليه، ولهم النصف الآخر، فصار النصف منها من صدقاته معاملة مع أهلها بالنصف من ثمرتها، والنصف الآخر خالصاً لهم إلى أن أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن أجلاه من أهل الذمة عن الحجاز، فقوم فذك، فدفع إليهم نصف القيمة، فبلغ ذلك ستين ألف درهم، وكان الذي قومها مالك بن التيهان، وسهل بن أبي خيثمة، وزيد بن ثابت، فصار من صدقات رسول الله ﷺ، ونصفها الآخر لكافة المسلمين، ومصرف النصفين الآن سواء — أي: في عصره —<sup>(١)</sup>.

### ومن الفياء المال الذي أتى إليه ﷺ من مال البحرين<sup>(٢)</sup>:

وتمام الحادثة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أتى النبي ﷺ بمال من البحرين، فقال: أنثروه في المسجد — وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ — فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة، ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة، جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه، إذ جاءه العباس، فقال: يا رسول الله، أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال رسول الله ﷺ: «خذ»، فحنا في ثوبه، ثم ذهب يُقله، فلم يستطع. فقال: يا رسول الله، مُر بعضهم يرفعه عليّ، فقال: لا، قال: فارفعه أنت عليّ، قال: لا، فنثر منه ثم احتمله، فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله ﷺ يُتبعه بصره حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم<sup>(٣)</sup>).

(١) ينظر: [الأحكام السلطانية للفراء (ص: ١٩٩—٢٠١)، والأحكام السلطانية للماوردي (٢٩٣—٢٩٥)].

(٢) البحرين: كان اسماً لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت هجر قصبتها، وهي الهفوف اليوم، وقد تسمى الحسا ثم أطلق على هذا الإقليم اسم الأحساء حتى نهاية العهد العثماني. وانتقل اسم البحرين إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق كانت تسمى أوال، وهي إمارة البحرين اليوم: وجل ما يحد بالبحرين في كتب السيرة، هو من شرق المملكة العربية السعودية. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٤١)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٤٤)].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب القسمة وتعليق القنو في المسجد (٤٢١) تعليقا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، لكن وصله الحاكم في المستدرک وأبو نعيم في المستخرج. قاله الحافظ في الفتح [٥١٦/١].



## النتيجة:

- (١) هذا المال مال فيء يتصرف به النبي ﷺ كيفما شاء.
- (٢) أعطى العباس ﷺ أكثر لتحقيق وعد الله تعالى له بالتعويض عن المال الذي دفعه يوم بدر لفداء نفسه، وكذلك كان النبي ﷺ يعطي المهاجرين أو الأنصار بعضهم أكثر من بعض، وهذا ما كان يفعله الصحابة فيما بعد، كعمر ﷺ.

ودليل كونه فيئاً:

ذُكِرَتْ أقوال على أنه فيء أو جزية أو خراج أو زكاة، وأدلة الفيء أقواها:

- الأول: أن البحرين فُتحت صلحاً، وكل ما صولح عليه كان فيئاً للنبي ﷺ كما هو مقرر في كتاب الأموال لأبي عبيد<sup>(١)</sup>.

- الثاني: لم يُخمس النبي ﷺ هذا المال؛ لأنه فيء، ولو كان غنيمة لفعل.

- الثالث: لم يقسم النبي ﷺ هذا المال بالسوية؛ لأنه فيء، ولو كان خراجاً أو جزية أو زكاة لفعل.

- الرابع: ما كان فيئاً للنبي ﷺ في حياته صار يوزع توزيع الخراج والجزية بعد وفاته، وأمرُ ذلك للخليفة من بعده.

- الخامس: تفضيل العباس ﷺ بزيادة المال كان لسبب مشروع، وهو أنه كان قد دفع فداء نفسه وعقيل — رضي الله عنهما — في بدر مائة وثمانين أوقية، وكانا مسلمين كتمًا إسلامهما، ولقد أنزل الله آيات تبين ذلك وتعددهم بتعويض ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومجموع ما ذكرناه من استنباطات تؤيده الأدلة التالية:

---

(١) ينظر: [الأموال لأبي عبيد ٦٦/١].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَٰعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ذكر الواقدي في مغازيه: (أن رسول الله ﷺ دعا الأنصار ليكتب لهم بالبحرين كتاباً من بعده تكون لهم خاصة دون الناس، فهي يومئذ أفضل ما فتح الله عليه من الأرض، فأبوا وقالوا: ما حاجتنا بالدنيا بعدك يا رسول الله ؟ قال: «فسترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإن موعدكم الخوض، وهو كما بين صنعاء وعمان، وآنيته أكثر من عدد النجوم»<sup>(١)</sup>.

قلت: وإشارة رسول الله ﷺ على الأنصار أن يكتب لهم كتاباً بالبحرين ثابت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه أن ذلك كان في غزوة حنين<sup>(٢)</sup>. ولفظه: «دعا رسول الله ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين، فقالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فقال: «ذلك لهم ما شاء الله»، كل ذلك يقولون له، قال: «فإنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني».

وفي لفظ: (دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها).

وفي لفظ: (دعا النبي ﷺ الأنصار ليقطع لهم بالبحرين، فقالوا: يا رسول الله، إن فعلت فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فلم يكن ذلك عند النبي ﷺ، فقال: «إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني...»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المغازي [٩٥٨/٣].

(٢) حنين: وهو المكان الذي ذكره الله تعالى في كتابه، وكانت فيه غزوة حنين. ويبعد حنين عن مكة ستة وعشرين كيلاً شرقاً، وعن حدود الحرم من على طريق نجد أحد عشر كيلاً، وهو واد يعرف اليوم بالشرائع، بل يسمى رأسه الصدر وأسفله الشرائع. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١١١)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٠٤)].

(٣) أخرجه البخاري كتاب المساقاة، باب القطائع، رقم (٢٣٧٧)، وفي كتاب الجزية، باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين...، رقم (٣١٦٣).

قال ابن حجر: (وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ بعد قسمة الغنائم بالجرّانة<sup>(١)</sup> أرسل العلاء ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى عامل البحرين يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وصالح بحوس تلك البلاد على الجزية، وكان ذلك في سنة الوفود سنة تسع من الهجرة)<sup>(٢)</sup>.

أما مقدار المبلغ: فقال العيني في عمدة القاري: (قوله: أُنِيَ النبي ﷺ بِمال من البحرين، وقد تعين المال فيما رواه ابن أبي شيبة من طريق حميد مرسلاً أنه كان مائة ألف.

وروى حميد بن هلال أن ذلك المال كان بعثه العلاء بن الحضرمي<sup>(٣)</sup> من البحرين، وكان ثمانين ألفاً.

وفي كتاب الجامع لابن يونس: وفي سنة عشر قدم بمال البحرين — وهو مائة ألف وثمانون ألف درهم — على رسول الله ﷺ، فقسّمه بين الناس). انتهى.

أقول: إن المال جاء من خلال صلح أجراه النبي ﷺ، فهو مال فيء خاص به ﷺ كما هو مقرر في أموال النبي ﷺ.

---

(١) الجرّانة: بكسر الجيم وكسر العين المهملة وتشديد الراء.. وفيها رواية أخرى وهي كسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء: الجرّانة، وهي مكان بين مكة والطائف، نزله النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين، وأحرم منها. ويقع شمال شرقي مكة في صدر وادي سرف، ولا زال الاسم معروفاً.. وقد اتخذها الناس مكاناً للإحرام بالعمرة اقتداءً باعتماد الرسول منها بعد غزوة الطائف. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٨١)، المعالم الأثيرة (ص: ٩٠)].

(٢) ينظر: [فتح الباري ٢٦٢/٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٣/١، و: ٣٥٩/٤ — ٣٦٠]، فهذا يدل على أن الكتابة للأنصار بالبحرين متأخرة عن غزوة حنين.

(٣) هو العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، من سادة المهاجرين، ولآه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين. ثمّ وليها لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: رأيت من العلاء ثلاثة أشياء، لا أزال أحبه أبداً: قطع البحر على فرسه يوم دارين. وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء، فارتووا. ونسي رجل منهم بعض متاعه فرد، فلقيه ولم يجد الماء، ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا، فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ولم نلحد له. [سير أعلام النبلاء ٢٦٢/١، البداية والنهاية ١٦٢/٦ — ١٦٣].

وقد روى البخاري في المغازي من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، وبعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إليهم، فقدم أبو عبيدة بمال.

وعند البخاري من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «لو جاء مال البحرين أعطيتك»، وفيه: (فلم يقدم مال البحرين حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم)، فهذا معارض لحديث الباب. (قلت): لا معارضة؛ لأن المراد أنه لم يقدم في السنة التي مات فيها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان مال خراج أو جزية، فكان يقدم من سنة إلى سنة.

وقال أبو عبيد البكري: لما صالح أهله — البحرين — رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم العلاء بن الحضرمي.

ذكر ما يستنبط منه من الأحكام:

- منها أن القسمة إلى الإمام على قدر اجتهاده.
- ومنها ما قاله ابن بطل<sup>(١)</sup> أن العطاء لأحد الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله في كتابه دون غيرهم؛ لأنه أعطى العباس رضي الله عنه لما شكى إليه من الغرم ولم يسوّه في القسمة مع الثمانية الأصناف، فلو قسم ذلك على التساوي لما أعطى العباس بغير مكيال ولا ميزان.
- وقال الكرمانى<sup>(٢)</sup>: لا يصح هذا الكلام؛ لأن الثمانية هي مصارف الزكاة، والزكاة حرام على العباس، بل كان هذا المال إما فيئاً أو غنيمة.

---

(١) هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل أبو الحسن، ويعرف بابن اللحام، أو ابن النحام، عالم بالحديث من أهل قرطبة، له شرح صحيح البخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). [ شذرات الذهب (٢٨٣/٣)، والأعلام للزركلي (٢٨٥/٤) ].

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى ثم البغدادي. فقيه، أصولي، محدث، مفسر. قال ابن حجي: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة، وكان مقبلاً على شأنه قانعاً باليسير ملازماً للعلم مع التواضع والبر بأهل العلم، وتوفي راجعاً من الحج في الحرم. من تصانيفه:

وكذلك ابن بطلال وَهَمَ فيما قاله، حيث جعل المال من الزكاة، وتبعه صاحب التلويح<sup>(١)</sup>.  
قلت: هذا أيضاً كلام صادر من غير تأمل؛ لأنه لا دخل للأصناف الثمانية في هذا،  
ولا كان المال من مال الزكاة<sup>(٢)</sup>.

وفي فتح الباري لابن رجب قال: (وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لم يكن له  
بيت مال يضع فيه أموال الفيء، إنما كان يضعه في المسجد ويقسمه من يومه ولا يجبسه.  
وفيه دليل على أن مال الفيء لا يخمس؛ فإنه لم يذكر فيه أنه أخرج خمس، وإنما ذكر أنه  
ما كان يرى أحداً إلا أعطاه.

وفيه: دليل على أن مال الفيء مما يعطى منه الغني والفقير؛ لأن العباس كان من أغنى  
قريش وأكثرهم مالاً، ولكنه ادعى المغرم، وقد عُرف سببه.

وقد كان العباس ﷺ عظيماً جسيماً شديد القوة، فالظاهر أنه حمل مالاً كثيراً، ولم  
يمنعه النبي ﷺ، فدلّ على جواز قسمة الفيء بين أهله على غير التسوية<sup>(٣)</sup>.

أما تعجيل قسم النبي ﷺ ما أتاه من الفيء في يومه: فقد روى أبو داود — رحمه الله  
تعالى — عن عوف بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه<sup>(٤)</sup>.

---

(الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، وضمائر القرآن، والنقود والردود في الأصول، وشرح  
مختصر ابن الحاجب). [الدرر الكامنة ٤/٣١٠، ومعجم المؤلفين ١٢/١٢٩، والأعلام ٨/٢٧].

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين. نسبته إلى (تفتازان) من بلاد خراسان. فقيه  
وأصولي. قيل: هو حنفي، وقيل: شافعي. كان أيضاً مفسراً ومتكلماً ومحدثاً وأديباً. من تصانيفه: (التلويح  
في كشف حقائق التنقيح) وحاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب. [الدرر الكامنة ٤/٣٥٠،  
والفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢/٢٠٦، ومعجم المؤلفين ١٢/٢٢٨].

(٢) عمدة القاري [٤/١٦٠].

(٣) فتح الباري لابن رجب [٣/١٧٨].

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في قسم الفيء، رقم (٢٩٥٣)، وأخرجه الإمام  
أحمد في مسنده من حديث عوف بن مالك ﷺ، رقم (٢٢٨٧٨).

وروى البخاري — رحمه الله تعالى — عن أنس رضي الله عنه قال: (أتى النبي ﷺ بمال من البحرين، فقال: «انثروه في المسجد»، وكان أكثر مالٍ أتى به رسول الله ﷺ)<sup>(١)</sup>.

**ما مصير الفيء بعد وفاة النبي ﷺ؟**

**الجواب:**

لما كان الفيء خاصاً برسول الله ﷺ أي يعطى له بسبب الصلح الذي يجري من دون حرب فقد انتهى العمل به بموته ﷺ، وبقي لفظ الفيء قائماً على المعنى الأصلي، وهو كل ما غنمه المسلمون من دون حرب، وذلك للتفريق بينه وبين الغنائم التي تخمس، وضمت الجزية والخراج إلى الفيء.

وجاء في فتح الباري: (اختلف العلماء في مصرف الفيء:

فقال مالك: الفيء والخمس سواء، يجعلان في بيت المال، ويعطي الإمام أقارب النبي ﷺ بحسب اجتهاده.

وفرق الجمهور بين خمس الغنيمة وبين الفيء، فقال: الخمس موضوع فيما عينه الله فيه من الأصناف المسميين في آية الخمس من سورة الأنفال لا يتعدى به إلى غيرهم، وأما الفيء: فهو الذي يرجع النظر في مصرفه إلى رأي الإمام بحسب المصلحة. وانفرد الشافعي — كما قال ابن المنذر وغيره — بأن الفيء يخمس، وأن أربعة أخماسه للنبي ﷺ، وله خمس الخمس كما في الغنيمة، وأربعة أخماس الخمس لمستحق نظيرها من الغنيمة.

وقال الجمهور: مصرف الفيء كله إلى رسول الله ﷺ واحتجوا بقول عمر رضي الله عنه، فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، وتأول الشافعي قول عمر رضي الله عنه المذكور بأنه يريد الأخماس الأربعة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أبواب المساجد، باب القسمة، رقم (٤١١).

(٢) فتح الباري: [٢٠٨/٦].

وفي كتاب الأموال لابن زنجويه: (عن ابن راشد، قال: كتب عمر بن عبد العزيز بذلك إلى أمراء الأجناد، أن سبيل الخمس سبيل عامة الفيء)<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام: (صارت الأموال بعده ﷺ على ثلاثة أصناف: الفيء، والخمس، والصدقة، وهي التي نزل بها الكتاب، وجرت بها السنة، وعملت بها الأئمة، وإياها تأول عمر بن الخطاب ﷺ حين ذكر الأموال)<sup>(٢)</sup>.

خاتمة:

إن تنوع مصادر المال من الفيء والغنائم والأنفال تؤكد عناية الله عز وجل بهذا النبي الكريم ﷺ لإثبات أن يده كانت العليا وهي المعطية.

\* \* \*

---

(١) الأموال لابن زنجويه [٩/٣].

(٢) الأموال لابن زنجويه [٨٤/١]، الأموال لأبي عبيد [٣٦/١].

من فيئه ﷺ		
أموال بني النضير بالمدينة المنورة	أموال خيبر وفدك وقرى حول المدينة المنورة	المال الذي أتى إليه من مال البحرين
<p>قبض رسول الله ﷺ ما تركوه من الأموال والدروع والسلاح، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضة — وهي الخوذة — ، وثلاث مائة وأربعين سيفاً.</p>	<p>ثلاثة حصون: الوطيح والكتيبة والسلام. كان من الكتيبة وحدها أربعة آلاف وسق تمر، استناداً إلى قول الواقدي في المغازي: (كانت الكتيبة تحرص ثمانية آلاف وسق تمر)، وللنبي ﷺ نصفها.</p> <p>أما فدك فكان له نصف أرضهم ونخلهم، وكان يقدر بـ (٦٠٠٠٠) درهم، نظراً لما دفعه عمر رضي الله عنه ثمن النصف الآخر.</p>	<p>وهو مائة ألف وثمانون ألف درهم كما ذكر في عمدة القاري.</p>

\* \* \*



## المطلب السادس :

### الصَّفِيَّ (صفيه قبل الغنائم، ومنه بعض نسائه)

معنى الصَّفِيَّ<sup>(١)</sup>:

ومعنى الصَّفِيَّ أَنَّهُ كَانَ ﷺ يصطفي لنفسه شيئاً قبل القسمة<sup>(٢)</sup> من سيفٍ أو درعٍ أو جاريةٍ ونحو ذلك، وقد كان هذا لوليّ الجيش في الجاهليّة مع حظوظٍ آخر<sup>(٣)</sup>. وفيه يقول القائل:

---

(١) يوّب الإمام أبو داود السجستاني — رحمه الله تعالى — : (باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال)، يريد أبو داود — رحمه الله — من هذه الترجمة ما اصطفاها رسول الله ﷺ وأبقاه دون أن يقسم من الأموال، وذلك في الأموال الثابتة التي يستفاد من ريعها مع بقاء أصلها، وهي الأراضي. وكل ما أورده أبو داود هنا يتعلق بشيء ثابت، وقوله: (من الأموال)، يريد به هذا المعنى، وهناك اصطفاء في غير الأموال بغير هذا المعنى، وهو الاصطفاء في السّي، كما حصل لصفية — رضي الله تعالى عنها — حيث اصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، ولكن الترجمة هنا يراد بها ما يتعلق بالأموال، والمقصود من ذلك أن الرسول ﷺ أبقاه دون أن يُقسَم ودون أن يُباع، وإنما يستفاد من ثمنه مع بقاء أصله، بحيث يستفاد من غلته ومن ثمرته، وليس معنى ذلك أنه خاص بالرسول ﷺ، وأنّه بمثابة المال الذي يملكه، فإن المقصود من ذلك أنه أبقاه لينفق على نفسه منه وعلى أهل بيته، وما يبقى يكون في مصالح المسلمين، والمقصود بكونه من الصفايا أَنَّهُ بقي واستُفيد منه بصفة مستمرة، ولم يقسَم ويوزَّع بين الناس، ولم يبع ويتصرّف في قيمته، وإنما بقيت أصوله ويستفاد من غلته وثمرته على مرّ السنين.

[عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ)، ١٢٥/٨].

(٢) نصب الراية [٤٢٦/٣]، تبين الحقائق [٢٥٧/٣].

(٣) ينظر: [لسان العرب، مادة (صفا) ٣٧٠/٦، المغرب في ترتيب المعرب ٤٧٦/١ — ٤٧٧، المعجم الوسيط (ص: ٥١٨)، الهداية ٤٢٣/٢، شرح فتح القدير ٥٠٧/٥ — ٥٠٨، المبسوط ٩/١٠].

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول<sup>(١)</sup>.

كان لرسول الله ﷺ ثلاثة حظوظ من الغنائم: الصفي، وخمس الخمس، وسهم كسهم أحد الغانمين. ومما يدل على ذلك:

١ — حديث أبي داود: (أنه ﷺ كتب إلى بني زهير بن قيس: «إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم، وسهم رسول الله ﷺ، وسهم الصفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>).

وكان لرسول الله ﷺ سهم كسهم الغانمين حضر أو غاب، وسهم الصفي يصطفي سيفاً أو سهماً أو خادماً أو دابة، وكانت صفية بنت حيي — رضي الله عنها — من الصفي من غنائم خيبر، وكذلك ذو الفقار كان من الصفي، وقد انقطع بموته، إلا عند أبي ثور<sup>(٣)</sup> فإنه رآه باقياً للإمام، يجعله مجعل سهم النبي ﷺ، وكانت الحكمة في ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يرون للرئيس ربع الغنيمة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) كانت الغنيمة في الجاهلية تقسم أرباعاً، فيكون للرئيس الربع، وقد ردها الإسلام خمساً، وإنما سمي الصفي صفية، لأنها صفاها رسول الله ﷺ لنفسه، والحكم: ما يحكم به الرئيس عليهم في الغنيمة فيأخذها، النشيطه في الغنيمة: ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم، الفضول: ما فضل من الغنيمة بعد القسمة، فالمرباع: ربع الغنيمة. الصفي: ما يصطفي للرئيس، وكان هذا في الجاهلية فنسخ المربع بالخمس وبقي أمر الصفي. ينظر: [السيرة الحلبية ٣٧٤/٢، معجم لغة الفقهاء (ص: ٢٩)].

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة، باب ما جاء في سهم الصفي (٢٩٩٩)، قال في عون المعبود [١٥٦/٨]: (قال المنذري: ورواه بعضهم عن يزيد بن عبد الله، وفي نيل الأوطار: ورجاله رجال الصحيح).

(٣) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان (١٧٠ - ٢٤٠ هـ) و (أبو ثور) لقبه. أصله من بني كلب. من أهل بغداد. فقيه من أصحاب الإمام الشافعي. قال ابن حبان (كان حسن الطريقة فيما روى من الأثر إلا أن له شذوذاً فارق فيه الجمهور)، له كتب منها: كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي. [تهذيب ١/ ١١٨، وتذكرة الحفاظ ٢ / ٨٧].

(٤) ينظر: [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/٨)، أحكام القرآن للجصاص ٣١٤/٥، شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط — محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: ٢، دمشق —

قال ابن عطية في تفسيره: (وكان رسول الله ﷺ مخصصاً من الغنيمة بثلاثة أشياء: كان له خمس الخمس، وكان له سهم في سائر الأربعة الأخماس، وكان له صفّي يأخذه قبل القسمة دابة أو سيف أو جارية، ولا صفّي لأحد بعده بإجماع إلا ما قال أبو ثور من أن الصفّي باقٍ للإمام، وهو قول معدود في شواذ الأقوال)<sup>(١)</sup>.

قال في عون المعبود<sup>(٢)</sup>: (الصفّي ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، والصفية مثله، وجمعه الصفايا، قال الطيبي<sup>(٣)</sup>: الصفّي مخصوص به، وليس لواحد من الأئمة بعده. وفي الهداية: الصفّي شيء كان ﷺ يصطفيه لنفسه من الغنيمة مثل درع أو سيف أو جارية، وسقط بموته؛ لأنّه ﷺ كان يستحقه برسالته، ولا رسول بعده، قال العيني: ولهذا لم يأخذه الخلفاء الراشدون)<sup>(٤)</sup>.

والذي كان يأخذه ﷺ زيادة على سهمه، أي: قبل قسمة الغنيمة إذا كان مع الجيش يقال له: الصفّي والصفية عبداً أو أمة أو دابة أو سيفاً أو درعاً، لكن في الإمتاع<sup>(٥)</sup>

---

بيروت، (١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م) ٥٣/١٤، أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا [٣٩٣/١].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان (١٤١٣هـ — ١٩٩٣م)، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد [٥٣٠/٢].

(٢) عون المعبود [١٢٨/٨].

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين، الطيبي. من علماء الحديث والتفسير والبيان. قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن. وكان ذا ثروة من الإرث والتجارة فلم يزل يتفقه في وجوه في الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً. وكان شديد الرد على المبتدعة والفلاسفة. من تصانيفه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في أصول الحديث، وشرح مشكاة المصابيح، والكاشف عن حقائق السنن النبوية. [شذرات الذهب ١٣٦/٦، والدرر الكامنة ٦٨/٢، ومعجم المؤلفين ٥٣/٤].

(٤) عون المعبود ١٢٨/٨. وينظر: الهداية للمرغيناني [٤٢٣/٢].

(٥) لم أجد ذلك في الإمتاع، ولعله عزاه بمعناه.

عن مُحَمَّد بن أبي بكر الصّديق — رضي الله عنهما — (كان لرسول الله ﷺ صفي من المغنم حضر أو غاب)، قال بعضهم: وهو محسوب من سهمه، وقيل: يكون زائداً عليه<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عزل الصفي لرسول الله ﷺ ما جاء في الرحيق المختوم للمباركفوري حيث قال: (سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى صنم لطّيّ — يقال له: الفُلس — ليهدمه في شهر ربيع الأول سنة تسع للهجرة، بعثه رسول الله ﷺ في خمسين ومائة، على مائة بغير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموه، وملؤوا أيديهم من السّي والنّعم والشّاء، وفي السّي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشّام، ووجد المسلمون في خزانة الفلس ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع، وفي الطريق قسموا الغنائم، وعزلوا الصفي لرسول الله ﷺ، ولم يقسموا آل حاتم)<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت بعض نساءه ﷺ من الصفي، فقد أخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق قال: (حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن النبي ﷺ اصطفى لنفسه من نساء بني قريظة ريحانة بنت عمرو)<sup>(٣)</sup>.

جاء في عيون الأثر: (ثمّ بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري — أخا بني عبد الأشهل — بسبايا من بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بهن خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه منهم ريحانه بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر: السيرة الحلبية [٣٧٤/٢].

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٢٢١).

(٣) الخصائص الكبرى (ص: ٣٩٣).

(٤) ينظر: [عيون الأثر في فنون المغازي والشمال ٤٩٦/٢، الطبقات الكبرى ١٢٩/٨، الإصابة ٨٨/٨].

وقال صاحب الروض الأنف: (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِم رِيحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ، فَكَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُؤْفَى عَنْهَا وَهِيَ فِي مُلْكِهِ) <sup>(١)</sup>.

ولعل دليل الصّفي هو أن الصّفي من الفيء، وللنبي ﷺ أخذ ما يريد، ومشروعيته من هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وحيث إن الفيء حق للنبي ﷺ يتصرف فيه كما يشاء فهو يصطفي ما يشاء وينفق ما يشاء، ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) ينظر: [الروض الأنف: ٤٥١/١]، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء: [١١٩/٢].

## كيف نفهم إباحة الصَّفي وتَحريم الغلول؟

والجواب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]، هذه الآية دليل أن ما كان يأخذه النبي ﷺ كصفيٍّ ليس بغلول بنص القرآن.

قال ابن العربي في أحكام القرآن: (ما كان لنبيٍّ أن يخون في مغنمٍ، فإنَّه ليس بمتَّهمٍ، ولا في وحيٍّ، فإنَّه ليس بظنين ولا ضنين، أي: ليس بمتَّهمٍ عليه ولا بخيلٍ فيه، فإنَّه إذا كان أميناً حريصاً على المؤمنين فكيف يخون، وهو يأخذ ما أحبَّ من رأس الغنيمة ويكون له فيه سهم الصَّفي؟! إذا كان له أن يصطفي من رأس الغنيمة ما أراد، ثُمَّ يأخذ الخمس وتكون القسمة بعد ذلك؟ فما كان ليفعل ذلك كرامة أخلاقٍ وطهارة أعراقٍ، فكيف مع مرتبة النبوة وعصمة الرسالة<sup>(١)</sup>).

قلت: وإنما يتصور ذلك في غير النبي ﷺ: أما النبي ﷺ فإنَّ أحدَ خانه يطلعه الله سبحانه عليه، وهذا أقوى وجوه هذه الآية، فقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنهما — قال: (كان على ثقل النبي ﷺ رجلٌ يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار»، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلَّها)<sup>(٢)</sup>. إذاً: فالصفي خاصة من خصائصه ﷺ، لذلك فهم الفقهاء ذلك، وقد أباح لرسول الله ﷺ خمس الغنيمة وإن لم يحضر الواقعة، لقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وأباح له الصَّفي من المغنم، وهو ما يختاره قبل القسمة من الغنيمة، كسيفٍ ودرعٍ ونحوهما، ومنه صفة أم المؤمنين التي اصطفاها من المغنم لنفسه<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

---

(١) أحكام القرآن: [٣٠٠/١].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب القليل من الغلول، رقم (٣٠٧٤).

(٣) ينظر: [أروضة الطالبين ٧ / ٧، وكشاف القناع ٥ / ٢٧، والزرقي ١٦٠ / ٢].

## المطلب السابع:

### الهدايا من الملوك والصحابة وغيرهم

تمهيد:

الهدية مصدر من مصادر الدخل، وهي إما حَبًّا من المُهْدِي للمُهْدَى إليه، وإما لغايةٍ من الغايات النبيلة أو غير النبيلة! ولكنها عند رسول الله ﷺ لا تقبل إلا بشروط خاصة<sup>(١)</sup>، مع الإصرار على ردّها بأحسن منها<sup>(٢)</sup>؛ لأن النبي ﷺ لا يقبل منّة أحد عليه، وهو الذي أعلن

---

(١) وهي: أن لا تكون من مشرك حربي، ولا من الصدقات، وأن تكون من قبائل محددة، لقوله ﷺ: «لقد هممت أن لا أقب هبة إلا من أنصاري أو قرشي أو ثقيفي». [أخبار المدينة: ٥٠١/٢]، والحديث عند أحمد [٢٩٥/١]، والطبراني في الكبير [١٨/١١]، قال الهيثمي في المجمع [١٤٨/٤]: (رواه أحمد، والبخاري، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح).

(٢) في القرآن: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وفي تفسير هذه الآية اثنتا عشرة مسألة، منها: ما قاله أصحاب أبي حنيفة: التحية هنا الهدية، لقوله تعالى: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾، ولا يمكن رد السلام بعينه. وظاهر الكلام يقتضي أداء التحية بعينها وهي الهدية، فأمر بالتعويض إن قبل أو الرد بعينه، وهذا لا يمكن في السلام. اهـ.

قال ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعي مال أحد قط ما نفعي مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من الناس لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله» [أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب: باب، رقم (٣٦٦١)، وقال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه)]. ينظر: الجامع لأحكام القرآن [٢٧٨/٥].

القرآن أن الله لم يرسله ليعيش على موائد أتباعه<sup>(١)</sup>! لذلك سنبيّن القواعد النبوية في قبول الهدية كما يلي:

١- قبل النبي ﷺ الهدايا من صحابته في ظروف متنوعة ولغايات مختلفة، ولكن ما من صحابي إلا وردَّ له النبي ﷺ هديته بأحسن منها:

مادياً: إما عطاءً مالياً، أو أقطعه أرضاً، أو خدماً، أو إبلاً... إلخ.

أو معنوياً: برفع منزلته، أو الثناء عليه، وأجلُّها أن يدعو له بخير... إلخ.

٢- قبل النبي ﷺ الهدية من غير الصحابة من الملوك وبعض المشركين، وذلك لمقاصد شرعية لا شخصية، وسرعان ما ردَّ هذه الهدايا بأحسن منها.

**دفع إشكالية آية:**

أمر الله تعالى المؤمنين بتقديم المال قبل مناجاة النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، فهل تمَّ ذلك؟

---

وفي الحديث قال ﷺ: «... ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتَّى تروا أنكم قد كافأتموه». [أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل، رقم (١٦٧٢) وسكت عنه، والنسائي في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل، رقم (٢٥٦٧)]. وأخرج البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب المكافأة في الهبة، رقم (٢٤٤٥) من حديث عائشة — رضي الله عنها — قالت: (كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها).

(١) ذكر القرآن أن الأنبياء جميعاً لم يسألوا الأجر من أتباعهم، ومنهم نبينا ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦]، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس — رضي الله عنهما — في هذه الآية قال: (قل — يا محمد —: ما أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر عرض من الدنيا). وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت: ٩١١هـ) [٢٩٦/١١]، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر — مصر، سنة النشر: (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م).



الجواب: أن هذه الآية منسوخة:

جاء في بيان الناسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وبقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾.

قلت: والآية لا تشير إلى أن الصدقة لرسول الله ﷺ، بل هي للفقراء؛ لأن الصدقة لا تحل له ﷺ ابتداءً.

﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾، أي: قدموا قبل المناجاة صدقة للفقراء، قال البيضاوي: (وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ﷺ، وانتفاع الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والميز بين المخلص والمنافق، ومحب الآخرة ومحب الدنيا، واختلف في أنه للندب أو للوجوب، لكنه منسوخ بقوله: ﴿أَشْفَقْتُمْ...﴾، وهو إن اتصل به تلاوة، لم يتصل به نزولاً<sup>(١)</sup>).

### تعريف الهدية لغة واصطلاحاً:

#### — تعريفها لغة:

قال الفيومي في المصباح المنير: (هَدَيْتُ العروسَ إلى بعلها هِداءً — بالكسر والمدّ — فهي هَدِيٌّ وهَدِيَّةٌ، ويُبنى للمفعول فيقال: هُدَيْتُ فهي مَهْدِيَّةٌ، وأهديتها بالألف لغة قَيْسَ عَيْلانَ، فهي: مُهداة... وأهديت للرجل: بعثت به إليه إكراماً، فهو هَدِيَّةٌ بالثقل لا غير)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي لأبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، (ت: ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (١٩٩٩م — ١٤٢٠هـ) [٤٧٦/٢]، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي [١٩٨/٩]. وينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر — دمشق، الطبعة: الثانية، (١٤١٨هـ) [٤٤/٢٨].

(٢) المصباح المنير، مادة (هدي).

## – تعريفها اصطلاحاً:

هي تَمْلِكٌ في الحياة بغير عوض<sup>(١)</sup>. وقال في المجموع شرح المذهب: (والهبة، والعطية، والهدية، والصدقة، معانيها متقاربة، وكلها تَمْلِكُ في الحياة بغير عوض، واسم العطية شامل لجميعها وكذلك الهبة، والصدقة والهدية متغايران، فإن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة)<sup>(٢)</sup>.

## أصل الهدية في الشرع، وحكمها:

### – أصلها في الشرع:

ورد ذكر الهدية في القرآن الكريم في سورة النمل من خلال عرض قصة سليمان — عليه السلام — مع ملكة سبأ بلقيس، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]. وقد امتنع سليمان — عليه السلام — من قبولها وأمر بردها؛ لأنه شعر بأن ملكة سبأ بعثت بهديتها إغراءً له كيما ينصرف عنها وعن قومها.

قال الله تعالى على لسان سليمان — عليه السلام — : ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

والظاهر أن سليمان — عليه الصلاة والسلام — كان سيقبل الهدية لو كانت خالية عن المساومة والابتزاز، قال القرطبي في تفسيره: (كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويشب عليها، وكذلك كان سليمان وسائر الأنبياء — عليهم السلام —)<sup>(٣)</sup>، وأما السنة فقد تواترت النصوص الكثيرة التي ذكرت فيها الهدية، ومن ذلك:

---

(١) المغني [٢٣٩/٨].

(٢) المجموع شرح المذهب [٣٧٠/١٥].

(٣) تفسير القرطبي [١٣٢/١٣].

- ١ — حديث أنس رضي الله عنه في الصحيح: (أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَاةً مَسْمُومَةً) <sup>(١)</sup>.
- ٢ — وحديث عائشة — رضي الله عنها — في الصحيح كذلك: (أَنَّ بَرِيرَةَ أَهَدَتْ لِحَمًا لِعَائِشَةَ — رضي الله عنها —) <sup>(٢)</sup>.
- ٣ — وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارِينَ، فإِلَى أَيِّهِمَا أَهْدِي؟ قال: «أَقْرَبُهُمَا أَبَا» <sup>(٣)</sup>).

### حكم الهدية:

الهدية مستحبة عند أهل العلم كما ذكر ابن قدامة في المغني <sup>(٤)</sup>.  
ويدلُّ على الاستحباب قوله ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُوا» <sup>(٥)</sup>، فهي جالبة للمحبة، ومُشِيعَة للود والسرور بين المتهادين.

### الهباتُ والهدايا التي أعطيت للنبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يرشدُ أصحابه إلى التهادي <sup>(٦)</sup>، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ <sup>(٧)</sup> شَاةً» <sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، رقم (٢٦١٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب السُّم، رقم (٢١٩٠).
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب إذا تحولت الصدقة، رقم (١٤٩٥)، ومسلم في كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم (١٥٠٤).
- (٣) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة، باب عرض الشفعة على صاحبها، رقم (٢٢٥٩).
- (٤) المغني [٢٣٩/٨].
- (٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، رقم (١٦١٥)، و البيهقي في السنن الكبرى، رقم (١٢٢٩٧)، والبخاري في الأدب المفرد [٢٠٨/١]، رقم (٥٩٤)، وأبو يعلى بإسنادٍ حَسَنٍ [٩/١١]، رقم (٦١٤٨).
- (٦) التهادي: هو أن يُهديَ الناس بعضهم بعضاً. [مختار الصحاح للرازي: ٢٨٨/١].
- (٧) الفرسن: عَظْمٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ، وهو خُفُّ البَعِيرِ، كالحافر للذابة. [النهاية في غريب الحديث ٤٢٩/٣].
- (٨) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، رقم (٢٥٦٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (٢٤٢٦).

وقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دُعِيتَ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ<sup>(١)</sup> لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: (أَنْفَجْنَا<sup>(٣)</sup> أَرْبَاباً بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَسَعَى الْقَوْمُ فَلَعِبُوا<sup>(٤)</sup>)، فَأَدْرَكْتُهَا فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ، فَذَبَحَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِوَرِكَيْهَا أَوْ فَخِذَيْهَا، فَقَبِلَهَا، قُلْتُ: وَأَكَلَ مِنْهُ...<sup>(٥)</sup>.

وعن الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَاراً وَحَشِيّاً وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ<sup>(٦)</sup> أَوْ بَوْدَانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ»<sup>(٧)</sup>.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما — قال: (أَهْدَتْ أُمُّ حَفِيدٍ — خَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ — إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْطاً وَسَمْنًا وَأَضْبًا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَقْطِ وَالسَّمَنِ، وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقْدُراً. قَالَ

---

(١) معنى الكراع هنا: هو مُسْتَدَقُّ السَّاقِ الْعَارِي مِنَ اللَّحْمِ، وَالْجَمْعُ: أَكْرَعُ ثُمَّ أَكَارِعُ، وَفِي الْمَثَلِ: أُعْطِيَ الْعَبْدُ كُرَاعاً فَطَلَبَ ذِرَاعاً؛ لِأَنَّ الذِّرَاعَ فِي الْيَدِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكُرَاعِ فِي الرَّجْلِ. [اللسان: ٣٠٧/٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب القليل من الهبة، رقم (٢٥٦٨).

(٣) أي: أثرتنا الأرنب فوثبت. [هدي الساري للحافظ ابن حجر: (ص: ٣١٣)].

(٤) أي: تعبوا. [هدي الساري للحافظ ابن حجر: (ص: ٢٨٩)].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب قبول هدية الصيد، رقم (٢٥٧٢)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، رقم (٥١٦٠).

(٦) الْأَبْوَاءُ: وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ، بِهِ آبَارٌ كَثِيرَةٌ وَمَزَارِعٌ عَامِرَةٌ، وَالْمَكَانُ الْمَزْرُوعُ مِنْهُ يُسَمَّى الْيَوْمَ الْخُرَيْيَّةَ تَصْغِيرَ الْخُرْبَةِ. وَيَبْعُدُ الْمَكَانُ الْمَزْرُوعُ عَنْ بَلَدَةِ مَسْتَوْرَةٍ شَرْقاً ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ كَيْلًا، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَ الْأَبْوَاءِ وَرَابِعٍ (٤٣) كَيْلًا. وَيُقَالُ: إِنَّ بِالْأَبْوَاءِ قَبْرَ أَمَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَأَوَّلُ الْغَزَوَاتِ كَانَتْ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ الرَّسُولِ ﷺ الْمَدِينَةَ، يُرِيدُ بَنِي ضَمْرَةَ وَبَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ابْنِ كِنَانَةَ. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣٢)، المعالم الأثرية في السنة والسير (ص: ١٧)].

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية، رقم (٢٥٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، رقم (١١٩٣).

ابن عباس: فأكل على مائدة رسول الله ﷺ، ولو كان حراماً ما أكل على مائدة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحاديث دلّت على أنّ النبي ﷺ كان يُعطى كثيراً من الهدايا والهبات، حتّى اعتبرناها أحد مصادر الدخل لديه، بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

وقال القرطبي: (الهدية مندوب إليها، وهي ممّا تورث المودة وتذهب العداوة)، وقال: (ومن فضل الهدية مع اتباع السنّة أنّها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس)<sup>(٢)</sup>.

وقال في المجموع شرح المذهب: (الهبة مندوب إليها لما روت عائشة — رضي الله عنها — أنّ النبي ﷺ قال: «تَهَادُوا تَحَابُوا»)<sup>(٣)</sup>.

### حكم قبول هدية الكافر:

اختلف أهل العلم في حكم قبول المسلم هدية الكافر على قولين:

— القول الأول: جواز قبول هدية الكافر، واستدلوا بأدلة كثيرة، منها:  
(١) حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه: (أنّ يهودية أهدت رسول الله ﷺ شاة مسمومة)<sup>(٤)</sup>.

(٢) وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي حميد: (وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا..)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية، رقم (٢٥٧٥)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب، رقم (١٩٤٧).

(٢) تفسير القرطبي [١٣٢/١٣].

(٣) المجموع شرح المذهب [٣٦٧/١٥].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إذا وادع الإمام ملك القرية، رقم (٢٩٩٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، رقم (١٣٩٢).

٣) وأخرج البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر — رضي الله عنهما —: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟» فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ بَغْمٌ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبِيعْ أَمْ عَطِيَّةٌ؟»، أَوْ قَالَ: «أَمْ هِبَةٌ؟» قَالَ: لَا، بَلْ يَبِيعُ... الحديث<sup>(١)</sup>).

وجه الدلالة:

قوله: «أَبِيعْ أَمْ عَطِيَّةٌ؟» وفي اللفظ الآخر «أَمْ هِبَةٌ؟».

وهذا يدل على جواز قبول الهدية من المشرك؛ لأنها بمثابة الهبة والعطية.

قال ابن القيم: (وأهدى المقوقس — ملك الإسكندرية — للنبي ﷺ مارية — رضي الله عنها — وأختيها سيرين وقيسرى، فتسرى مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وأهدى له جارية أخرى وألف مثقال ذهباً وغيرها)<sup>(٢)</sup>.

— القول الثاني: عدم جواز قبول هدية الكافر:

واستدل هؤلاء بحديث عياض بن حمار رضي الله عنه أنه أهدى للنبي ﷺ هدية أو ناقة، فقال النبي ﷺ «أَسْلَمْتَ؟» قال: لا. قال: «إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(٣)</sup>.

إِذَا، أُبِيحَتْ لَهُ ﷺ الْهَدِيَّةُ، فَقَدْ قَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي شَرْحِ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ: (إِذَا أُهْدِيَتْ لَهُ فِي بَيْتِهِ لَا فِي الْغَزْوِ، وَنَصُّهُ: أَمْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ مِنْهَا الصَّفِيُّ وَالْهَدِيَّةُ تُهْدَى إِلَيْهِ فِي بَيْتِهِ لَا فِي الْغَزْوِ مِنْ بِلَادِ الْحَرْبِ وَمِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه في ص ١٧٢.

(٢) زاد المعاد [١٢٢/١] مختصراً.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين، رقم (٣٠٥٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب السير، باب في كراهية هدايا المشركين (١٥٧٧) وقال: (حسن صحيح).

(٤) أحكام القرآن للشافعي (ص: ١٣٨).

## الهدايا التي أهديت للنبي ﷺ؟

### • أموال مخيريق<sup>(١)</sup> اليهودي بالمدينة المنورة:

وهي أول أرض ملكها رسول الله ﷺ — وصية مخيريق اليهودي — من أموال بني النضير، حكى الواقدي أن مخيريق اليهودي كان حبراً من علماء اليهود، آمن برسول الله ﷺ يوم أحد، وكانت له سبعة حوائط هي: (الميثب)<sup>(٢)</sup>، والصافية، والدلال، وحسن، وبرقة، والأعواف، والمشرية)، فوصى بها لرسول الله ﷺ وقاتل معه بأحد حتى قتل<sup>(٣)</sup>.

• ذكر الخصاف<sup>(٤)</sup> بسنده إلى كعب بن مالك قال: (قتل مخيريق يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجر النبي ﷺ، وأوصى: إن أصيب فأمواله لرسول الله ﷺ، فقبضها رسول الله ﷺ وتصدق بها)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) مخيريق النضري الإسرائيلي، ذكر الواقدي وغيره أنه أسلم واستشهد في أحد، وقال الواقدي والبلاذري أنه من بني فيقاع من بني القيطون، كان عالماً، أوصى بأمواله للنبي ﷺ بعد موته يفعل بها ما شاء، وقال غيرهما: لم يسلم. قال أكرم العمري: (لعل ترجمة الحافظ له في الإصابة... وقبول النبي ﷺ أمواله ما يقر لرأي من ذكر أنه أسلم). [تركة النبي ﷺ (ص: ٧٨)، الإصابة ١٥١/٩، أخبار المدينة لابن شبة ١٧٣/١].

(٢) الميثب: بالكسر ثم السكون وفتح المثلثة وباء موحدة: وهي الأرض السهلة، أو الجدول: و «مال بالمدينة إحدى صدقات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أوصى بها مخيريق للنبي، وأسماء هذه الصدقات: برقة، وميثب، والصافية، وأعواف، وحسن، والدلال، ومشرية أم إبراهيم. [المعالم الأثيرة (ص: ٢٨٣)].

(٣) ينظر: [الروض الأنف ٣٧٥/٢، الأحكام السلطانية للفراء (ص: ١٩٩)، وللماوردي (٢٩٣ — ٢٩٥)].

(٤) الخصاف هو أحمد بن عمرو، (وقيل عمر) بن مهير (وقيل مهران) الشيباني، أبو بكر المعروف بالخصاف. فقيه حنفي إمام. من أهل بغداد روى الحديث. كان فاضلاً حاسباً عارفاً بمذهب أصحابه. وكان مقدماً عند المهدي بالله وصنف للمهدي كتاباً في الخراج. كان زاهداً يأكل من عمل يده. قال شمس الأئمة الحلواني: الخصاف رجل كبير في العلم يصح الاقتداء به. من مصنفاته (الأوقاف)، و(الحيل)، و(الشروط)، و(الوصايا)، و(أدب القاضي)، و(كتاب العصور). [الجواهر

المضية ٨٧/١ — ٨٨؛ وتاج التراجم (ص ٧)].

(٥) أحكام الأوقاف (ص: ١).

● قال الخصاف: حدثني محمد بن بشر بن حميد عن أبيه قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول في خلافته بخُناصرة<sup>(١)</sup>: (سمعت بالمدينة — والناس يومئذ كثير — من مشيخة من المهاجرين والأنصار أن حوائط رسول الله ﷺ السبعة التي وقف من أموال مخيريق، وقال: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله، وقد قتل يوم أحد، قال رسول الله: «مخيريق خير يهود».

ثم دعا لنا بتمر، فأتي به — تمر في طبق —، فقال: كتب إلي أبو بكر بن حزم يخبرني أن هذا التمر من العذق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، فاقسمه بيننا، فقسمه، فأصاب كل واحد منا تسع تمرات. قال: عمر بن عبد العزيز ﷺ: (وقد دخلتها إذ كنت والياً بالمدينة، وأكلتُ من هذه النخلة، ولم أر مثلاً من التمر أطيب ولا أعذب)<sup>(٢)</sup>.

● وذكر الخصاف: بسنده عن أبي بن كعب القرظي قال: (كانت الحبس على عهد رسول الله ﷺ سبعة حوائط بالمدينة، الأعواف<sup>(٣)</sup>، والصّافية، والدلال، والمثيب، وبرقة، وحسن، ومشربة أم إبراهيم)<sup>(٤)</sup>، وقال ابن كعب: (وقد حبس المسلمون بعده على أولادهم، وأولاد أولادهم، وروى قوم آخر: أن صدقات رسول الله ﷺ الموقوفة كانت من أموال بني النضير)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) خُناصرة: بضم أوله، وبالصاد المهملة، والراء المهملة: موضع في بلاد الشام، وقال ياقوت: بُليدة من أعمال حلب تُحاذي قنسرين نحو البادية. [معجم البلدان ٣٩٠/٢، وينظر: ابن خلكان في ضبطها وتحديد موقعها ٣١٢/٦].

(٢) أحكام الأوقاف (ص: ٢).

(٣) الأعواف: إحدى صدقات النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، التي جاءته من أموال مخيريق اليهودي. وبها يثر الأعواف. وتقع في عالية المدينة (العوالي). [المعالم الأثرية في السنة والسيرَة (ص: ٣١)].

(٤) أحكام الأوقاف (ص: ٢).

(٥) المصدر السابق ذاته.



● وذكر الإمام ابن شُبَّه بسنده إلى ابن شهاب قال: (كانت صدقات النبي ﷺ أموالاً لمخيريق اليهودي، وأوصى مخيريق بأمواله للنبي ﷺ، وشهد أحداً فقتل به، فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة».

قال: وأسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي ﷺ: (الدلال، وبرقة، والأعواف، والصفافية، والمثيب، وحسن، ومشربة أم إبراهيم)<sup>(١)</sup>.

● وقال ابن هشام: (قال ابن إسحاق: عن مخيريق — وكان ممن قتل يوم أحد — قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إذا أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله ﷺ — فيما بلغنا — : «مخيريق خير يهود»)<sup>(٢)</sup>.

#### ◆ بعض أرض الأنصار:

وهي ما أعطاه الأنصار من أرضهم، وهو ما لا يبلغه الماء، وكان هذا ملكاً له ﷺ<sup>(٣)</sup>.

#### ◆ ما كان يُهدى له ﷺ من الملوك وغيرهم:

ذكر ابن القيم في زاد المعاد بعض تلك الهدايا التي جاءته ﷺ من بعض الملوك فقال: (فصل: في حكمه ﷺ فيما كان يهدى إليه:

كان أصحابه — رضي الله عنهم — يهدون إليه الطعام وغيره، فيقبل منهم ويكافئهم أضعافها، وكانت الملوك تهدي إليه فيقبل هداياهم، ويقسمها بين أصحابه، ويأخذ منها لنفسه ما يختاره، فيكون كالصفي الذي له من المغنم، وفي صحيح البخاري: أنه أُهديَ

---

(١) ينظر: [أخبار المدينة ١/١٧٣، والإصابة ٩/١٥٢، (وقد ذكر نص ابن شُبَّه، ونصاً آخر عن ابن زبالة في كتابه أخبار المدينة)].

(٢) ينظر: [السيرة النبوية ٢/٨٩، وتاريخ الطبري ٢/٥٣١].

(٣) أفاده النووي عند شرح الحديث (١٧٦٠) من صحيح مسلم، وجاء قريباً منه في الفتح [٢٠٢/٢].

لرسول الله ﷺ أقبية من ديباج مزررة بذهب، فقسمها في أصحابه، وعزل منها واحداً لمخرمة، قال: «خبأت هذا لك»<sup>(١)</sup>.

وأهدى له المقوقس مارية — أمّ ولده — وسيرين — التي وهبها لحسان —، وبغلة شهباء، وحماراً، وأهدى له النجاشي هدية، فقبلها منه، وبعث إليه هدية عوضها، وأخبر أنه مات قبل أن تصل إليه، وأنها ترجع، فكان الأمر كما قال، وأهدى له فروة بن نفثة الجذامي بغلة بيضاء ركبها يوم حنين، وذكر البخاري أن ملك أيلة<sup>(٢)</sup> أهدى له بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ بردة، وأهدى له أبو سفيان هدية فقبلها<sup>(٣)</sup>. وكذلك قال ابن القيم: (وكان له من البغال: دلدل، وكانت شهباء أهداها له المقوقس، وبغلة أخرى يقال لها: فضة، أهداها له فروة الجذامي، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل<sup>(٤)</sup>)، وقد قيل: إن النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها، ومن الحمير: عفير وكان أشهب، أهداه له المقوقس ملك القبط، وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) أخرجه البخاري [٣٨/٨]، كتاب الأدب، باب المُدَاراةِ مَعَ النَّاسِ، رقم (٦١٣٢).
- (٢) أيلة: بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت وفتح اللام وهاء، وذكرها في كتب التاريخ مستفيض، وتعرف اليوم باسم «العقبة» ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج يضاف إليها «خليج العقبة»، وهي عامرة كثيرة التجارة ميناؤها يزدهم بالسفن، وبها فنادق ومتنزهات على الشاطئ وخليج العقبة أحد شعبي البحر الأحمر. [معجم المعالم الجغرافية (ص: ٣٥)، المعالم الأثيرة (ص: ٤٠)].
- (٣) [زاد المعاد ١/٨٣٠، صحيح البخاري في كتاب الجزية، باب إذا وادع الإمام ملك القرية، رقم (٢٩٩٠)]. والديباج: هي الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق، ينظر: [المعجم الوسيط ١/٢٦٨]. والأقبية: جمع قباء وهو نوع من الثياب، ينظر: [المعجم الوسيط ٢/٧١٣].
- (٤) دومة الجندل: بضم الدال: قرية من الجوف شمال السعودية، تقع شمال تيماء على مسافة (٤٥٠) كيلاً. يشرف عليها حصن مارد، حصن أكيدر الكندي. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٢٧)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١١٩)].
- (٥) [زاد المعاد ١/١٢٨، نضرة النعيم ١/٣٤٦، تاريخ الطبري ٣/٩٠ — ٩١، الطبقات الكبرى ١/٢٦٠ — ٢٦١، البداية والنهاية ٥/٣٤٠].

وروى ابن سعد عن زيد بن طلحة: أن وفد الرهاويين أهدوا لرسول الله ﷺ هدايا، منها فرس يقال لها: المرواح، فسرّ به، فشُور<sup>(١)</sup> بين يديه، فأعجبه.

وذكر ابن الكلبي في الجمهرة أن مرداس بن مؤبلك بن واقد ﷺ وفد إلى رسول الله ﷺ وأهدى له فرساً.

كما كان له ﷺ بعض الأموال لم يذكر لنا التاريخ مصدرها كما روي في كتاب تركة النبي ﷺ فقال: (قال محمد: وحدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، قال: وكانت لقائح رسول الله ﷺ التي أغار عليها القوم بالغابة قد بلغت عشرين لقحة<sup>(٢)</sup>، وكانت التي يعيش بها آل محمد رسول الله ﷺ يراح عليهم كل ليلة بقربتين<sup>(٣)</sup> عظيمتين من لبن، وكان فيها لقاح لها غزر: الحناء، والسمراء، والعريش، والسعدية، والبغوم، واليسيرة<sup>(٤)</sup>).

ولقد اشتهر وقوع الكسوة والدّواب في هدايا رسول الله ﷺ، وأنّ أمّ ولده مارية كانت من الهدايا.

● وعن ابن جدعان، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: (أهدى أكيدر<sup>(٥)</sup> دومة لرسول الله ﷺ جبةً، فتعجب الناس من حسننها، فقال النبي ﷺ: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها»).

---

(١) شار الدّابة وهو يشورها شوراً إذا عرّضها [اللسان، مادة شور].

(٢) اللقحة: الناقة ذات اللبن.

(٣) القرية: وعاء مصنوع من الجلد لحفظ الماء واللبن.

(٤) ينظر: [تركة النبي ﷺ (ص: ١٠٧ — ١٠٨)، الطبقات الكبرى ٨٢/٢، ومغازي الواقدي ٥٣٧/٢، تاريخ الطبري ٢١٦/٢].

(٥) هو أكيدر بن عبد الملك من كندة، وكان ملكاً نصرانياً على دومة، كان شجاعاً مولعاً باقتناص الوحش. له حصن وثيق، أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة سندس فلبسها وذلك قبل أن يحرم الحرير فتعجب الناس من حسننها، فقال رسول الله ﷺ: لمناديل سعد بن معاذ أحسن منها في الجنة. [زاد المعاد ٥٣٨/٣، تهذيب الأسماء اللغات ١/ ١٢٤].

— وفي رواية: (إنَّ ملك الروم أهدى للنبي ﷺ مستقَّة<sup>(١)</sup> من سندس، فلبسها، فكأني أنظر إلى يديها تذبذبان من طولهما، فجعل القوم يقولون: يا رسول الله، أنزَلْتَ عليك هذه من السَّماء؟! فقال: «وما يعجبكم منها، فوالذي نفسي بيده، إنَّ منديلاً من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ منها»، ثُمَّ بعثَ بها إلى جعفر بن أبي طالب، فلبسها، فقال النبي ﷺ: «إني لم أعطِكها لتلبسها»، قال: فما أصنع بها؟ قال: «أرسل بها إلى أخيك النجاشي»<sup>(٢)</sup>.

أمَّا الكسوة: فكما تقدم عن أنس رضي الله عنه: (أنَّ أكيدر دومة أهدى لرسول الله ﷺ جبة سندس..). وعن أنس رضي الله عنه: (أنَّ ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله ﷺ حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بغيراً فقبلها)<sup>(٣)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه: (أنَّ أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ ثوب حريرٍ فأعطاه علياً، فقال: «شقَّقه خُمراً بين الفواطم»)<sup>(٤)</sup>.

الله أكبر!! أليس فيما سبق دليل حاسم على رد النبي للهدايا رد العظماء وأنه كان لا يقبل منة أحد .

وأما الدَّواب: فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: (غزونا مع النبي ﷺ تبوك<sup>(٥)</sup>)، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب له ببحرهم)<sup>(٦)</sup>.

(١) المَسَاتِقُ فِرَاءُ طوال الأَكمام واحِدُهَا مُسْتَقَّةُ بفتح التاء. [ينظر اللسان، مادة (ستق)].

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب اللباس، باب من كره لبس الحرير، رقم (٤٠٤٧)، والإمام أحمد في مسنده رقم (١٢٩٢١)، ورقم (١٣١٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب اللباس، باب في لبس الصوف والشعر، رقم (٤٠٣٦).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم (٢٠٧١).

(٥) تبوك: كانت منهاجاً من أطراف الشام، وكانت من ديار قضاة تحت سلطة الروم. وقد أصبحت اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، لها إمارة تعرف بإمارة تبوك، وهي تبعد عن المدينة شمالاً (٧٧٨) كيلاً على طريق معبدة تمر بخيبر وتيماء، وقد مرت بها سكة حديد الحجاز سنة ١٣١٢ هـ. [معجم

المعالم الجغرافية (ص: ٩٥)، المعالم الأثيرة (ص: ٦٩)].

(٦) أخرجه البخاري في كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك القرية، رقم (٢٩٩٠).

وفي كتاب الهدايا لإبراهيم الحريّ: (أهدى يوحنا بن رؤبة<sup>(١)</sup> إلى رسول الله ﷺ بغلته البيضاء)<sup>(٢)</sup>.

وعند مسلم: (...) ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي<sup>(٣)</sup>.

وعن بريدة رضي الله عنه: (أهدى أمير القبط لرسول الله ﷺ جاريتين أختين وبغلة، فأما البغلة فكان رسول الله ﷺ يركبها، وأما إحدى الجاريتين فتسرّأها فولدت إبراهيم، وأما الأخرى فأعطاه حسان بن ثابت رضي الله عنه)<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

---

(١) يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة (العقبة) أحد الحكام المواليين للروم على حدود الجزيرة العربية، فأنذره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يذعن أو يغزوه، فأقبل يوحنا، وعلى صدره صليب من ذهب، وقدم الهدايا معه، وتقدم بالطاعة، فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية. [إمتاع الأسماع ١/ ٤٧٣].

(٢) سبل الهدى والرشاد [٢٨/٩].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، رقم (١٧٧٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط [٣٧/٤]، والطحاوي في مشكل الآثار [٦٣/٦]، وأبو نعيم في معرفة الصحابة [٨٨/٤].

المبحث السادس	القواعد النبوية في قبول الهدية	الهدايا التي أُهديت للنبي ﷺ	أموال مخيريق اليهودي بالمدينة المنورة، وهي سبعة حوائط.
	تعريف الهدية لغة واصطلاحاً		بعض أرض الأنصار، وهي ما لا يَبْلُغُه الماء.
	أصل الهدية في الشرع، وحكمها		ما كان يُهدى له ﷺ من الملوك وغيرهم
	حكم قبول هدية المشرك		

ملخص هدايا الملوك	
مارية — أمّ ولده — ، وسيرين — التي وهبها لحسان — ، وبغلة شهباء يقال لها دلل، وحماراً يقال له عفيرٌ.	المقوقس
هدية قيل إنها بغلة، فقبلها منه، وبعث إليه هدية عوضها.	النجاشي
بغلة بيضاء يقال لها فضّة ركبها يوم حنين، وحماراً.	فروة بن نفثة الجذامي
بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ بردة، وكتب له ببحرهم.	ملك أيلة
هدية فقبلها.	أبو سفيان
بغلة.	صاحب دومة الجندل
هدايا، منها فرس يقال لها: المرواح.	وفد الرهاويين
فرساً.	مرداس بن مؤبلك بن واقد رضي الله عنه

أكيدر دومة	جبة سندس، ثوب حرير فأعطاه علياً.
ملك الروم	مستقة سندس.
ملك ذي يزن	حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بغيراً.
ابن العلماء	برداً.
يوحنا بن روبة	بغلته البيضاء.
ومن الأموال التي لم تُذكر مصادرها لقائح رسول الله ﷺ التي أُغير عليها بالغابة، قد بلغت عشرين لقحة.	

\* \* \*

## المطلب الثامن:

### سهمه ﷺ مجاهداً

تقدّم أن من مصادر دخل النبي ﷺ الخمس والصفّي، ويزاد هنا مصدر جديد من مصادر دخله ﷺ، وهو سهمه كمجاهد من المسلمين، فقد وردت أدلة كثيرة على ذلك منها:

— روى ابن زنجويه في كتابه الأموال فقال: (وأما الصفّي فإن أبا نعيم أخبرنا، عن زهير، عن مطرف، أنّه سمع عامراً، وسأله يزيد بن جرير، وإسماعيل بن أبي خالد عن سهم النبي ﷺ فتكرّره أن يجبرهم فقال: (أما الصفّي فغرة<sup>(١)</sup>) يتخيرها النبي ﷺ من المغنم، إن شاء فرساً، وإن شاء جارية<sup>(٢)</sup>)، وإن شاء ما شاء، وأما السّهم<sup>(٣)</sup>)، فسهمه في المسلمين)، قال: كرجل منهم؟ قال: (نعم)، قلت: سوى الخمس؟ قال: (نعم)<sup>(٤)</sup>.

— عن ابن عون، قال: سألت محمّداً عن الصفّي وسهم النبي ﷺ فقال: (كان رسول الله ﷺ يضرب له بسهم في الغنيمة وإن لم يشهدا، وكان يصطفي له رأساً قبل الخمس، وقبل كل شيء)<sup>(٥)</sup>.

— أخرج الإمام أحمد في مسنده في رسالة النبي ﷺ إلى بني زهير بن أقيش، وفيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ — حَيٍّ مِنْ عُكْلٍ —، إِنَّهُمْ إِنْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَفَارَقُوا الْمُشْرِكِينَ، وَأَقْرَأُوا بِالْخُمْسِ فِي غَنَائِمِهِمْ، وَسَهْمِ النَّبِيِّ وَصَفِيهِ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الغرة: هي من كل شيء أفضله وأجوده.

(٢) الجارية: الأمة المملوكة أو الشابة من النساء.

(٣) السّهم: التّصيب.

(٤) الأموال لابن زنجويه، (ص: ٦٩).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٢١٢٨٠)، والنسائي في كتاب الفقه، رقم (٤١٦٣)، وعبد الرزاق

في مصنفه ٧/ ٣٤٨، رقم (٣٦٦٣٥).



ومنها ما روى صاحب الروض الأنف، قال: (إنَّ رسول الله ﷺ كتب: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ، إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَإِلَى النُّعْمَانِ قَيْلَ ذِي رُعَيْنٍ وَمَعَاظِرَ وَهْمَدَانَ.

أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَخَبَّرَنَا مَا قَبَلَكُمْ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَاهُ إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللَّهِ وَسَهْمَ الرُّسُولِ وَصَفِيَّهِ...»<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر من هذا المطلب أن سهم النبي ﷺ مجاهداً هو أحد مصادر دخله، على أن إحصاء ذلك يتعذر؛ وذاك لأن كتب السيرة لم تذكر بالتفصيل كل المعلومات حول الغنائم من كل معركة.

\* \* \*

---

(١) ينظر: [الروض الأنف ٣٦٧/٤، البداية والنهاية ٨٨/٥، سيرة ابن هشام ٥٨٨/٢].

## المطلب التاسع:

### من خصائصه ﷺ في الرزق

تمهيد:

حبذا لو نتعرض لقول الله تعالى ﴿ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ [المجادلة: ١٢].

كان للنبي ﷺ معجزات في إطعام الله له، ولقد أكرمه الله بمعجزات كثيرة، منها تكثير الطعام والشراب بين يديه، وفي تلك المعجزات ردّ على من يعتقد بأن النبي ﷺ كان فقيراً لا يجد قوت يومه، ومما يروى في ذلك:

● في كتاب تركة النبي ﷺ للأزدي قال: (عن أبي العالية: أن النبي ﷺ خرج يوماً حتّى إذا كان في بعض طرق المدينة وأدركه الضعف، فاضطجع مرتفعاً شماله مادّاً أصبعه، فرآه رجل من الأنصار، فجاء بقعب<sup>(١)</sup> من لبن، فسقاه، فأفاق، فقال له: «كيف وجدتني؟» قال: وجدتك مرتفعاً بشمالك، مادّاً أصبعك قال: «أبشر، فإني أقول: اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني»<sup>(٢)</sup>.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تُواصل يا رسول الله؟ قال: «وأأيكم مثلي؟ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني»<sup>(٣)</sup>).

● ومنها ما روي أن النبي ﷺ أكل إهالة سنخة، وهي المتغيرة الريح!! والحديث أنه أُتي بها ولم يأكل منها النبي ﷺ!!

---

(١) القعب: قدح وإناء يروي رجلاً واحداً. ينظر: لسان العرب مادة قعب [٦٨٣/١-٦٨٤].

(٢) تركة النبي ﷺ (ص: ٧٠).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٣٥).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَقُولُونَ — وَهُمْ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ — :  
 (نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ  
 خَيْرُ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ»، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، عَلَيْهِ إِهَالَةٌ  
 سَنَخَةٌ <sup>(١)</sup>، فَأَكَلُوا مِنْهَا، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا الْخَيْرُ خَيْرُ الْآخِرَةِ <sup>(٢)</sup>).

### حديث مستغرب آخر:

عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وهو في منزل فاطمة، والحسن والحسين  
 يكيان جوعاً ويتضوران، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَصِلُنَا بِشَيْءٍ؟»، فطلع عبد الرحمن بصحفة  
 وفيها حيسة <sup>(٣)</sup> ورغيفان بينهما إهالة، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كفاك الله أمر دنياك، وأما أمر  
 آخرتك فأنا لها ضامن» <sup>(٤)</sup>.

كيف ذاك وهو الذي يطعمه ربه ويسقيه؟! بل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطعم المئات ويسقيهم بفضل الله،

ومن ذلك:

### - قول ابن حبان:

أنكر الإمام الحافظ أبو حاتم بن حبان — رحمه الله تعالى — الأحاديث التي في شدة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 الحجر على بطنه عند كلامه على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى» <sup>(٥)</sup>،  
 فاستدل بهذا الحديث على تضعيف الأحاديث الواردة بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجوع ويشد الحجر

(١) الإهالة: الدسم، و السَنَخَةُ : المتَغَيَّرَةُ الرِّيح. ينظر اللسان، مادة (سنخ)، والنهاية في غريب الأثر، باب  
 السين مع النون.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (١٤٤٣٢)، النسائي في سننه الكبرى، رقم  
 (٦٦٣٦).

(٣) الحَيْسُ: الأَقِطُ يَخْلُطُ بِالتَّمْرِ وَالسَّمْنِ. ينظر اللسان، مادة (حيس).

(٤) أخرجه ابن عساكر [٣٩٤/١٨]، والديلمي [٤١٧/٥]، رقم (٨٦٠٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال، رقم (١٩٦١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصوم،  
 باب الزجر عن الوصال في الصيام، رقم (٣٥٧١).

على بطنه من الجوع، قال: (لأن الله تعالى كان يُطعم رسوله، ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً حتّى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه؟!)، ثمّ قال: (وماذا يغني الحجر من الجوع؟) ثمّ ادعى أن ذلك تصحيف ممن رواه، وإنّما هي الحُجَز بالزاي جمع حُجْزة<sup>(١)</sup>.

— ورد في مصادر كثيرة أن للنبي ﷺ لقائح يطعم منها:

كما روي أنه كانت لقائح رسول الله ﷺ التي أغار عليها القوم بالغابة قد بلغت عشرين لقحة<sup>(٢)</sup>، وكانت التي يعيش بها آل محمد رسول الله ﷺ يراح عليهم كل ليلة بقربتين<sup>(٣)</sup> عظيمتين من لبن، وكان فيها لقاح لها غزر: (الحناء، والسمراء، والعريش، والسعدية، والبغوم، واليسيرة)<sup>(٤)</sup>.

ما ورد في معجزات الطعام والشراب:

ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق<sup>(٥)</sup> معجزات للنبي ﷺ، منها تكثير الطعام الذي أعدّه جابر بن عبد الله ﷺ.

— فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (إنا يوم الخندق مُحفّر<sup>(٦)</sup>، فعَرَضَتْ كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدية عَرَضَتْ في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثمّ قام وبطنه

---

(١) فتح الباري [٢٠٨/٤].

(٢) اللقحة: الناقة ذات اللبن.

(٣) القرية: وعاء مصنوع من الجلد لحفظ الماء واللبن.

(٤) [الطبقات الكبرى: ٨٢/٢، مغازي الواقدي: ٥٣٧/٢، تاريخ الطبري: ٢١٦/٢].

(٥) الخندق: هو الذي حفره المسلمون عندما تألبت الأحزاب على المدينة، ولما كانت المدينة محاطة بالحرار من ثلاث جهات، فإن الجهة الوحيدة التي تصلح أن يحشد فيها المشركون هي الجهة الشمالية الغربية بين سلع وأسفل حرة الوبرة، وتسمى اليوم حرة المدينة الغربية والجهة الشمالية الشرقية بين سلع أيضاً وحرة واقم ..، فحفر الخندق بين الحرتين مطيفاً بجبل سلع من ورائه. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١١٤)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ١٠٩)].

(٦) مُحفّر: اسم فاعل من حَفَرَ.

معصوب بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكُدية، فعاد كثيباً أهيل<sup>(١)</sup> أو أهيم<sup>(٢)</sup>.

قال جابر رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلتُ لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق<sup>(٣)</sup>، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتَّى جعلنا اللحم بالبرمة<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ جئتُ النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي<sup>(٥)</sup> قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعِمَ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرتُ له، فقال: «كثيرٌ طيب»، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتَّى آتي.

فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا»<sup>(٦)</sup>، فجعل يكثر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويحمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثُمَّ ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتَّى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»<sup>(٧)</sup>.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن إطعام الجيش من بركته ﷺ يضاف لمصادر دخله؛ لأنه أطعمهم فعلاً، أما من أين فهذه خصوصية، وما يهمنا هنا أن إطعامه ينفي تماماً جوعه هو.

---

(١) أهيل: رملاً سائلاً. [النهاية في غريب الحديث: ٢٨٩/٥].

(٢) أهيم: الرمل الذي لا يتمالك. [لسان العرب: ٨٥٨/٣].

(٣) العناق: الأثني من أولاد الماعز. [النهاية في غريب الحديث: ٣١٠/٣].

(٤) البرمة: هي القدر مطلقاً. [النهاية في غريب الحديث: ١٢١/١].

(٥) الأثافي: الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها. [القاموس المحيط: ١٢٠/٣].

(٦) ولا تضاغطوا: أي لا تراحموا. [لسان العرب: ٥٣٧/٢].

(٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، رقم (٤١٠١).

— وعن ابنة بشير بن سعد رضي الله عنه قالت: (دعّني أُمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بُنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها فانطلقت بها، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: «تعالِي يا بنية، ما هذا معك؟» فقلت: يا رسول الله، هذا تمرٌ بعثني به أُمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه، قال: «هاتيه» قالت: فصببته في كفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دعا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق أن هلمّ إلى الغداء»، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتّى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليستقط من أطراف الثوب<sup>(١)</sup>.

— وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: (قد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً، أعرفُ فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجتُ أقراصاً من شعير، ثم أخذتُ خماراً لها، فلفتُ الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت ثوبي، وردّته ببعض ثوبه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبتُ به، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد، ومعه الناس، فقمْتُ عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلك أبو طلحة؟» قلت: نعم، قال: «الطعام؟» قلت: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: «قوموا»، فانطلقوا، وانطلقتُ بين أيديهم، حتّى جئتُ أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نُطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتّى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، حتّى دخلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلمّي ما عندك يا أم سليم»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتّ، وعصرتُ عليه أم سليم عكّة لها، فأدّمتّه، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول.

---

(١) [السيرة النبوية لابن هشام ٢٤١/٣، البداية والنهاية ١٣٣/٦].

ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ»، حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ — أَوْ قَالَ: ثَمَانُونَ — <sup>(١)</sup>.

وَمِنْ ذَلِكَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصَابِعِهِ، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ: (دَعَا أَهْلَ الصَّفَةِ لِقِصْعَةِ ثَرِيدٍ، فَأَكَلُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْيَسِيرُ فِي نَوَاحِيهَا، فَجَمَعَهُ فَصَارَ لِقْمَةً، فَوَضَعَهَا عَلَى أَصَابِعِهِ وَقَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيُّ: لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ: «كُلْ بِسْمِ اللَّهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا زِلْتُ أَكَلْتُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعْتُ، قِيلَ: وَكَانَ أَصْحَابُ الصَّفَةِ حِينَئِذٍ تَسْعِينَ، وَقِيلَ مِئَةً وَنِيفًا، وَقِيلَ أَرْبَعِمِئَةً <sup>(٢)</sup>).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، قَالَ: فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا، فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ <sup>(٣)</sup>، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ، اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْ: بَعَثْتُ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي، وَهِيَ تُقَرِّئُكَ السَّلَامَ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مَنَّا قَلِيلٌ، فَقَالَ: «ضَعْنَاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «اذهب فاذع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً، وَمَنْ لَقِيتَ»، قَالَ: فَدَعَوْتُ مِنْ سَمَى وَمَنْ لَقِيتُ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ، هَاتِ التَّوْرَ»، قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةُ عَشْرَةٍ، وَلِيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، قَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (٣٥٧٨)، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارٍ..، رَقْمُ (٢٠٤٠).

(٢) السِّيَرَةُ الْحَلَبِيَّةُ فِي سِيَرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ [٣/٣٦٥].

(٣) الْحَيْسُ: هُوَ الطَّعَامُ الْمَتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَالْأَقِطِ وَالسَّمْنِ، وَالتَّوْرُ: إِنَاءٌ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حِجَارَةٍ مِثْلَ الْإِجَانَةِ، وَقَدْ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ. [النهاية: ١/١٠٩٧، ١/١٩٩].

فخرجت طائفة، ودخلت طائفة، حتى أكلوا كلهم، فقال لي: «يا أنس، ارفع»، فرفعت، فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ؟<sup>(١)</sup>.

- وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: (صنعت للنبي ﷺ وأبي بكر طعاماً قدر ما يكفيهما، فأتيتهما به، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الأنصار» فشقَّ علي ذلك قلت: ما عندي شيء أزيده فكأني تغفلت، فقال: «اذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الأنصار»، فدعوتهم فجاءوا فقال: «اطعموا»، فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا.

ثم قال: «اذهب فادع لي ستين من أشرف الأنصار»، قال أبو أيوب: والله لأننا بستين أجود مني بالثلاثين، قال فدعوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «توقفوا» فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا.

ثم قال: «اذهب فادع لي تسعين من الأنصار»، قال: فلأننا أجود بالتسعين والستين مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا، فأكل من طعامي ذلك مئة وثمانون رجلاً، كلهم من الأنصار<sup>(٢)</sup>.

- وعن هشام بن حبيش بن خويلد - صاحب رسول الله ﷺ - : أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو بكر رضي الله عنه، ومولى أبي بكر - عامر بن فهيرة - ودليلهما الليثي - عبد الله بن أريقط - ، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة جلدة، تحبتي بفناء الخيمة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، رقم (٥١٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، رقم (١٤٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير [٤/ ٢٢٢، ٢٢١]، والبيهقي في الدلائل [٩٤/٦]، وابن عبد البر في التمهيد [٢٩٤/١]، وابن كثير في البداية [١٢٧/٦]، وقال الهيثمي في المجمع [٥٣٣/٨]: (رواه الطبراني وفي إسناده من لم أعرفه).



فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مستئين، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسَمَّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجت<sup>(١)</sup> عليه، ودرت، فاجترت، فدعا بإناء يربض<sup>(٢)</sup> الرهط، فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم حتى أراضوا، ثم حلب فيه الثانية على هدة حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها، فما لبثت حتى جاءها زوجها — أبو معبد — ليسوق أعزاً عجافاً يتساوكن<sup>(٣)</sup> هزالاً مُخَهَّنٌ قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل<sup>(٤)</sup> ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مباركٌ من حاله كذا وكذا..<sup>(٥)</sup>

— وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: (أُتي النبي ﷺ بإناء — وهو بالزوراء<sup>(٦)</sup> — ، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم)، قال قتادة: قلتُ لأنس: كم كنتم؟ قال: (ثلاثمائة، أو: زهاء ثلاثمائة)<sup>(١)</sup>.

(١) فتفاجت: التفاج: المبالغة في تفريح ما بين الرجلين. النهاية في غريب الحديث [٤١٢/٣].

(٢) يربض: أي يرويههم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. النهاية في غريب الحديث [١٨٤/٢].

(٣) تساوكن: يقال: تساوكت الابل إذا اضطربت أعناقها من الهزال، أراد أنها تتمايل من ضعفها. النهاية في غريب الحديث [٢٠/٢].

(٤) حائل وهي التي لم تحمل. النهاية في غريب الحديث [٢٢٧/٣].

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه [١١/٣] حديث رقم (٤٢٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأحمد بن عمرو ابن الضحاك في الآحاد والمثاني تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١١هـ — ١٩٩١م)، [٦٣١/٥ — ٦٣٢]، والطبراني في الكبير [٤٨/٤]، رقم (٣٦٠٥).

(٦) الزوراء: موضع بالمدينة غربي مسجد الرسول عليه السلام عند سوق المدينة في صدر الإسلام، الذي هو المناخة فيما بعد. [المعالم الأثيرة في السنة والسير (ص: ١٣٥)].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّوْنَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقُلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ ﷺ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ»، فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، وَأَدْخَلَ ﷺ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهَّورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ<sup>(٢)</sup>.

- وعند البخاري عن أنس رضي الله عنه: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَوْضُوءَ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ، حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ<sup>(٣)</sup>).

- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: (قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ - يَعْنِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - ، وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَقَالَ: «حَيَّ عَلَى الْوَضُوءِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْفَجِرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرَبُوا، فَجَعَلْتُ لَا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، وَعِلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ، وَكُنَّا يَوْمَئِذٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ<sup>(٤)</sup>).

- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: (عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ<sup>(٥)</sup>)، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسَ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٧٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، رقم (٢٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٥٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، رقم (١٦٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، رقم (٢٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، رقم (٥٣١٦).

(٥) الحديبية: بضم الأول، وتشدد ياءها وتخفف .. وتقع الآن على مسافة اثنين وعشرين كيلاً غرب مكة على طريق جدة، ولا زال يعرف بهذا الاسم. [معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٩٧)، المعالم الأثرية في السنة والسيرة (ص: ٩٧)].

«ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا نشرب، إلا ما في رَكْوَتِكَ قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يَفُور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر ﷺ: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خَمْسَ عشرة مائة»<sup>(١)</sup>.

- وفي حديث طويل لجابر بن عبد الله ﷺ قال: (... فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: يا جابر، نادِ بَوْضوء، فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله، ما وجدتُ في الرَّكْب من قَطْرة، وكان رجل من الأنصار يُرِدُّ لرسول الله ﷺ الماء في أشجابه<sup>(٢)</sup> له على حمارة من جريد، قال: فقال لي: انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري، فأنظر: هل في أشجابه من شيء؟ قال: فانطلقت إليه، فنظرت فيها، فلم أجد فيها إلا قَطْرة في عَزَلٍ شَجَب منها، لو أي أفرغه لَشَرِبَهُ يابِسُهُ، فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني لم أجد فيها إلا قطرة في عَزَلٍ شَجَب منها، لو أي أفرغه لشربه يابسه، قال: اذهب فأتني به، فأتيته به، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، وَيَعْمَز بيديه، ثُمَّ أعطانيه، فقال: يا جابر، نادِ بِجَفْنَةٍ<sup>(٣)</sup>، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيتُ بها تُحْمَلُ، فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا — فبسطها وفرق بين أصابعه — ثُمَّ وضعها في فَعْرِ الجفنة، وقال: خذ يا جابر، فَصَبَّ عَلَيَّ، وقل: بسم الله، فصبيت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيتُ الماء يَتَفَوَّر من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثُمَّ فارت الجفنة ودارت، حَتَّى امتلأت، فقال: «يا جابر، نادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ؟» قال: فأتى الناس، فاستَقَوْا حَتَّى رَوَوْا، قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة، وهي مَلَأَى...»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٣٩٢١).

(٢) الشَّجَب بالسكون: السِّقَاء الذي قد أَخْلَقَ وَبَلَّى وصار شَتًّا. وسِقَاءٌ شَجَبٌ: أي يابِسٌ. وهو من الشَّجَب: الهَلَاكُ وَيُجْمَع على شُجْبٍ وأشجَاب. ينظر النهاية في غريب الأثر، باب الشين مع الجيم.

(٣) الجفنة: القصعة. ينظر اللسان، مادة (جفن).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب باب، رقم (٥٣٢٨).

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكننا نجمع لصلاة الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً فلما كان ذات ليلة قال: إنكم تأتون غداً — إن شاء الله — عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاء منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، فجئناها، وقد سبَقنا إليها رجالان، والعين تبض<sup>(١)</sup> بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبَّهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرَفُوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع شيء، وغَسَلَ رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعادوه فيها، فَجَرَتِ العينُ بماء كثير فاستسقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، يُوشِكُ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً»<sup>(٢)</sup>.

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (كنا في سفر مع النبي ﷺ، وإنا أسْرَيْنَا، حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة، ولا وقعة عند المسافر أحلَى منها، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس، فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان، ثم فلان — يسميهم أبو رجاء العطاردي، فنسي عوف — ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبي ﷺ إذا نام لم تُوقظه حتى يكون هو يستيقظ ؛ لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر، ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليداً كبير ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر، ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ لصوته النبي ﷺ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، فقال: لا ضيرَ — أو لا يضيرُ — ارتحلوا، فارتحل، فسار غير بعيد، ثم نزل، فدعا بالوضوء، فتوضأ، ونُودِيَ بالصلاة، فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يُصلِّ مع القوم، فقال: ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟ قال: أصابني جنابة ولا ماء، قال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك، ثم سار النبي ﷺ، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل، فدعا فلاناً — كان يسميه أبو رجاء، ونسيه عوف

(١) بض الماء إذا قطر وسال. ينظر النهاية في غريب الأثر، باب الباء مع الضاد.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، رقم (٤٢٢٩).

— فقال: ودعا عليًّا، فقال: اذهبا فابغيا الماء، فانطلقا، فتلقيا امرأة بين مزادتين — أو سطيحتين — من ماء، على بغير لها، فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفَرْنَا خُلُوف، قالا لها: انطلقِي إِذَا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ، قالت: الذي يقال له: الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقِي، فجاءا بها إلى النبي ﷺ، وحَدَّثاه الحديث، قال: فاستنزَلوها عن بغيرها، ودعا النبي ﷺ بِإِنَاء، فَأَفْرَغ فيه من أفواه المزداتين — أو السطيحتين — وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالي، ونُودِي في الناس: اسْقُوا واستقوا، فسقى من شاء، واستقى من شاء، وكان آخر ذلك: أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، فقال: اذهب فأفرغه عليك، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها. وإيم الله لقد أُقْلِع عنها، وإنه ليخيل إلينا أنها أَشَدُّ مِلَّةً منها حين ابتداء فيها.

فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لها»، فجمعوا لها من بين عَجْوَة ودقيقة وسويقة، حتَّى جمعوا لها طعاماً، فجعلوه في ثوب، وحملوها على بغيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، وقال لها: «تَعْلَمِينَ ما رَزَّئنا»<sup>(١)</sup> من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا»، فأتت أهلها، وقد احتسبت عنهم، وقالوا: ما حَبَسَكَ يا فلانة؟ قالت: العَجَبُ. لَقِيَنِي رجلان، فذهبا بي إلى هذا الصَّابئ، ففعل كذا وكذا، والله إنه لأَسْحَرُ الناس من بين هذه وهذه — وقالت: بإصبعيها السبابة، والوسطى، فرفعتهما إلى السماء وتعني: السماء والأرض — أو إنه لرسول الله حقاً. فكان المسلمون بعدُ يُغَيِّرُونَ على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصَّرمَ الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى إلا أن هؤلاء القوم يَدْعُونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) يقال ما رَزَّئته ماله وما رَزَّئته ماله بالكسر أي: ما نَقَصْتُهُ، ويقال ما رَزَّأ فلاناً شيئاً، أي: ما أصاب من ماله شيئاً ولا نَقَصَ منه. ينظر اللسان، مادة (رزأ).

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة، رقم (٣٣٧٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم (٦٨١).

- وعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — أَنَّ رسول الله ﷺ جاءه رجل يستطعمه، فأطعمه شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيْفُهُما حَتَّى كَالَهُ فَفَنِي، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُم مِّنْهُ، وَلَقَامَ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه: قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قِصْعَةٍ مِنْ غَدَوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ، يَقُومُ عَشْرَةٌ، وَيَقْعُدُ عَشْرَةٌ، فَقُلْتُ: فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا — وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ —») <sup>(٢)</sup>.

- وعن سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه — قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَأَصَابَنَا جَهْدٌ، حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا [أَيَّ مَا نَرَكِبُ مِنَ الدَّوَابِّ]، فَأَمَرَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا [جَمَعَ مِزْوَدٍ]، فَبَسَطْنَا لَهُ نِطْعًا [وَالنِّطْعُ مِنَ الْأَدَمِ]، فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّطْعِ، قَالَ: فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرَةٍ: كَمْ هُوَ؟ قَالَ: حَزْرَتُهُ، فَإِذَا هُوَ كَرَبُضَةِ الْعَنْزِ [كَمَبْرَكِيهَا أَوْ كَقَدْرِهَا وَهِيَ رَابِضَةٌ]، وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً. قَالَ: فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرْبِنَا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: فَهَلْ مِنْ وَضُوءٍ؟ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ [إِنَاءٍ] فِيهَا نُطْفَةٌ [قَلِيلٌ مِنَ الْمَاءِ]، فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ، فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا، ثُمَّ دَغَفَقَهُ دَغَفَقَةً [نَضَبَهُ صَبًّا شَدِيدًا]، أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، ثُمَّ جَاءَ بَعْدُ ثَمَانِيَةٌ، فَقَالُوا: هَلْ مِنْ طَهُورٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَرِغِ الْوَضُوءِ) <sup>(٣)</sup>.

### حادثة فيها معجزة إشباعه لغيره من غير إطعامه:

ومن ذلك: أَنَّ فَاطِمَةَ — رضي الله تعالى عنها — جَاءَتْ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَدْ ذَهَبَ الدَّمُ مِنْ وَجْهِهَا، وَغَلَبَتِ الصَّفْرَةُ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فَقَالَ لَهَا: «إِدْنِي مِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، رقم (٢٢٨١).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في إثبات نبوة النبي ﷺ، رقم (٣٦٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام، رقم (٢٣٥٢)، ومسلم في كتاب اللقطة،

باب استحباب خلط الأزواد، رقم (١٧٢٩). وينظر شرحه في شرح النووي على مسلم [١٦٧/٦].

يا فاطمة»، فدكت منه، ورفع يده فوضعها على صدرها وفرج بين أصابعه، وقال: «اللهم مشيع الجاعة، ورافع الوضيعة، ارفع فاطمة بنت محمد»، فذهبت الصفرة عنها حالاً، ولم تشك بعد ذلك جوعاً<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك دعاؤه ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه في تمرات قد صفهن في يده، وقال: ادع لي فيهن بالبركة، فدعا له بذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت: يا رسول الله، ادع الله فيهن بالبركة، فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: «خذهن واجعلن في مزودك هذا — أو: في هذا المزود — كلما أردت أن تأخذ منها شيئاً فأدخل فيه يدك فخذ، ولا تنثره نثرًا، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله»، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع)<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (ص: ٤٦٢)، والبيهقي ١٠٨/٦. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٧/٩، وقال: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه عتبة بن حميد، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقيته رجاله وثقوا)، ولم أحده عند الطبراني في معاجمه.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه (٣٨٣٩) وقال حديث حسن غريب، والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم (٨٢٧٤).

## ملخص خصائصه ﷺ في الرزق

ما ورد في معجزات الطعام والشراب، منها:

(١) كان للنبي ﷺ لقائح يطعم منها وهذا ينفي أن النبي ﷺ كان يقاسي الجوع في الأيام والليالي ذوات العدد.
(٢) حديث جابر ﷺ: (إنا يوم الخندق محفر...
(٣) حديث ابنة بشير بن سعد قالت: (دعّني أُمّي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر...
(٤) حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال أبو طلحة لأم سليم: (قد سمعتُ صوتَ رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرفُ فيه الجوع...
(٥) حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (تزوج رسول الله ﷺ، فدخلَ بأهله، قال: فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سَلِيمٍ حَيْسًا...
(٦) حديث أبي أيوب ﷺ قال: (صنعت للنبي ﷺ وأبي بكر طعاماً قدر ما يكفيهما...
(٧) حديث هشام بن حيش بن خويلد — صاحب رسول الله ﷺ — : أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو بكر ﷺ...
(٨) حديث عن أنس ﷺ قال: (أُتي النبي ﷺ بإناء — وهو بالزوراء — ، فوضع يده في الإناء...
(٩) حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...
(١٠) حديث عن أنس ﷺ: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناسُ الوضوء فلم يجدوه...
(١١) حديث جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال: (قد رأيتني مع النبي ﷺ به -يعني يوم الحديبية-، وقد حَضَرَتِ العصرُ، وليس معنا ماء غير فضله...
(١٢) حديث جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال: (عَطِشَ الناسُ يوم الحُديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة...



١٣) حديث جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small> قال: (...فأتينا العسكر، فقال رسول الله <small>ﷺ</small> : يا جابر، نادِ بوضوء...)		
١٤) حديث معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small> قال: (خرجنا مع رسول الله <small>ﷺ</small> عام غزوة تبوك، فكننا نجمع لصلاة الظهر والعصر جميعاً...)		
١٥) حديث عمران بن حصين <small>رضي الله عنه</small> قال: (كنا في سفر مع النبي <small>ﷺ</small> ...)		
١٦) حديث جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — أن رسول الله <small>ﷺ</small> جاءه رجل يستطعمه، فأطعمه شطراً وسقى شعيراً...		
١٧) حديث سمرة بن جندب <small>رضي الله عنه</small> : قال: (كُنَّا مع النبي <small>ﷺ</small> نتداول من قِصْعَةٍ من غَدَوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ، يقوم عشرة، ويقعد عشرة...)		

من ذلك: أن فاطمة - رضي الله تعالى عنها - جاءت إليه، فنظر إليها وقد ذهب...	معجزة إشباعه
ومن ذلك: دعاؤه <small>ﷺ</small> لأبي هريرة <small>رضي الله عنه</small> في تمرات قد صفهن في يده...	لغيره من غير إطعامه:

\* \* \*

## المطلب العاشر:

### مصادر من دخله ﷺ التي لم يستخدمها

من المصادر التي لم يستخدمها ﷺ جبال الذهب:

عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: «لو شئتُ لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملكٌ إن حُجزتُ لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئتَ نبياً عبداً، وإن شئتَ نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأشار إليّ أن ضَعُ نفسك، فقلت: نبياً عبداً»، قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»<sup>(١)</sup>.

قال ﷺ: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعتُ تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعْتُ حمدتك وشكرتك»<sup>(٢)</sup>.

وعند وفاته ﷺ عُرضت عليه مفاتيح خزائن الدنيا والخلود في الدنيا:

فَعَنُ أَبِي مَوْهَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: «يَا أَبَا مَوْهَبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَاَنْطَلِقْ مَعِيَ»، فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهِنَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى في كتاب النكاح رقم (١٣٧٠٢)، قال الهيثمي: [١٩/٩] رواه أبو يعلى (٣١٨/٨)، رقم (٤٩٢٠) وإسناده حسن، وأخرجه ابن سعد (٣٨١/١)، وابن عساكر (٧٤/٤)، وعبد الرزاق (٤١٧/١٠)، وأخرجه بنحوه مختصراً الخطيب في تاريخ بغداد (١٠٢/١١)، وعبد الرزاق في الجامع عن معمر (٤١٧/١٠)، والإمام أحمد في الزهد (ص: ٥)، شرح السنة (٢٤٨/١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف، رقم (٢٣٤٧)، وقال: (حديث حسن)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (٢٢٢٤٤).

الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلتُ الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى» قال: ثُمَّ أقبل عليّ فقال: «يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثُمَّ الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي — عز وجل — والجنة» قال: قلتُ: بأبي وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثُمَّ الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاء ربي — عز وجل — والجنة»، ثُمَّ استغفر لأهل البقيع، ثُمَّ انصرف، فبدئ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: (ما شبع النبي ﷺ ثلاثة تباعا، ولو شاء لشبع، لكنه يؤثر على نفسه)<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القول: ممّا سبق يبدو جلياً أهمية قراءة حياة النبي صلى الله عليه وسلم المالية بكل تفاصيلها ولا ينبغي التوقف عند مشهد واحد .

### ومن المصادر التي لم يستخدمها النبي ﷺ عرضُ قريش أول الإسلام:

عن محمد بن كعب قال: (حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً، قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا — وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون — ؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم فكلّمه، فقام عتبة حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مويهبة، رقم (١٦٤١٨).

(٢) من الآثار في الشمائل الشريفة للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار طائر العلم للنشر والتوزيع [٩٩/١]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى — مصر، الطبعة الأولى [١٣٣/٥].

وَكَفَّرَتْ مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنْي أَعْرَضَ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا بَعْضُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ»، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِثْمًا تَرِيدُ بِمَا جِئْتَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَالًا جَمَعْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِثْمًا تَرِيدُ شَرَفًا شَرَّفْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مَلَكًا مَلَكْنَاكَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثِيًّا تَرَاهُ<sup>(١)</sup> وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نَبْرُثَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رَبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ<sup>(٢)</sup> عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَدَاوِيَ مِنْهُ، وَلَعَلَّ هَذَا الَّذِي تَأْتِي بِهِ شَعْرَ جَاشٍ بِهِ صَدْرُكَ، فَإِنَّكُمْ لَعَمْرِي يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ تَقْدَرُونَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ...

حَتَّى إِذَا فَرَّغَ عَتَبَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَّغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاسْتَمِعْ مِنِّي»، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَمْدٌ ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ...﴾ [فصلت: ١ — ٣] فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرُؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا عَتَبَةُ أَنْصَتَ لَهُ، وَأَلْقَى بِيَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ، فَأَنْتَ وَذَاكَ».

فَقَامَ عَتَبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ: وَرَائِي؟! إِنْ وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسَّحَرِ وَلَا بِالْكُهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُونَهَا بِي، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ وَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا، فَإِنْ تَصَيَّبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ

(١) الرَّئِيُّ: الْجَنِّيُّ يَرَاهُ الْإِنْسَانُ. يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (رَأَى).

(٢) التَّابِعُ: الْجَنِّيُّ. يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (تَبَعَ).

على العرب فملكه مُلْكُكُمْ، وعزّه عزُّكُمْ، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سَحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم<sup>(١)</sup>.

لو شاء ﷺ لجعل دعوته لدنياه فكان له بها ما يقارب ملك سليمان ﷺ:

عن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفى ﷺ قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، فعلقنا طريقاً من طرق المدينة حتّى أنحنا بالباب، وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلجُ عليه منه، فدخلنا وسلّمنا وبايعنا، فما خرجنا من عنده حتّى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجل خرجنا من عنده، فقلت: يا رسول الله، ألا سألتَ ربك ملكاً كملك سليمان؟ فضحك وقال: «لعل صاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتّخذ بها دنيا فأعطيتها، ومنهم من دعا بها على قومه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاخبتأها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

رفضه أخذ الخمس من مال غدر:

كان من المغيرة ﷺ في قومه أنه كان أجيراً لثقيف، وأنهم أقبلوا من مصر، حتّى إذا كانوا ببصاق عدا عليهم وهم نيام فقتلهم، ثمّ أقبل بأموالهم حتّى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، خمس مالي هذا، فقال: «وما نبؤه؟» فأخبره، فقال: «إنا لسنا نغدر، ولا ينبغي لنا الغدر» وأبى أن يخمسه<sup>(٣)</sup>.

وأقول: لعل هناك من يستغرب إيراد البحث لهذه الأحاديث — على كثرة رواياتها — كمصدر من مصادر دخل للنبي ﷺ، وهذا متوقّع، ولكن المراد منها: أن المطلوب من المسلم

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام [٧٢/١].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان، رقم (٢٢٦)، والبخاري في تاريخه [١١٤/٥]، وقال الهيثمي في المجمع [٦٧٣/١٠]: (رواه الطبراني والبخاري ورجاهما ثقات).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٣٨٦/٥].

أن يسعى للغنى، وأن يتملك المال، ثم بعد ذلك يقرر ماذا يفعل به من وجوه الخير، لا أن يختار الفقر ويرضى به زاعماً أن هذه هي سنة النبي ﷺ.

### داره ﷺ من ملك تبع:

جاء في بعض كتب السير: وذكر ابن إسحاق في كتاب المبدأ وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن تبع بن حسان الحميري، هو تبع الأول الذي ملك الأرض كلها شرقها وغربها...، واجتاز تبع بيثرب، وكان في ركابه مائة ألف وثلاثون ألفاً من الفرسان، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرجال، فأخبر أن أربعمائة رجل من أتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا أن لا يخرجوا منها، فسألهم عن الحكمة في ذلك؟ فقالوا: إن شرف البيت إنما هو برجل يخرج يقال له محمد ﷺ، هذه دار إقامته ولا يخرج منها، فبنى فيها لكل واحد منهم داراً، واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه، وأعطاهم عطاء جزيلاً، وكتب كتاباً وختمه ودفعه إلى عالم عظيم منهم، وأمره أن يدفع ذلك الكتاب لمحمد ﷺ إن أدركه، وفي ذلك الكتاب: (إنه آمن به وعلى دينه، وبنى داراً له ينزلها إذا قدم تلك البلد)، ويقال إنها دار أبي أيوب، وأنه من ولد ذلك العالم الذي دفع إليه الكتاب، أي: فهو ﷺ لم ينزل إلا داره<sup>(١)</sup>.

ويؤيد ذلك الخبر ما نقله ابن كثير في سيرته<sup>(٢)</sup> من كلام السهيلي، قال: (قال السهيلي: وقد قال تبع حين أخبره الخبران عن رسول الله ﷺ شعراً:

شهدتُ على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

فلو مدّ عمري إلى عمره لكنتُ وزيراً له و ابن عمّ

---

(١) ينظر [السيرة الحلبية: ٣٠٩/٤، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً لأحمد ياسين الخياري

(ص: ١٦٧)، مطابع دار العلم (ط: ١) (١٤١٠هـ).

(٢) سيرة ابن كثير [١٨/١].

وجاهدتُ بالسيف أعداءه و فرجتُ عن صدره كل همّ

قال: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه).

وذكر الإمام السهيلي أن الدار آلت إلى أفلح مولى أبي أيوب، ثمّ صارت المدرسة الشهابية، واليوم تعرف بزاوية الجنيد أو بيت بالي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله: (أنه نهى عن سب أسعد الحميري — وهو تبع — ، وكان هو أول من كسا الكعبة)<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة [٣٠٠/١]، وعزاه ابن حجر في الفتح [٢٢٨/١٤] للفاكهى، والواقدي، والحارث بن أبي أسامة في مسنده.

(١) جبال الذهب.	المصادر التي لم يستخدمها النبي ﷺ
(٢) نصيب العاملين على الزكاة.	
(٣) عُرضت عليه مفاتيح خزائن الدنيا والخلود في الدنيا.	
(٤) عرض قريش أول الإسلام.	
(٥) لو شاء ﷺ لجعل دعوته لدنياه فكان له بها ما يقارب ملك سليمان ﷺ	
(٦) رفضه أخذ الخمس من مال غدر.	
(٧) داره ﷺ من ملك تُبّع.	

\* \* \*



(١) تكسبه ﷺ من مزاولة التجارة.	<p>تبدأ هذه المرحلة مع بدء الوحي وكثرة عيال النبي ﷺ، وتبرز فيها عشرة مصادر لدخله ﷺ.</p> <p>مرحلة الإغناء:</p>
(٢) ميراثه ﷺ من والديه.	
(٢) ميراثه ﷺ من خديجة.	
(٣) الأنفال ومنها الغنائم (الخمس، وعدد غزواته).	
(٤) الفياء (أموال بني النضير، وحصون خيبر وفدك وغيرها).	
(٥) الصفي (صفيه قبل الغنائم، ومنه بعض نسائه).	
(٦) الهدايا (من الصحابة والملوك وغيرهم).	
(٧) سهمه ﷺ مجاهداً.	
(٨) من خصائصه في الرزق ﷺ.	
(٩) مصادر من دخله لم يستخدمها ﷺ.	

\* \* \*

## الخاتمة

ليتني لم أصل إليها !!

لأنني عشت مع سيرة سيدي رسول الله ﷺ لثلاث سنوات عاشقاً، باحثاً، ومتعلماً، ومدافعاً وأخشى ما أخشاه أن تذوب جمرة الحب، وأن تسكن راية المنافحة، والأخطر أن تذهب لمعة عيني اللتين كانتا تبرقان ألقاً عند كل دليل يؤكد لي عزة الحبيب بإثراء الله له وصولاً لعظمة فكره الاقتصادي.. فاللهم عونك.

إن ما وصل إليه البحث يتلخص في قواعد جوهرية وخلاصات علمية:

### أولاً — القواعد الجوهرية:

غياب حقيقة الثراء المالي في سيرة النبي ﷺ أدى إلى:

- (١) نصف الأمة الإسلامية من الفقراء.
- (٢) ظهور طوائف كبعض الصوفية وأشباههم الذين أماتوا عزيمة الأمة بالزهد المصطنع.
- (٣) إخفاق الخطاب الديني في نهضة الأمة إذ قام على كراهية الدنيا.
- (٤) تصوير النبي ﷺ بصورة المتواكل الذي ينتظر العون.
- (٥) النبي ﷺ كان ثرياً زاهداً لافقيراً فاقداً.
- (٦) أثبت القرآن وعد الله لنبيه ﷺ بالغنى المالي ولكن ماتعلمناه كان خلاف ذلك.
- (٧) لا فقر في الإسلام! ولا يرسل الله الغني الرازق نبياً أو رسولاً ويجعله عالة على أتباعه.

(٨) النبي ﷺ أول من أجاب عن سؤال! من أين لك هذا؟

(٩) لم أجد آية أو حديثاً أو موقفاً نبوياً أشاد بالفقر.

### ثانياً — الخلاصات العلمية من خلال البحث:

١. اندرجت حياة النبي ﷺ المالية تحت مراحل ثلاث: (اصطفاء، وإيواء، وإغناء).

٢. ما كان النبي ﷺ عالة على أمته، وكذلك حال الأنبياء جميعهم.

٣. لم يكن ﷺ عالة على أقرب الناس منه — زوجته — ، وكان قيماً عليها بحق.

٤. ليس الفقر خصوصية للنبي ﷺ ولا سنة عنه.

٥. كانت له عشرة مصادر لدخله جعلت يده ﷺ هي العليا.

**وللحقيقة العلمية والأمانة مع علمائنا أؤكد ما يلي:**

إن البحث جديد في فكرته وطريقة عرضه ولكنه ليس من باب التجديد في الدين أو السيرة؛ إذ الأحداث التي ذكرها هي حقائق موجودة ومنشورة في الكتب ولكن دخل عليها تحريف بعض الغالين أو تأويل المبطلين، والثابت بلا ريب أن النبي صلوات ربي عليه وسلامه غني، عزيز، جواد بأمر الله ورعايته، وكل ما قدمه البحث أن أმაط اللثام عن ما خفي عن بعضهم من سيرته ﷺ العطرة، وغاية القول: إن الله أكرمني بأن نفضت الغبار عن تل من الذهب بقي ردحاً من الزمن ينظر إليه على أنه صلصال كالفخار.

**ثالثاً — النتائج والتوصيات:**

(١) السيرة المالية للنبي ﷺ مبحث هام جداً يجب إضافته لجميع كتب السيرة.  
(٢) هذا البحث أضاء جوانب مهمة كجانب مصادر الدخل لشخصه وأوقافه عليه الصلاة والسلام، ولكن هناك جوانب أخرى يجب على الباحثين الاهتمام بها ومنها الجانب المالي في حياته ﷺ قائداً للأمة.

(٣) إن تصحيح صورة النبي ﷺ يجب أن تبدأ من خلال الجانب المالي في عصرنا الحالي الذي يعتمد الاقتصاد محركاً للحضارة، وعليه فإني أشد على أيدي وسائل الإعلام الإسلامية لإبراز هذا الجانب الغائب من خلال البرامج والمسلسلات والأفلام والصحافة.

(٤) إن المناهج الدراسية وخاصة الشرعية منها منوط بها تغيير الصورة القائمة لحياة الفقر المزعوم للنبي عليه الصلاة والسلام، كما سبق القول عن أحاديث الإحياء وكذلك ما نجده في أبواب الزهد في الكتب الدينية.

٥) أطالب الجامعات الأخرى بتشجيع الكتابة في الاقتصاد النبوي أولاً والاقتصاد الإسلامي ثانياً؛ لأنه إذا صحَّ الأصل صحَّ الفرع، شاكرًا معهد الدعوة الجامعي على تبني هذه الرسالة.

٦) أشكر أخي الدكتور الفاضل محمد شريف الصواف على تشجيعه على هذه الرسالة وأدعو أقرانه من العلماء إلى تشجيع الطلاب على خوض غمار أبحاث كهذه تريد توضيحاً وتصحيحاً وما كانت لتظهر لولا دعمهم وتشجيعهم.

٧) أحث أقراني من طلبة العلم على الجرأة في الع مادام القصد نصره هذا الدين وإعلاء كلمته مسترشدين برعاية الفلاح: الدليل والإخلاص والصبر والدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين